الجامع اللطيف

في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

لابن ظهيرة

(ت ٩٨٦ هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية


الجامع اللطيف
في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف



الجامع اللطيف

في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

لابن ظهيرة
(ت ٩٨٦ هـ)

تحقيق

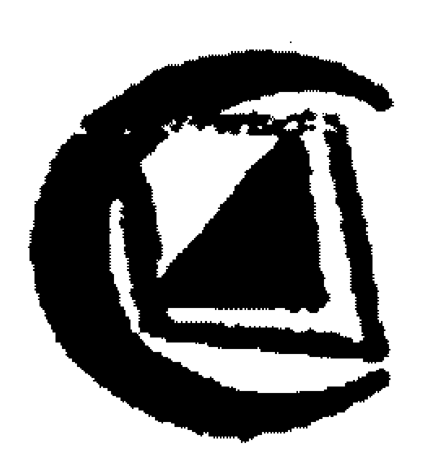
الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعتي
المنيا والإمام بالرياض

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

رقم الايداع	١٦٥٩١ / ٢٠٠٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 341 - 085 - 4



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ابن ظَهيرة[١]: محمد بن محمد بن أبى بكر بن ظهيرة القرشى المخزومى.

ولد بمكة، وذكر معاصرون أنه كان شيخ الفتيا والتدريس ومرجع العلماء وصفوة الفقهاء بمكة المشرفة، كما كان مفرد زمانه فى العلم والفضل والدين والتقوى.

من آثاره التاريخية: الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، وهو هذا الذى نقدم له اليوم.

وقد عبّر فى مقدمته عن رغبته فى وضع تأليف متوسط بين الإطالة والاختصار، ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وجعل المقدمة فى فضل العلم، أما الأبواب فخصصها بما يتعلق بالكعبة المشرفة وفضلها وعمارتها ووصف ما بداخلها وما ورد فى فضل المقام والحجر الأسود والملتزم وماء زمزم وفضل المسجد الحرام وعمارته، وفضل مكة وذكر أمرائها، والخاتمة فى ذكر الأماكن والمشاهد بمكة المكرمة.

وقد اعتمد ابن ظهيرة على مصادر متنوعة من كتب التاريخ والسيرة والمناسك والتفسير وغيرها[٢].

هذا وقد استندت فى تحقيق نص ابن ظهيرة إلى:

النسخة التى طبعت بمطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٨م.

كما استعنت بمخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٢٩٤٦ تاريخ. وقد رمزت إليها بالحرف (د).

---

(١) كذا قيّده صاحب تاج العروس بفتح الظاء وكسر الهاء.

(٢) التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص ٢٣٦، ٢٣٧.

وقد أشرت إليهما معًا في تعليقاتي (بالأصلين).

وكان حرصي على سلامة النص أكثر من حرصي على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف في الشرح والتعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

كما قمت في آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التي تقرب نفعه، وتُدْني جَناه.

القاهرة في ذي الحجة سنة ١٤٢٢هـ

مارس سنة ٢٠٠٢م

د/ علي عمر

كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

تأليف الشيخ العلامة الفهامة مولانا جمال الدين
محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر
ابن علي بن ظهيرة القرشي
المخزومي الحنفي المكي
نفعنا الله به

بحثه
[illegible]
طبعه [illegible] ١٣٠[illegible]

غلاف نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٤٦ تاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسبغ على اهل مكة بمجاورة نبيه
الامين مواد الفضل والنعمه . وجعلهم اهل خاصته
منحهم الهمم وتنويها لشأنهم لما اقتضته الحكمة . وخص
من شاء منهم بما صار العز والجلال ودفع عنه كل بؤس
ونقمه . وحباه بمزيد العناية والشرف فصار له جارا
وجار الله جدير بوافر الانعام والحرمة . احمده على انتظامي
في هذا السلك وانتسابي على تعضلات الجمه . واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي اكرمنا بخير
نبي كنا به خير امه . واشهد ان سيدنا محمدا عبده
ورسوله المبعوث من هذه البقعة المطهرة لكشف
غياهب الشرك والظلمة . صلى الله عليه وسلم وعلى اله
واصحابه السادة الائمة . الذين ناصروه وظاهروه
على عدوه وقاموا بمصالحه على همه . صلاة وسلاما
دائمين مقترنين بعظيم البركة والرحمة .

اما بعد

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٤٦ تاريخ

ان ينظر بعين الرضا والرضوان فما كان من نقص كمله
ومن خطأ أصلحه وان يصفح عما يجده من تخبيط وزلل
ومما يظهر له فيه من خلل فان القلم قد يطغى والجواد قد
يكبو وقد سبق من اقراري بالعجز والضعف ما يقتضي
الصفح والعفو والانسان غير معصوم من الخطأ والنسيان
والمؤمن مرآة اخيه والله تعالى يغفر لمن نظره او كتبه
او اصلح شيئا منه او فيه ولنختم هذا الباب بما ورد من
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اى بقوله الشريف : رب
السموات السبع وما اظللن ورب الارضين وما
اقللن ورب الشياطين وما اضللن كن لي جارا
من شر خلقك كلهم ان يفرط علي احد منهم وان يبغي
علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي
العظيم

وكان الفراغ من نسخه على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء الله
من بعده جمعة المشرقي في اليوم الرابع عشر من شهر شعبان
المبارك من العام [illegible] الف والحمد لله وحده والصلاة على
من لا نبي بعده

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٤٦ تاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسبغ على أهل مكة بمجاورة بيته الأمين مواد الفضل والنعمة. وجعلهم أهله وخاصته، فخرا لهم وتنويهًا بشأنهم لما اقتضته الحكمة. وخص من شاء منهم بباهر العز والجلال ودفع عنه كل بؤس ونقمة. وحباه بمزيد العناية والشرف فصار له جارا وجار الله جدير بوافر الإنعام والحرمة.

أحمده على انتظامى فى هذا السلك، وأشكره على تفضلاته الجمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أكرمنا بخير نبى كنّا به خير أمة. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث فى هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك والظلمة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأئمة، الذين ناصروه وظاهروه على عدوه وقاموا فى مصالحه على همة، صلاة وسلامًا دائمين مقرونين بعظيم البركة والرحمة.

أما بعد: فيقول الفقير إلى عفو الله ولطفه الخفى، محمد جار الله بن ظهيرة القرشى المكى الحنفى: اعلم أنه لا يخفى على كل عاقل من ذوى الألباب السليمة، والأفكار الرائقة الحسنة المستقيمة، أن الكعبة الشريفة هى أفضل مساجد الأرض وأنها بيت الله الحرام، وقبلة لجميع الأنام. وأن مكة المشرفة هى البلد الأمين، ومسقط رأس سيد المرسلين. وأهلها هم خاصة الله من البشر. الحائزون نهاية الشرف والفخر والظفر. والمسجد الحرام فضله لا ينكر. وما طوى من فضائله لم يزل ينشر. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى، وقد تصدى لتأليف فضائل مكة وأخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الإمام المتقن أبو الوليد الأزرقى تغمده الله برحمته.

ومن المتأخرين السيد العلامة المحرر القاضى تقى الدين الفاسى المكى بوأه الله دار كرامته، وهو المعول عليه، فإنه رحمه الله قد أغرب وأبدع، وأتى فى مؤلفه «شفاء الغرام» ومختصراته بما يشفى وينفع، وأظهر فى ذلك جملا من المحاسن والمفاخر، وإن كان

للمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الأول للآخر، غير أن الجميع رحمهم الله قد أطالوا الكلام وبالغوا فى الإسهاب، ونشروا العبارة وبسطوها فى جميع الكتاب، بحيث من أراد الإحاطة بذلك يحتاج إلى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك. وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيره، وأخر ما يحسن تقديمه وتقريره.

وممن جنح أيضًا إلى هذا الغرض وذكره ضمنًا أرباب كتب المناسك فى أوائل مناسكهم، فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى إشارة، ومنهم من مال إلى الإيجاز والاختصار، ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار، وبعضهم ضيق العبارة جدا، بحيث إنه ذكر ذلك فى نحو ست ورقات عدا، فأخل حينئذ بما تعين أن يذكر، واضرب صفحًا عن أمور وجب أن تثبت وتشهر.

فلما وجدتها على ما وصفت ولم أقف على مؤلف متوسط فى ذلك يدل على المقصود، ولا ظفرت بتعلق مفرد يكون جامعًا لما هو فى أسفار علماء هذا الفن موجود.

أحببت أن أجعل بعد الاستخارة تعليقًا لطيفًا غير مختصر مخل، ولا مطول ممل.

يكون عدة للقصاد، سالكا إن شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصاد لقصور الهمم فى هذا الزمان عن مطالعة المطولات، ومراجعة المبسوطات.

أجمع فيه ما تفرق من منثور الكلام، وأضم كل لفظ إلى مناسبه ليحصل كمال الالتئام، ولما أن التأليف فى هذا الوقت ليس هو إلا كما قال بعضهم: جمع ما تشتت، ورم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية، وأحاديث نبوية. وآثار ضوية. وفوائد كثيرة. ولطائف غزيرة. مع تحرير عبارة وتقرير وإشارة.

مثبتًا ذلك على قدر الفتوح. حسبما هو موجود فى الأسفار مشروح، عازيا كل قول غالبا إلى قائله، ومبينه لطالعه وسائله، ليكون للواقف عليه عمدة، وأخرج بذلك من الدرك والعهدة.

وما فتح الله به فى كلامى على سبيل البحث ميزته بقولى فى أوله بما صورته أقول أو بحث، وفى آخره انتهى، أو والله الموفق بالقلم الأحمر[1]. وشرطت أن لا يخل الناسخ

(١) فى هامش المطبوع: «اكتفينا بجعله بين قوسين» وقد أبقينا عليه كما ورد فى المطبوع.

بذلك ليتميز عن كلام الغير، هذا مع اعترافي بكساد البضاعة وعدم التقدم في هذه الصناعة، فشرعت مجتهدا في ذلك، طالبًا من الله تيسير تلك المسألة، وسميته:

«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»

ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

المقدمة في فضل العلم.

الباب الأول: في مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث والآثار، وما سبب تسميتها الكعبة وتسميتها بالبيت العتيق.

الباب الثاني: في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله من الآيات الشريفة، والعجائب الباهرة المنيفة، وما ورد في فضل المقام وما سبب تسميته بالمقام وفيه فصلان: **(الأول)** في ذكر الحجر الأسود وما ورد في فضله وشرفه **(والثاني)** في فضل الملتزم والدعاء فيه وذكر الفيل وخبر تبع.

الباب الثالث: فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وعدد مرات بنائها وفيه أربعة فصول: **(الأول)** في الكلام على البيت المعمور وذكر شيء من فضل جدة على سبيل الاستطراد **(والثاني)** في ذكر كنز الكعبة والكلام فيه **(والثالث)** في الكلام على دخول الكعبة الشريفة وما ورد في ذلك **(والرابع)** في ثواب دخوله.

الباب الرابع: في الكلام على كسوة الكعبة الشريفة وتطييبها وتحليتها ومعاليقها، وفيه فصل في الكلام على سدانة البيت.

الباب الخامس: في فضل الطواف بالبيت والطائفين به، وفيه ثلاثة فصول: **(الأول)** في النظر إلى البيت **(الثاني)** في بيان المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ حول الكعبة **(الثالث)** في بيان وجهة المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق.

الباب السادس: في فضل مكة شرفها الله تعالى وحكم المجاورة بها، وفيه ثلاثة فصول: **(الأول)** في أفضليتها على المدينة **(الثاني)** في أفضلية قبر النبي ﷺ على سائر البقاع **(الثالث)** في ذكر أسماء مكة المشرفة.

الباب السابع: فى فضل الحرم وحرمته وفضل المسجد الحرام وخبر عمارته، وفيه خمسة فصول: **(الأول)** فى ذكر الآيات المختصة بالحرم **(الثانى)** فى الكلام على تعريف المسجد الحرام، وفيه ذكر شىء من خبر الإسراء على سبيل الاستطراد **(الثالث)** فى ذكر عمارة المسجد الحرام **(الرابع)** فى خبر عمارة الزيادتين اللتين به وذرعه وذكر المنابر **(الخامس)** فى كيفية المقامات التى بالمسجد الحرام وبيان مواضعها وحكم الصلاة فيها وما فى المسجد من القباب والأبنية وعدد أبواب المسجد الحرام.

الباب الثامن: فى فضل أهل مكة وشرفهم وما ورد فى ذلك، وفيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبى ﷺ ونسب أصحابه العشرة، وذكر شىء من مناقب قريش.

الباب التاسع: فى ذكر مبدأ بئر زمزم وفضل مائها وأفضليته وخواصه، وفيه فصلان **(الأول)** فى ذكر أسمائها **(الثانى)** فى آداب الشرب منها.

الباب العاشر: فى عدد أمراء مكة من لدن عهد النبى ﷺ إلى يومنا هذا.

الخاتمة: فى ذكر الأماكن المباركة التى يستحب زيارتها بمكة وحرمها وخارجها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر، سائلا من كرم الله ولطفه أن يهدينى إلى الطريق السواء ويجعلنى ممن أخلص النية فى العمل، وإنما لكل امرئ ما نوى، مستعينا به فيما أردت، مؤملا من فضله إتمامه حسبما قصدت، وهو الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

المقدمـــة

فى فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه وما ورد فيه من الآيات العظيمة والأخبار الكريمة والآثار الجسيمة

اعلم أن العلم شرف الإنسان. وفخر له فى جميع الأزمان. وهو العز الذى لا يبلى جديده. والكنز الذى لا يغنى مزيده. وقدره عظيم. وفضله جسيم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: ٢٨) برفع العلماء على الفاعلية. أى إنما يخاف الله من عرفه حق معرفته وهم العلماء. وقرئ فى الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية ونصب العلماء على المفعولية. وهذا مروى عن جماعة من العلماء منهم إمامنا أبو حنيفة ﷺ. كان الأستاذ الكمال ابن الهمام فى مجلس تدريسه فأورد عليه سائل قراءة أبى حنيفة المذكورة فأجاب بقول الشاعر:

أهابك إجلالا وما بك قدرة
علىَّ ولكن ملء عين حبيبها

وحينئذ فالمراد بالخشية الإجلال. فيكون المعنى على هذا إنما يجل الله من عباده العلماء، وقال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨) الآية. فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته وميزهم من بين سائر الخلق وفضلهم على جميع الناس لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٣) ومنّ على سيد البشر بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (سورة النساء: ١١٣) قال تعالى تنويها بشأن العلماء: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ﴾ (سورة الأنعام: ٩١) وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق: ٥) وقال تعالى فى جواب الكفار حين سألوا وما الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن: ١: ٤) وقال تعالى فى حق العلماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٩) وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة: ١١) قال بعض المفسرين: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. قال بعض العلماء: رفعتهم تشمل المعنوية فى الدنيا بحسن الصيت وعلوّ المنزلة، والحسية فى والآخرة بعلوّ المنزلة فى الجنة، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة طه: ١١٤) وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شىء إلا من العلم. ومثل هذا كثير فى كتاب الله، وفى بعض الكتب المنزلة (يقول الله: أنا الذى خلقت الخلق والقلم وعلمت الناس البيان).

وأما ما جاءت به بالسنة فأكثر من أن يحاط به. فمن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر».

وروى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا ليطلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له فى معيشته».

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة».

وفى رواية: (سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع). قال بعض العلماء المراد بوضع الأجنحة التواضع عل جهة التشريف. وقيل على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم.

وعنه ﷺ أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر».

وعن أبى إسحاق المزنى يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: «يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف فاشفع لمن شئت».

وعنه ﷺ أنه قال: «العالم والمتعلم كهذه من هذه» وجمع بين المسبحة والتى تليها «شريكان فى الأجر، ولا خير فى سائر الناس بعد».

وعنه ﷺ أنه قال: «اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبا لذلك، ولا تكن الخامس فتهلك».

وعن أبى أيوب الانصارى ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ : «مسألة واحدة يتـعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل».

لطيفة: تخصـيص أولاد إسماعيل بالذكـر دون غيرهم قـيل: لكونهم أفضل أصناف الامم، فإن العرب أفضل الأمم، ثم أفضلهم أولاد إسمـاعيل. وقيل: لأن أولاد إسماعيل لم يجر عليهم رق قبل الإسلام.

وعن أبى أمامـة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «من غدا إلى المسـجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» رواه مسلم.

وعنه ﷺ أنه قال: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم».

وفى الترمذى: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

وعنه ﷺ أنه قال: «يشفع الله يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» قال بعض الفضلاء: أكرم بمرتبة هى متوسطة بين النبوة والشهادة.

أقول: فى العطف بـ «ثم» ادل دليل بعلى أفـضلية العلماء على الشـهداء كمـا لا يخفى على من عرف الحكم النحوى فى ثم. انتهى.

وفى «الفائق» عنه ﷺ : «تعلمـوا العلم وعلموه الناس» وفيه أيضـا: «تعلموا العلم واعملوا به» وفـيه: «تعلمـوا العلم قبل أن يرفع» وفـيه: «تعلموا العلم وكـونوا من أهله» وفيه: «إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا».

لطيفة: من الاحتياج إلى العلماء فـى الجنة أنه إذا دخل أهل الجنة إليها يعطيهم الله جميع ما يتمنونه ولا يزالون يتمنون بإذن ربهم حـتى تعجز عقولهم وتدبيراتهم عن الأمانى، لأنهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم، فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله: تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون، فيـرجعون إلى العلماء فـيسألونهم ما يتـمنون فيستنبطون لهم أشـياء من أسرار الله تبارك وتعالى فيـتمنونها. كذا فى «حاوى القلوب إلى لقاء المحبـوب» لابن الميلق الشافعى رحمه الله.

والأحاديث فى ذلك كـثيرة جـدا. وهذا بعض من كل، وقال بعض الفـضلاء: العلم أمان من كيد الشيطان، وحرز من كيد الحسود ودليل العقل، ولقد أحسن من قال:

ما أحسن العقل والمحمود من عقلا
وأقبح الجهل والمذموم من جهلا
فليس يصلح نطق المرء فى جدل
والجهل يفسده يوما إذا سئلا
والعلم أشرف شىء ناله رجل
من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أخى به
فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وعن بعض الحكماء أنه قال: العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده.

وقال بعض الحكماء: لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام، وقال الإمام الشافعى ﷺ وأعاد علينا من بركاته: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة، وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

وقال بعض العلماء: العلم نور يهتدى به الحائر، وفى معناه أنشدوا:

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت
من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور تستدل به
على الحقائق مثل النور للعين

وقال آخر:

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل
ويفرح إن أمسى إلى العلم ينسب
ويكفى خمولا بالجهالة أننى
أراع متى أنسب إليها واغضب

وقال ابن الزبير: إن أبا بكر كتب إليَّ وأنا بالعراق: يا بنى عليك بالعلم فإنك إذا افتقرت إليه كان مالا، وإن استغنيت به كان جمالا، وأنشد فى معناه:

العلم بلغ قوما ذروة الشرف
وصاحب العلم محفوظ من التلفِ
يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه
بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له
والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء: ينبغى لكل عاقل أن يبالغ فى تعظيم العلماء ما أمكن ولا يعد غيرهم من الأحياء، وقد أجاد من قال:

ومن الجهالة أن تعظم جهلا
لصقال ملبسه ورونق نقشه
واعلم بأن التبر فى بطن الثرى
خاف إلى أن يستبين بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه

وقال أبو طالب المكى فى «قوت القلوب» جاء فى الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه، وقد قال سبحانه: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٧).

وقال سيدى الشيخ سهل بن عبد الله التسترى ﷺ وأعاد علينا من بركاته: ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل، وما أطيع الله بمثل العلم.

وقال بعضهم ﷺ: قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصى. قال الشيخ محمد ابن على المنهاجى رحمه الله: قلت: والله أعلم ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا، وقيل فى معنى ذلك:

عـاب التـعلم قـوم لا عـقـول لهم

ومـا علـيـه إذا عـابوه مـن ضـرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: العلـم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المـال. والعلم حاكم والمـال محكوم عليـه. والعلم يزيد بالإنفاق والمـال ينقص بالنفقة. وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطى الملك والمـال معه. وقال الإمام مالك بن أنس ﷺ: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء.

وقال بعض الـحكماء: ليت شعـرى أى شىء أدرك من فاته العلـم وأى شىء فات من أدرك العلم. وما أحسن ما قيل:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلمُ

وعنه فكـاشف كل من عنده فـهم

فـفـيـه جـلاء للقلوب من العـمى

وعون على الدين الذى أمـره حتم

فخالط رواة العلم واصحب خيارهمْ

فـصحـبـتـهم زين وخلطتـهم غنمُ

ولا تعـدونّ عـيناك عنهم فـإنهم

نجوم هدى إن غـاب نجم بدا نجم

فـوالله لولا العلم ما اتضح الهـدى

ولا لاح من غيب الأمـور لنا رسم

وعن ابن المبـارك أنه قال: لا يزال المرء عـالما ما طلب العلم، فـإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

وعن عثمان بن أبى شيبة قال: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع

ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: منهومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا، وهما لا يستويان، أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ وما أحسن قول بعضهم:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وقيل للحسين بن الفضل رضي الله عنه: هل تجد فى القرآن من جهل شيئا عاداه؟ فقال: نعم، فى موضعين: قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ (سورة يونس: ٣٩) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (سورة الأحقاف: ١١).

وقال يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه: العلماء أراف بأمة محمد ﷺ وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها.

وقال سفيان الثورى رضي الله عنه: العجائب عامة وفى آخر الزمان أعم، والنوائب طامة وفى أمر الدين أطم. والمصائب عظيمة، وموت العلماء أعظم، وإن العالم حياته رحمة للأمة، وموته فى الإسلام ثلمة.

وعن معاذ: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وما أحسن قول الزمخشرى:

وكل فضيلة فيها سناءٌ
وجدت العلم من هاتيك أسنى

فلا تعتد غير العلم ذخرا

فإن العلم كنز ليس يفنى

وعن أبى هريرة ﷺ أنه قال: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع.

وعن عمر ﷺ: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه.

والكلام فى هذا يطول، ولنختم هذا النوع بحديث نبوى ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير بعلم فضلوا وأضلوا» وهذا التعليق لا يحتمل أكثر من هذا. وفيما ذكرته مقنع

اللهم إنى أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ أن ترزقنى علما نافعا وتختم لى بخير وتحشرنى فى زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء: ٦٩) آمين يا رب العالمين.

الباب الأول

فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما يدل على ذلك من الآيات والأحاديث والآثار والحكايات والعجائب [وما سبب تسميتها كعبة وتسميتها بالبيت العتيق](١)

أما الآيات فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ (سورة آل عمران: ٩٦، ٩٧) الآيتين. قال الكواشى: سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين: قبلتنا قبل قبلتكم أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾.

واختلف فى معنى كونه أول بيت وضع للناس، فقيل: أول بيت وضعه الله للطاعات وجعله متعبدا وقبلة للصلوات وموضعا للطواف، ويدل عليه ما روى عن على ﷺ، أنه سئل أهو أول بيت وضع؟ فقال: كان قبله بيوت ولكنه أول متعبد. وقيل: أول بيت بنته الملائكة فلما حجه آدم قالت له الملائكة: بر حجك فإنا قد حججنا قبلك بألفى عام. وقيل: أول بيت بناه آدم. وقيل: أول بيت بناه إبراهيم، وقيل: أول بيت حج بعد الطوفان. وقيل: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض. فهذه ستة أقوال.

وبيان القول الأخير أن الله تعالى كان ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء وليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى. فقيل: إنه خلق السماء دخانا قبل الأرض وفتقها سبعًا بعد الأرض. ورده بعضهم بأن خلق الأرض كان أولا مستدلا بقوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ (سورة فصلت: ٩) إلى قوله: ﴿ طَائِعِينَ ﴾. قال النسفى فى تفسيره المسمى «بالمدارك»: يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض، وبه قال ابن عباس ﷺ واختاره الشيخ جلال الدين السيوطى من المتأخرين، وأجاب بذلك عن سؤال رفع إليه صورته:

يا عالم العصر لا زالت أناملكم
تهمى وجودكم نام مدى الزمن

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع.

لقـد سمـعت خصامًـا بين طائفـة
من الأفـاضل أهل العلـم واللسن
فى الأرض هل خلقت قبل السماء وهل
بالعـكس جـا اثـر يا نزهة الـزمن
فـمنهم قـال إن الأرض منشـأة
بالخلق قبل السما قد جاء فى السنن
ومنهم مـن أتى بالعكس مـستندا
إلى كـلام إمـام مـاهر فـطن
أوضح لنا ما خفى من مشكل وأبن
نجـاك ربك من زور ومن مـحن
ثم الصلاة على المـختار من مـضر
ماحى الضـلالة هادى الخلق للسنن

فأجاب ﷺ بما صورته:

الحـمـد لله ذى الإفـضـال والمنن
ثم الصـلاة على المـبعـوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السـماء كما
قـد نصه الله فى حـاميم فـاستـبن
ولا ينافـيـه مـا فـى النازعـات أتى
فـدحـوها غـير ذاك الخـلق للفطن
فالحـبر أعنى ابن عبـاس أجاب بذا
لمـا أتاه بـه قـوم ذوو لـسن
وابن السيوطى قد خط الجواب لكى
ينجـو من النـار والآثام والفـتن

انتهى بنصه.

فإن قيل: هل قول السماء والأرض كان بلسان الحال أم المقال: **قيل:** إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما. **وقيل:** إن الله خلق فيهما كلاما فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها.

مطلب: أصل طينة النبي ﷺ من مكة

قال الثعلبي: خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الأرض من زبده والسماء من بخاره فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة. زاد غيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الأرض منها طبقًا واحدا ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أصل طينة النبي ﷺ من سرة الأرض بمكة. قال بعض العلماء: فى هذا إيذان بأنها التى أجابت من الأرض، وعن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: كانت الكعبة غثاء على الأرض. قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض فهو ﷺ الأصل فى التكوين والكائنات تبع له.

مطلب: مدفن الإنسان بتربته

فإن قيل: مدفن الإنسان يكون بتربته، أى مكان طينته التى خلق منها وهو ﷺ دفن بالمدينة الشريفة، أجاب بعض العلماء أن الماء لما تموج عند وقوع الطوفان ألقى تلك الطينة إلى ذلك الموضع من المدينة الشريفة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان العرش على الماء قبل أن تخلق السموات والأرض بعث الله ريحا هفافة - بفاءين - فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع البيت كأنها قبة، فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال.

مطلب: أول جبل وضع فى الأرض أبو قبيس

وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى أى أصلها. والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف، وهى حجارة تنبت فى الأرض نباتا.

وروى عمر بن شبة فى أخبار مكة: خشعة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهى أكمة لاطية بالأرض. وقيل: هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين. ويقال للجزيرة التى فى البحر لا يعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف.

وقوله فى الآية السابقة: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (سورة ال عمران: ٩٦) أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله من الثواب.

وانتصاب مباركا على الحال. قال الزجاج وغيره: المعنى استقر بمكة فى حال بركته وهو حال من وضع، وقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ (سورة ال عمران: ٩٧) قال النسفى فى «تفسيره»: أى علامات واضحات لا تلتبس على أحد.

ومقام إبراهيم: عطف بيان لقوله آيات بينات، وصح بيان الجماعة بالواحد، لأنه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى صخر صلد، أو لاشتماله على آيات، لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاءه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة.

وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (سورة ل عمران: ٩٧) عطف بيان لآيات، فكأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله. والآيتان فى معنى الجمع، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهم دلالة على تكاثر الآيات، فكأن المعنى مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما، ونحوه فى طى الذكر قوله ﷺ: «حُبب إلى من دنياكم ثلاث» وقيل إن لفظ ثلاث موضوعة لا أصل لها فى الحديث، كما صرح به بعض أئمة الحديث «الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة» فقرة عينى ليس من الثلاث، بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا، والثالث مطوى. انتهى باختصار.

مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام

وعن أبى ذر ﷺ قال: قلت: يا سول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون عاما.

وفى ذلك إشكال أشار إليه جدى ـ أى جد المؤلف قاضى القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن على بن ظهيرة الشافعى تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته ـ فى منسكه المسمى «بشفاء الغليل فى حج بيت الله الجليل» وهو أن

مسـجد مكة بناه إبراهيم عليه السـلام بنص القرآن ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) الآية. والمسجد الأقصى بناه سليمان كمـا جاء فى حديث ابن عمر، أخرجه النسائى بإسناد صحـيح. وبين إبراهيم وسليمان زمـان طويل يزيد على ألف سنة كما قـاله أهل التواريخ، فكيف قـال فى الحديث: بينهم أربعـون سنة؟ والجـواب عن ذلك بأنه يحتـمل أن ابراهيم وسليمان إنما جددا ما بناه غيرهما كما سيأتى آنفا من أن أول من بنى البيت آدم، فيجوز أن يكون غيـره من ولده وضع بيت المقـدس بعده بأربعين عـاما. ويجوز أن تـكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن من الله تبـارك وتعالى، فعلى هذه الأقاويل يكون قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ وضع على ظاهره، وهو الذى عليـه جمهـور العلماء وصحـحه النووى. انتهى بمعناه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) المراد بالبيت الكعبة، لأنه غالب عليها كالنجم للثريا. ومثابة: قال النسفي: مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه.

وأمنا موضع أمن، فإن الجانى يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج، وهو دليل لنا فى الملتجئ إلى الحرم. انتهى.

وأصل الثوب لـغة: الرجوع، ومن ذلك قـوله تعالى عـقب هذه الآية: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآية، المعنى: طهراه من الأوثان والأنجاس والخبـائث كلها. والمراد بالطائفين: الدائرون حوله. وبالعـاكفين: قيل: المجاورون الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون.

وقيل: المـعتكفون، وقيل: الطائفـون النزاع إليه من البلاد. والعـاكفون: المقـيمون عنده من أهل مكة.

مطلب: قبلته ﷺ

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ (سورة البقرة: ١٤٣) ثم قوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآيات.

وروى أن رسول الله ﷺ كـان يصلى بمكة إلى الكعبـة ثم أمر بالصلاة إلى صـخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة.

قال النسفي: أى وما جـعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجـهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت علـى الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد، فقد ارتد عن الإسلام عند تحويل القبلة جماعة. انتهى.

والمراد بقوله: ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بمعنى المحرم هو الـكعبة. قال الكواشى: وذكر النسفى أن المراد جهته وسمته أى جعل تولية الوجه تلقاء المسجد وشطره نصب على الظرف أى نحوه، لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى.

وذكر المـسجد الحـرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مـراعاة الجهـة دون العين. انتهـى، وقوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ لَيَـعْلَمُـونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) قال الزمخـشرى أى إن التحـويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كـان فى بشارة أنبيـائهم برسول الله ﷺ أنه يصلى إلى القبلتين.

مطلب: تحويل القبلة

فائدة: قال العلامة شـهاب الدين أبو الفضل بن العماد الأقفـهسى فى الدرة الضوية فى هجرة خير البرية: كان تحويل القـبلة فى الـسنة الثانية من الهجرة. ثم قال: قال النووى ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمى: حـولت القبلة فى ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان، كان النبى ﷺ فى أصحابه فحانت صلاة الظهر فى منازل بنى سَلِمة ـ بكسر اللام ـ فصلى بهم ركعتين من الظهر فى مـسجد القبلتين إلى بيت المقدس، ثم أُمر وهو فى الصـلاة باستقبال الكعبة وهو راكع فى ثالثة فاستدار واستـدارت الصفوف خلفه ﷺ ، فأتم الصلاة، فسمى مسجد القبلتين.

وكان ﷺ مأمورا بالصلاة إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة وبعد الهجرة بستة عشر شهـرا أو سبـعة عـشر، ثم قـال ـ أعنى ابن العمـاد: قول النـووى أنه ﷺ كان مـأمورا باستقبال بيت المقدس مدة إقامته بمكة قد جزم البغوى بخلافه فقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآية، كان رسول الله ﷺ وأصحابه يصلون

بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم بما يجدون من نعته فى التوراة، فصلى إليها ستة عشر شهراً أو سبعة عشر، وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة إبراهيم.

وقال مجاهد: كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا ويصلى إلى قبلتنا، فقال ﷺ لجبريل: وددت لو حولنى الله إلى الكعبة، فقال له سل ربك. فجعل ﷺ يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآيات. انتهى بنصه.

وما جزم به البغوى من أنه ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة هو المعتمد وعليه أكثر المفسرين وأصحاب السير.

مطلب: المختار انه ﷺ لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاد أو بأمر من ربه؟ وهذا تفريع على الأصح من أنه ﷺ لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة. ومن ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (سورة المائدة: ٢) أى لا تحلوا من قصده من الحجاج والعمار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، قاله النسفى.

أقول: وتوجيهه أن المتنسكين إنما أرادوا تعظيم هذا البيت المشرف وجزيل الثواب، وفى الإحالة إبطال ذلك، والله الموفق.

وفى «تفسير الكواشى»: ﴿وَلَا آمِّينَ﴾ أى ولا قتال قاصدين البيت، **فإن قيل:** هذا عام فى المؤمنين والمشركين أم انتسخ الحكم فى حق المشركين؟ **فالجواب** أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٥) وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ (سورة التوبة: ٢٨) وهو المشهور.

مطلب : عن الحسن وغيره ليس فى المائدة منسوخ

وعن الحسن وغيره ليس فى المائدة منسوخ. ومن ذلك قوله تعالى فى السورة المذكورة ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) فبالغ الكعبة صفة لهديًا وجاز الوصف بذلك لأن إضافته غير حقيقية كما صرح به النحاة. ومعنى بلوغ الكعبة أن يذبح بالحرم وهو فناء المسجد الذى هو فناء للبيت، كل ذلك تعظيما لهذا البيت أن لا تقام هذه القربة إلا فى حرمه، ولا يجزئ الذبح فى غيره.

فروع: الأول: الهدى المذكور فى الآية هو جزاء الصيد، ويجب على المحرم عندنا بقتله الصيد سواء كان ناسيا أو عامدًا أو مبتدئا وهو الذى قتل الصيد مرة أو عائدًا وهو الذى قتل مرة بعد أخرى، بل العائد عندنا أشد جناية خلافًا لمن يقول لا جزاء على العائد لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) جعل كل جزاء العائد الانتقام فى الآخرة فلا تجب الكفارة.

والجواب عنه بأن وجوب الكفارة فى العائد مستفاد من الآية بدلالة النص، والمراد من قوله: ومن عاد، العود مستحلا.

الثانى: يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة أيضًا خلافًا للشافعى لأنه يقول: الجزاء متعلق بالقتل فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) ليست بقتل ولنا قوله ﷺ : هل أشرتم هل دللتم . . . الحديث. مع أن فى الدلالة عليه تفويتًا لأمنه وهو قتل معنى.

الثالث: يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم وغيرهم سواء كان التصدق بالحرم أو حيث شاء بعد أن حصلت الإراقة فى الحرم، وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز التصدق إلا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل فى «منسكه» ومن ذلك قوله عقيب الآية المتقدمه آنفا ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٧) أى قوامًا لهم فى أمر دينهم ودنياهم فلا يزال فى الأرض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب كذا فى «منسك» ابن جماعة. قال الجد تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الآية: أى ركز فى قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى على أحد وصارت وازعًا لهم من الأذى

وهم فى الجاهلية الجهلاء لا يرجـون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضـهم بعضًـا، فقـامت لهم حرمـة الكعبـة مقـام حرمـة الملك. هذا مع تنافسـهم وتحاسـدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثـأر، وبالجملة فهو سـبب لقيام مصـالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم: أما فى أمر الدين فـإن به يقوم الحج وتتم المناسك، وأما فى أمر الدنيا فإنه تجـبى إليه ثمرات كل شىء ويأمنون فيه، وأما فى الآخـرة فلأن المناسك لا تقام إلا عنده، وهى سبب لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات. انتهى. بحروفه.

وروى عن الحسن البصرى أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة.

مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة

وفى تسمـية البيت كعـبة أقوال، فقـيل: لتكعبه أى تربعـه، يقال برد مكعب إذا طوى مربعًا، وقيل لعلوه ونتوئه، ومنه سمى الكعب كعـبًا لنتوئه وخروجه من جانب القدم، يقال تكعبت الجـارية إذا خرج نهداها، وقـيل لانفرادها عن البيـوت وارتفاعهـا. وذكر الأزرقى رحمه الله فى «تاريخه» أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة»[١].

مطلب: أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير

وأول من بنى بيتًا مربعًا حميد بن زهير، فقـالت قريش: ربع حميد بيتًا، إما حياة وإما موتًا[٢].

وذكر أيضًـا أن شيبـة بن عثمان كـان يشرف فلا يرى بيـتًا مشـرفًا على الكعبـة إلا أمر بهدمه.

ونقل عن جـده عن يوسف بن ماهك قـال: كنت جالسًـا مع عبـد الله بن عمـرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت على أبى قـبيس مشرف على الكعبة فقال: أبيت ذلك؟ قلت: نعم، فقال: إذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشبـيها كذا وفجرت بطونها أنهاراً فقد أزف الأمر. أى: قرب[٣].

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

وذكر أن العباس بن محمد بن علـى بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظامًا لها، وأن الدور التي كانت تشرف على الكعبة هدمت وخربت إلا دار العباس هذه فإنها على حالها إلى اليوم. انتهى بمعناه[1].

وأخرج ابن شبـة البصرى فى مؤلفـه «أخبار مكة» أن عمر بن الـخطاب رضي الله عنه لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قـد أشرف عليها فأمر بهدمه وقـال: ليس لكم أن تبنوا حولها ما يشرف عليها. انتهى.

أقول: إذا كانت العلة فى عدم العلو والإشراف هى الإعظام، فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسـجد تؤذن بتركه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالجمـلة التطاول فى البنيان من عـلامات السـاعة على حـد قوله ﷺ : «وأن ترى الحفاة العراة العـالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» لأن المراد من الحديث الإخبـار بتغير الأحوال وتبـدلها كمـا قال الإشبيلى. وفـيه دليل على كراهة مـا لا تدعو الحاجـة إليه من تطويل البناء وتشييده. ومات ﷺ ولم يشيد بناء ولا طوله. انتهى.

وما تقـدم عن عبد الله بن عـمرو بن العاص آنفًـا مشعـر بذلك حيث قال: فـقد أزف الأمر.

وأما تسمـيته بالبيـت الحرام فلأن الله تعالى حـرمه وعظمه وحرم أن يصـاد صيده وأن يختلى خلاه وأن يعضـد شجره وأن يتعرض له بسوء. ثم المراد بتحـريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) فإن المراد بها الحـرم كما تقدم آنفًا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴾ (سورة الحج: ٢٦) أى المقيمين بمكة، وناهيك بهذه الإضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره. وكفى ذلك شرفا وفخرا، وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدرا، وما أحسن ما قيل فى ذلك المعنى:

وكـفى شـرفـا أنى مـضـاف إليكم
وأنى بكـم أدعى وأدعى وأعـــرف

وهى من السر فى إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه، وأنشد فى المعنى:

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

لا يرجع الطرف منه حين يبصره
حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٢٩) والمراد به طواف الزيارة الذى هو ركن فى الحج باتفاق الأئمة الأربعة، ولا يحصل تمام التحلل إلا به، وهو آخر فرائض الحج الثلاثة، ثم قال قال النسفى: وهو: مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء.

مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق

واختلف فى تسميته بالعتيق، فقيل: لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار. وقيل: لقدمه لأنه أول بيت وضع كما تقدم، والعتيق القديم، قاله الحسن. وقيل: لأنه كريم على الله لأنه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وإنما بيت الله. وقيل: لأنه أعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان. وقيل: لشرفه سمى عتيقا. وقيل: لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب. وقيل: لأنه يعتق زائره من النار وهو قريب مما قبله. وقيل غير ذلك. والقول الأول هو المعتمد وفى هذا من التنويه بشأنه ما لا يخفى.

استطراد: قوله بعد هذه الآية: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ (سورة الحج: ٣٠) الآية، قال النسفى: الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج.

وقيل: حرمات الله خمس: البيت الحرام، والمشعر الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، والمسجد الحرام.

أقول: فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصًا بهذه الخمس والله الموفق. وذكر الزمخشرى بدل المشعر المحرم حتى يحل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٣٣) أى عنده، والمراد الحرم الذى هو حريم البيت كقوله: ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) كما تقدم، والمعنى واحد فلا نطول.

نكتة: ثم: للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الأحوال آنفًا، والمعنى إن لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دينكم ودنياكم وأعظها وأبعدها شوطًا فى النفع محلها إلى البيت العتيق. كذا فى «الكشاف» وهذا بعض ما ورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه. وأما ذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون.

وأما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى، من ذلك قوله ﷺ: «إن هذا البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر زائرًا كان مضمونًا على الله إن رده رده بأجر وغنيمة، وإن قبضه أن يدخله الجنة» وقال ﷺ: «من خرج فى هذا الوجه لحج أو عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة» وعنه ﷺ قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها» يعنى الكعبة والحرم «فإذا ضيعوا ذلك هلكوا» أخرجه ابن ماجه وسنده حسن.. إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتى مفرقة فى الأبواب الآتية فى مظانها إن شاء الله تعالى مع مزيد بيان وإيضاح. والله أعلم.

الباب الثانى

فيما ورد من الآيات الشريفة والعجائب الباهرة المنيفة
فى زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء فى فضله
وما ورد فى فضل المقام وما السبب فى تسميته بالمقام

وفيه فصلان:

الأول: فى ذكر الحجر الأسود وما ورد فى فضله وشرفه وما سبب تسميته بالأسود.
والفصل الثانى فى فضل الملتزم.

اعلم أن لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفا وتعظيما آيات كثيرة وعجائب غزيرة تدل على شرفه وفضله، منها: مقام ابراهيم صلوات الله عليه، وهو لغة موضع قدم القائم، ومقام إبراهيم هو الحجر الذى وقف عليه الخليل، وفى سبب وقوفه عليه أقوال:

الأول: أنه وقف عليه لبناء البيت، قاله سعيد بن جبير.

الثانى: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل عليهما السلام فلم يجده، فقالت زوجته انزل، فأبى، فقالت: دعنى أغسل رأسك فأتته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته وقد غابت رجله فيه فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله الثانية فيه فجعله الله من الشعائر. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وابن مسعود ﭬ.

الثالث: أنه وقف عليه للأذان للحج. وذكر الأزرقى فى «تاريخه» أنه لما فرغ من التأذين جعل المقام قبلة فكان يصلى إليه مستقبل الباب. وذكر أيضا أن ذرع المقام ذراع وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع.

وذكر القاضى عز الدين بن جماعة فى «منسكه» أنه حرر مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع وربع وثمن بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه.

وذكر أن أعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع وموضع غوص القدمين فى المقام ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم.

أقول: لا مناقضة بين ما ذكره الأزرقي والقاضي عز الدين في ذرع المقام، ويمكن الجمع بأن ذرع الأزرقي كان باليد وذرع القاضي عز الدين بالذراع الحديد حسبما تقدم، وبين ذراع اليد والحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الأشخاص فتأمل. انتهى.

وأخرج الأزرقي أيضًا أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فربما رفعت المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذي ماتت فيه فاحتمل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتي به فربط إلى أستار الكعبة في وجهها، وكتب بذلك إلى عمر فأقبل فزعًا فدخل معتمرًا في رمضان وقد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس وسألهم عن موضعه، فقال المطلب ابن أبي وداعة: عندي علم ذلك، كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه إلى الركن وإلى باب الحجر وإلى زمزم بميقاط وهو عندي في البيت، فقال له عمر: اجلس عندي وأرسل إليها فأرسل المطلب فأتي بها فوجدها عمر كما قال، فشاور الناس عمر واستثبت فقالوا: هذا موضعه فأمر بإحكام ربطه تحته ثم حوله فهو في مكانه إلى هذا اليوم[1] انتهى بمعناه.

ومكانه هذا هو مكانه في زمن الخليل عليه السلام كما نقله الإمام مالك في «المدونة» ثم قال: وكانت قريش في الجاهلية ألصقته بالبيت خوفًا عليه من السيول، واستمر كذلك في عهده ﷺ وعهد أبي بكر رضي الله عنه، فلما ولي عمر رضي الله عنه رده إلى موضعه الآن كما سمعت. انتهى.

وأخرج الأزرقي عن ابن أبي مليكة أنه قال: موضع المقام هذا الذي هو فيه اليوم هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ثم رد وجعل في وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده[2]. وفي هذا مناقضة لما قاله مالك رضي الله عنه في «المدونة» والله أعلم بالحقائق.

وصحح ابن جماعة ما قاله مالك. ويروى أن رجلاً يهوديًا أو نصرانيًا كان بمكة يقال له جُرَيْج فأسلم، ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده، أراد أن يخرجه إلى ملك الروم، فأخذ منه ثم قتل[3].

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٣٣.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٣٥.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٨.

ونقل العلامة ابن خليل فى «منسكه الكبير» أن الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلى عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة.

مطلب: تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة

وقال أيضًا إن مسح المقام ومسه وتقبيله ليس سنة، إنما أمرنا بالصلاة عنده، وروى أن ابن الزبير رأى قومًا يمسحون المقام، فقال: لم تؤمروا بالمسح، إنما أمرتم بالصلاة عنده. انتهى.

مطلب مهم

بحث: كون المسح والتقبيل ليس سنة لا يمنع من الإتيان بهما على وجه التبرك، فمن فعل ذلك تبركًا فالظاهر أنه لا بأس به فتأمل. والله الموفق.

وروى أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فقال ﷺ: لم أومر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزل قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآية. وهذا أحد المواطن التى وافق فيها عمر ربه.

مطلب: فيما يتعلق بالحجر الاسود

(ومنها) الحجر الاسود وحفظه وهو يمين الله فى الأرض، يشهد لمن استلمه بحق وأنه من الجنة. وسيأتى معنى كونه يمين الله.

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال «استقبل النبى ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلاً ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال: يا عمر ها هنا تسكب العبرات» رواه ابن ماجه والحاكم[١].

وعنه ﷺ «ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له» أخرجه القاضى عياض فى «الشفاء»[٢].

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم ١٦٧٠.

(٢) الشفاء للقاضى عياض ج ٢ ص ٥٩.

مطلب الحجر الاسود والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة

وعن أبى هريرة ﷺ أنه قال: من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمة. ومعنى فاوض: لابس، كذا ذكره العلامة ابن جماعة.

وعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب»(١).

وقد فضّل الله بعض الأحجار على بعض كما فضل بعض البقاع والأيام والبلدان على بعض. وفى رواية: «ولولا ما مسهما من خطايا بنى آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب». وفى رواية لابن أبى شيبة: «ما بين السماء والأرض، وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى». وعن ابن عباس ﷺ عنه ﷺ «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم» حديث حسن صحيح، وفى رواية خطايا أهل الشرك» وفى رواية لابن أبى شيبة «من الثلج» وفى رواية «كأنه لؤلؤة بيضاء» وفى رواية: «كأنه ياقوتة بيضاء» وفى رواية للأزرقى: «وإنه لأشد بياضًا من الفضة».

وقال القاضى عز الدين بن جماعة: وقد رأيته أول حجاتى سنة ثمان وسبعمائة وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصًا بينًا. انتهى.

وقال العلامة ابن خليل فى «منسكه الكبير»: وقد أدركت فى الحجر الاسود ثلاثة مواضع بيضاء نقية، فى الناحية التى إلى باب الكعبة المعظمة: إحداها وهى أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهى أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهى أصغر من الثانية تأتى قدر حبة الدخن. ثم إنى أتلمح تلك النقط فإذا هى كل وقت فى نقص. انتهى بنصه.

لطيفة: أحسن ما ذكر فى تسويده بالخطايا أنه للاعتبار، ليعلم أن الخطايا إذا أثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب أعظم وأوقع، فوجب لذلك أن تجتنب، وعنه ﷺ أنه

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٨.

قال: «الحجر الأسود يمين الله فى أرضه. فمن لم يدرك بيعة النبى ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله»[١] ومعنى كونه يمين الله فى أرضه أن من صافحه كان له عند الله عهد، وجرت العادة بأن العهد الذى يعقده الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به إنما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه. قاله الخطابى.

ونقل عن المحب الطبرى أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبّل يمينه، فنزل الحجر منزلة يمين الملك، ولله المثل الأعلى[٢].

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قبّل الحجر ثم إنه قال: والله لقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع، قال بعض الفضلاء: إلا بإذن، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، وقرأ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١) وروى أنه لما قال ذلك قال له أبى بن كعب: إنه يضر وينفع، إنه يأتى يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبله واستلمه فهذه منقبة. وفى رواية أيضًا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لعمر: بلى يا أمير المؤمنين، إنه يضر وينفع، وإن الله لما أخذ المواثيق على آدم كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد، فقال عمر رضي الله عنه: لا خير فى عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن. وفى رواية: لا أحيانى الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبى طالب حيًا. وفى أخرى للأزرقى: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

فوائد:

الأولى: إنما قال عمر رضي الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام، فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله فى الجاهلية، فأراد عمر رضي الله عنه أن يعرف الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا أن الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية فى الأوثان، كذا نقله الجد عن المحب الطبرى.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٧٨.

الثانية: أن قول عمر هذا فيه التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهى قاعدة عظيمة فى اتباعه ﷺ فيما فعله ولو لم تعلم الحكمة فيه، قال الشيخ زين الدين العراقى فى «شرح الترمذى» وفى قول عمر رضي الله عنه دليل على كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله، وأما قول الشافعى وأيما قبل من البيت فحسن فلم يرد به الاستحباب، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين. انتهى.

وأجيب عن الشافعى بأن معنى قوله: فحسن، أن ذلك غير مكروه ولا مستحب. كذا قاله الجد رحمه الله.

الثالثة: قال السهيلى: الحكمة فى كون خطايا بنى آدم سودته دون غيره من حجارة الكعبة، أن العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها فى توحيد الله، فكل مولود يولد على الفطرة، وعلى ذلك فلولا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد، فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق، وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا، فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد، واسود الحجر بعد بياضه. وكانت الخطايا سببًا فى ذلك حكمة من الله تعالى. انتهى.

الرابعة: قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم آنفًا فقال: إذا سودته الخطايا ينبغى أن تبيضه الطاعات، أجاب ابن قتيبة عن ذلك بأنه لو شاء الله لكان، ثم قال: أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به.

مطلب: الحكمة فى تغيير الحجر الأسود إلى السواد

الخامسة: روى عن ابن عباس أنه قال: إنما غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة. قال المحب الطبرى: إن ثبت هذا فهو الجواب، قال ابن حجر: أخرجه الجندى فى «فضائل مكة» بإسناد ضعيف، وقيل: إن شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين فى الجاهلية والإسلام، وسيأتى الكلام فى سبب الحريق فيما بعد إن شاء الله تعالى.

مطلب : هل كان الحجر يسمى اسود قبل اسوداده حال كونه ابيض من اللبن ام لا ؟

السادسة: قال الجد رحمه الله: فإن قلت: هل كان الحجر يسمى بالأسود قبل اسوداده حال كونه أشد بياضًا من اللبن أو لا؟ وإنما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده. قلت: لم أر فى ذلك لأحد نقـلا، ويحتـمل أنه كان يسمى بـذلك لما فيـه من السودد، فـيكون المراد بقولهم أسـود أى ذو سودد، ويحـتمل أنه لم يسم بذلك، إلا بعـد اسوداده، والله أعلم. انتهى.

مطلب : خواص الحجر

السابعة: من خواص الحجـر الأسود أنه اذا جعل فى الماء لا يغـرق بل يطفو ويرتفع، وإذا جـعل فى النار لا يحـمى ولا تعـمل فـيـه النار بل يبـقى باردا على حـاله. كـذا نقله الطرسوسى.

ومن آيات الحجر: أنه أزيل عن مكانه غـيـر مرة ثم أعـاده الله إليـه. ووقع ذلك من جرهم وإياد والعمالقة وخزاعة والقرامطة.

وآخر من أزاله منهم أبو طاهر سليـمان بن الحسن القـرمطى وذلك أنه فى موسم سنة سبع عـشرة وثلاثمائة حـصل منه فى يوم التروية أذى عام، وذلك أنه نهب الحـاج وسفك الدماء حتى سال بها الوادى ثم رمى ببعض القتلى فى بئر زمزم حتى امتلأت، وأصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسـه ومات، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود فعلقـه على الأسطوانة السابعـة من جامع الكوفـة لاعتقـاده الفاسد وزعم أن الحـج ينتقل إليها، فـاستمر عنده إلى أن اشتـراه منه المطيع لله أبو القاسم وقيل أبو العـباس الفضل بن المقـتدر بثلاثين ألف دينار، ثم أعـيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وكـانت مدة مكثه عندهم اثنتـان وعشرون سنة إلا شهرا، ولمـا ذهب به هلك تحته أربعون جـملا ولما أعيد إلى مكة حمل على قعود أعجف فسمن تحته.

وعن مجاهد أنه قال: يأتى الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبى قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافاهما بالوفاء.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله يعيد الحجر إلى ما خلقه أول مرة» أخرجه الأزرقى.

وأخرج ابن شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يرفع الحجر الأسود يوم الاثنين. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطًا» وروى أن الحجر الأسود كان يسلم على النبى ﷺ قبل أن يبعث.

فروع:

الأول: السُّنة فى تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلا تصويت ولا تطنين ولا لحس باللسان، ثم إن أمكنه أن يسجد عليه فعل لأنه جائز عندنا وعند الشافعى وأحمد لأن فيه تقبيلا وزيادة سجود لله تعالى، وقال مالك: إن السجود عليه بدعة، ثم ذلك مشروط بعدم الإيذاء والزحام والمدافعة، لأن التقبيل سنة وترك الأذى عن الناس فريضة، فلا يجوز الإتيان بالسنة مع ترك الفريضة، ولأن له خلفًا وهو الإشارة.

الثانى: إذا كان الحجر مطيّبا فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو بيده أو بأكثرهما لزمه الدم وإلا فصدقة، وهذا عندنا، وعند الشافعى لا يشرع له التقبيل ولا المس.

الثالث: يستحب لمن أكل بصلا أو ثوما أو ما له رائحة كريهة وأراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة، فإن كان به بخر لا يمكن زواله فهو معذور.

الرابع: لو أزيل الحجر من موضعه ـ والعياذ بالله تعالى ـ استلم ركنه وقبّله وسجد عليه. كذا نقله القاضى عز الدين بن جماعة الدارمى من الشافعية، واستشكله بعض علمائهم. ووجهه الجد رحمه الله وقال: إن الخصوصية التى تثبت للحجر من كونه يمين الله فى الأرض ويشهد لمن استلمه بحق وتقبيله ﷺ له غير موجودة فى الركن الذى هو فيه. انتهى.

أقول: لم أقف على نقل لأصحابنا ، ذلك، وما ذكره الجد من التوجيه فى غاية القبول، وربما يوافق أصولنا لأنه حيث ثبت هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به

دون الركن فلا ينتقل الحكم إلى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر، لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأى لا يجوز. أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية فينبغي الجواز لأنه محل البداءة. فتأمل. انتهى.

فائدتان:

الأولى: قد تقدم فى الفرع الأول أن الزحام المفضى إلى الإيذاء عند استلام الحجر ممنوع، وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يزاحم على الحجر حتى يدمى أنفه ولا يترك تقبيله، فالجواب أنه كان مجتهدا وأن مذهبه أفضلية المزاحمة على الحجر وإن أفضت إلى الأذى.

مطلب: أول من استلم الركن من الائمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير

الثانية: أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته، أخرجه الأزرقى.

فصل: فى فضل الركن اليمانى وذكر شيء مما ورد فيه:

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «ما مررت بالركن اليمانى إلا وعنده ملك ينادى آمين آمين فإذا مررتم به فقولوا اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «على الركن اليمانى ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وإن على الحجر الأسود ما لا يحصى» أخرجه الأزرقى.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «وكل بالركن اليمانى سبعون ملكا من قال اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب بالنار، قالوا: آمين» قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله: ولا تضاد بين الأحاديث على تقدير الصحة إذ يحتمل أن السبعين موكلون به ولم يكلفوا التأمين، وإنما يؤمّنون عند سماع الدعاء، والملكان كُلفا قول آمين. ورواية ملك محمولة على الجنس. انتهى بمعناه.

وروى الأزرقى عن عطاء قال قيل: يا رسول الله، إنك تكثر من استلام الركن اليمانى، قال: ما أتيت عنده قط إلا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه[١].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «عند الركن اليمانى باب من أبواب الجنة، والركن الاسود من أبواب الجنة».

وأخرج الأزرقى عن مجاهد أنه قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليمانى ويدعو إلا استجيب له، وإن بين اليمانى والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه، هم هنالك منذ خلق الله البيت[٢].

وفى «رسالة الحسن البصرى» عن النبى ﷺ «ما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود قبور سبعين نبيا».

وفى «منسك» ابن جماعة «ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من ألف نبى».

ونقل عن الشعبى أنه قال: رأيت عجبا: كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان، فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم رجل رجل فليأخذ بالركن اليمانى وليسأل الله تعالى حاجته فإنه يعطى من سعة، ثم قالوا لعبد الله بن الزبير: قم أولا، فإنك أول مولود فى الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني الحجاز ويُسلم علىَّ بالخلافة، وجاء وجلس.

ثم قام أخوه مصعب فأخذ بالركن اليمانى فقال: اللهم إنك رب كل شىء وإليك كل شىء، أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجنى سكينة بنت الحسين. وجاء وجلس.

ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن وقال: اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣٣٩.

وأسألك بحـقك على جميع خـلقك وبحق الطائفين حول بيـتك أن لا تميتنـى حتى تولينى شرق الأرض وغربها، ولا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء فجلس.

ثم قام عـبد الله بن عمر حتـى أخذ بالركن ثم قال: اللهم يا رحمن يا رحـيم، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك، وأسـألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة.

قال الشعبى فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت كل واحد وقد أُعطى ما سأل، وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة[١].

أقول: لقائل أن يقـول: ما الدليل على وجه البـشرى؟ ولم أر أحدا من المـؤلفين فى هذا المعنى ذكر شيئا مما يستـدل به على ذلك ولا تعرض له فيما وقفت عليه. ويحتمل أن يكون أن يكون فى ذلك وجهان:

الأول: أن سيـدنا عبد الله بن عـمر ﵄ كان قـد كُف بصره بعد ذلك وقـد وعد النبى ﷺ من ابتُلى بذلك بالجنة كما فى «صحيح البخارى».

الثانى: أن الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كـان ذلك أدل دليل على إجابة دعاء الجميع، إذ هو اللائق بكرم الله وسعـة عطائه، وكان سيدنا عبـد الله ﵄ من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التى لا تجهل كما فى مناقبه.

وفى «منهاج التائبين»: من توضأ فأحسن الوضـوء ثم أتى الركن اليمانى ليستلمه خاض فى الرحمـة، فإذا استلـمه غمـرته الرحمة. وعنه ﷺ أنه قـال: «ما بين الركن اليـمانى والحجر الاسود روضة من رياض الجنة».

فرع: استلام الركن اليـمانى عندنا حسن وتركه لا يضر. لأنه ﷺ كان يسـتلمه مرة ويتركـه أخرى وهو الصحـيح. كذا نقله الكرمانـى من أصحابنا. وعن مـحمد أنه يسـتلمه ويقبل يده. وفى رواية عنه أنه يقبلـه. وعند الشافعى رحمه الله يستلم الركن اليـمانى قولا واحدًا.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.

مطلب : فى كيفية استلام الركن اليمانى هل يقبل يده ثم ينقلها إليه أو يضع يده عليه ثم يقبلها ؟

لكن اختلف أصحابه فى كيفية استلامه. قال بعضهم: يقبل يده أولا ثم يضعها على الركن لينقل القبلة إليه. وقال بعضهم: يضع اليد على الركن أولا ثم يقبلها ليكون ناقلا بركته إلى يده ونفسه، وهو الأصح عندهم. وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليمانى ولا يقبل يده، وإنما يضعه على فيه. وعند أحمد رحمه الله أنه يستلمه بيده ولا يقبله. وفى تقبيل يده خلاف عند أصحابه، كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة. ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله. وفى الكل ورد النقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

(وأما الركنان الآخران) اللذان يليان الحجر: فمذهب أهل العلم لا يستلمان، كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر وابنه ومعاوية.

فصل: فى فضل الملتزم والدعاء فيه:

إنما سمى بذلك لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده وهو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء. روى القاضى عياض فى «الشفاء» بقراءته على القاضى الحافظ أبى عَلِىٍّ رحمه الله، عن أبى العباس الْعُذرِىّ عن (أبى) أسامة محمد الهَرَوِىّ، عن الحسن بن رَشِيق، عن أبى الحسن محمد بن الحسن بن راشد، عن أبى بكر محمد بن إدريس، عن الحميْدِىّ، عن سفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار، عن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما دعا أحد بشىء فى هذا المُلْتَزَم الا استجيب له» قال ابن عباس: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا المُلْتَزَم منذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ إلا استجيب لى. وقال عمرو بن دينار: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لى. وقال سفيان: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار إلا استجيب لى. وقال الحميدى: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لى. وقال محمد بن إدريس: وأنا فما

دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى. وقال أبو الحسن محمد بن الحسن: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لى. قال أبو أسامة: وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئًا. وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لى في أمر الدنيا، وأنا أرجو أنت يستجاب لى في أمر الآخرة. قال العذرى: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبى أسامة إلا استجيب لى. قال أبو على: وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة فاستجيب لى بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لى بقيتها. انتهى[١].

يقول الحقير مؤلف هذه الفضائل وجامعها: قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لى بفضل الله وأنا مستمر على الدعاء في أمور أخر، منها حسن الخاتمة، وأرجو الله إجابة الدعاء بحصولها.

وذكر القاضى عز الدين في «منسكه» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من التزم الكعبة ودعا استجيب له، ثم قال: فيجوز أن يكون على عمومه ويجوز أن يكون محمولا على الملتزم[٢]. انتهى.

ذكر معرفة الملتزم والمستجار[٣] والمتعوذ والمدعى والحطيم

أما الملتزم فهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة[٤] كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما المستجار فهو ما بين الركن اليمانى والباب المسدود في دُبُر الكعبة[٥] والدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبى الدنيا.

وأما الحطيم فهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحِجْر إسماعيل. وسمى بذلك لأن الناس كانوا يحطِّمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على

(١) الحديث والأخبار التالية له لدى القاضى عياض في الشفاء ج ٢ ص ٦٠.
(٢) إخبار الكرام للأسدى ص ٨٠.
(٣) تحرف في المطبوع إلى «المستجاب» وصوابه لدى الأسدى ص ٨٠ وهو ينقل عن ابن ظهيرة.
(٤) الأسدى ص ٨٠.
(٥) الأسدى ص ٨٠.

الظالم، فقل من حلف هنالك كاذبا إلا عُجِّلت له العقوبة وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم[١].

وقيل: لأن الشاذروان هو الحطيم، لأن البيت رُفع بناؤه وتُرك هو بالأرض محطوما[٢].

والحطيم عندنا: هو الحِجْر ـ بكسر الحاء وسكون الجيم ـ وهو الموضع الذى نصب فيه ميزاب البيت، وإنما سمى بالحطيم لأنه حطم من البيت أى كسر، كذا فى كتبنا.

وأما المُتَعَوَّذ والمدعى فروى عن ابن عباس أن الملتزم والمتعوذ والمدعى ما بين الحجر الأسود والباب. وعن عمر بن عبد العزيز ﷺ أن ما بين الركن الاسود والباب، هو الملتزم، وما بين الركن اليمانى والباب المسدود هو المتعوذ. كأنه جعل الأول موضع رغبة، والثانى موضع استعاذة.

وعن عمرو بن العاص أنه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا، ثم قال: كذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٣].

مطلب: دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام

وأخرج الأزرقى فى «تاريخه» أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعًا حين نزل، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى. وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنوبى. وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى. اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، والرضا بما قضيت علىّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك، ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه، وكففت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها، ثم قال: فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى[٤].

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.
(٣) الأسدى ص ٨١ والخبر لديه بالنص كما هنا.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٤، إخبار الكرام ص ٨١.

قال العلامة عز الدين بن جماعة: ولعله يريد سنة الطواف فى العدد، وإلا فقد ورد أن الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام، فلعله كان بغير عدد أو بغير ذلك العدد أو أراد لبنيه من بعده، والله أعلم. انتهى.

وروى الأزرقى أن ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الأسود فقال له ليس هاهنا الملتزم، إنما هو دبر البيت، فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش.

وذكر أيضًا أن عائشة رضي الله عنها أرسلت إلى أصحاب المصابيح فأطفئوها ثم طافت من وراء ستر وحجاب ثلاثة أسابيع، تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو.

مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما

فرع: الأولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما بعد ذلك، كذا فى منسك الكرمانى من أصحابنا: وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع. وأما بعده فإنه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتى الملتزم ثم يدعو فيه بما أراد ثم ينصرف القهقرى فيكون آخر عهده الانتزام. والله أعلم.

عدنا إلى المقصود:

ومنها: بقاء بنائه الموجود الآن وثباته ولا يبقى غيره من الأبنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون، وذلك لأن الأرياح والأمطار قلما تواترت على بناء إلا خرب، وهذا البيت الشريف لم تزل الأرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بنى وإلى تاريخه، ولم يقع بحمد الله تغير فى بنائه ولا خلل.

مطلب: ما وقع فى الكعبة من الترميم

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: ولم أقف فى شىء من التواريخ على أن أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غيَّر من الكعبة شيئا مما صنعه الحجَّاج إلى الآن إلا فى الميزاب والباب وعتبته. وكذا وقع الترميم فى جدارها غير مرة وفى سقفها وسلم سطحها. ووقع أيضا فى جدارها الشامى ترميم فى شهور سنة سبعين ومائتين، ثم فى شهور سنة

اثنتين وأربعين وخمسمائة ثم فى شهور سنة تسع عشرة وستمائة ثم فى سنة ثمانين وستمائة ثم فى سنة أربع عشرة وثمانمائة[١].

ثم قال: وقد ترادفت الأخبار الآن فى وقتنا هذا فى سنة اثنتين وعشرين أن جهة الميزاب فيها ما يحتاج إلى ترميم، فاهتم لذلك سلطان الإسلام الملك المؤيد. ثم حججت سنة أربع وعشرين وتأملت المكان الذى قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة. وقد نقض سقفها فى سنة سبع وعشرين على يدى بعض الجند فجدد لها سقفا ورخم السطح. فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين صار المطر إذا نزل ينزل إلى داخل الكعبة أشد مما كان أولا فأداه رأيه الفاسد إلى أن نقض السقف مرة أخرى، وسدّ ما كان فى السطح من الطاقات التى كان يدخل منها الضوء إلى الكعبة[٢].

ولزم من ذلك امتهان الكعبة، بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب، فغار بعض المجاورين، فكتب إلى القاهرة يشكو ذلك، فبلغ السلطان الظاهر فأنكر أن يكون أمر بذلك. وجهز بعض الجند لكشف ذلك[٣]. فتعصب للأول من جاور واجتمع الباقون رغبة ورهبة فكتبوا محضرا بأنه ما فعل شيئًا إلا عن ملأ منهم وأن كل ما فعله مصلحة فسكن غيظ السلطان وغطى عليه الأمر.

وقال أيضًا: ومما يتعجب منه أنه لم يبق الاحتياج فى الكعبة إلى الإصلاح إلا فيما صنعه الحجاج، إما من الجدار الذى بناه فى الجهة الشامية وإما فى السلم الذى جدده للسطح والعتبة، وما عدا ذلك مما وقع فإنما هو لزيادة محضة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب[٤].

قال الجد نوّر الله ضريحه: وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد بعض الجند وأنه جدد لها سقفًا سبق قلم، وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم. انتهى[٥].

---

(١) إخبار الكرام ص ٩٠.

(٢) إخبار الكرام ص ٩٠.

(٣) إخبار الكرام ص ٩١.

(٤) إخبار الكرام ص ٩٢.

(٥) إخبار الكرام ص ٩٢.

مطلب : عقوبة من اخذ شينا من مال الكعبة ويسمى بالأبرق

(ومنها) أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة واشتد عليه النزع جدا حتى مكث أياما ينزع نزع شديدا فقال له أبوه: لعلك أصبت من الأبرق شيئًا، يعنى مال الكعبة، فقال: أربعمائة دينار، فأشهد أبوه أن عليه للكعبة أربعمائة دينار، فسُرى عن الفتى ثم لم يلبث أن مات(١).

مطلب : إذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعا

(ومنهـا) أن مفتـاح بابها إذا وضـع فى فم الصغـير الذى ثقل لسـانه عن الكلام تكلم سريعا. ذكره الفاكهى، وقال: إن ذلك مجرب(٢).

مطلب : دخان البيت يصعد مستويا

(ومنها) مـا ذكره ابن الحـاج أن دخان البيت لا يذهب يمـينًا ولا شمـالا ولا أمام ولا خلف، بل يصعد مستويا إلى السماء. قـال الفاسي: ولعل المراد بالدخان دخان ما تجمر به الكعبة(٣) والله أعلم

مطلب : هيبته وتعظيمه فى القلوب

(ومنها) هيبته وتعظيمـه في قلوب الناس وكف الجبابرة عنه على مر الدهور والأعصار وإذعان نفوس العرب لـتوفير هذه البقعة بدون ناه ولا زاجـر. روى أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيـق على أبى قبيس بالحـجارة والنيران واشتـعلت النار فى أستار الكعـبة، جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيـها الرعد ويرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف، فأطفأت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه.

قال عكرمة: وأحسب أنهـا احترقت تحته أربعة رجال فقـال الحجاج: لا يهولنكم هذا فإنهـا أرض صواعق، فأرسل الله صاعـقة أخرى فأحـرقت المنجنيق وأحرقت معـه أربعين رجلا، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين فى أيام عبد الملك بن مروان.

---

(١) إخبار الكرام ص ٩٣.

(٢) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠١.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٢.

قال الجد: هذا والحجاج ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لإخراجه كما أشير إليه قريبا إن شاء الله تعالى.

أقول: وتوجيهه أن فعل الحجاج وإن لم يقصد التسلط على البيت فهو مؤذن بجبروته وعدوانه وانتهاكه لحرمة البيت والمسجد والبلد واستباحته للقتال فى هذه البقعة الشريفة، فهو جدير بإرسال الصواعق على منجنيقه ورجاله، بل وعليه، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. انتهى.

(ومنها) أمن الخائف الثابت ذلك من قديم الدهر وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويتخطفون الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع المظالم إلا فى الحرم، وينبنى على هذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر، وذلك للبركة والهيبة والعظمة التى جعلها الله فى هذا البيت وما جاوره وبركة دعوة الخليل صلوات الله عليه فى قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) الآية، والعرب تقول فى ضرب المثل: آمن من حمام مكة، لأنها لا تهاج ولا تصاد[١].

حكى عن بعض العباد أنه قال: كنت أطوف بالبيت ليلا، فقلت: يا رب، إنك قلت ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧) فمن ماذا هو آمن؟ فسمعت من يكلمنى ويقول: من النار، فنظرت وتأملت فما كان فى المكان أحد[٢].

مطلب: لا يرى البيت احد لم يكن رآه قبل إلا ضحك او بكى

(ومنها) ما روى عن الجاحظ أنه قال: لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه قبل ذلك إلا ضحك أو بكى.

مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

(ومنها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع وأصحاب الفيل[٣]. حين قصدوا تخريبه، وعند ذكرهما رأيت أن أسوق خبرهما باختصار:

(أما قصة تبع[٤]) فذكر القطبى[٥] فى «الإعلام» أنه كان من الخمسة الذين دانت لهم

(١) إخبار الكرام ص ٩٤ - ٩٥. (٢) إخبار الكرام ص ٩٥. (٣) إخبار الكرام ص ٩٥.

(٤) انظر قصة تبع: منائح الكرم ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «القرطبى» وصوابه لدى السنجارى فى منائح الكرم ج ١ ص ٣٧٤.

الدنيا بأسرها، وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه لينظر فى ملكه، وكان إذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال، وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان ولم يكونوا محسوبين من الجيش. ثم إنه قصد مكة، فلما انتهى إليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم ولم يعظموه، فغضب لذلك ودعا وزيره وشكى إليه فعلهم، فقال: إنهم عرب لا يعرفون شيئًا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به، فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال ونهب النساء وسبيهم، فأخذه الصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من شدة النتن.

(فقال لوزيره) اجمع العلماء والحكماء والأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده، وعجزوا عن مداواته وقالوا: نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض، وهذا من السماء لا نستطيع له ردا، ثم اشتد أمره وتفرق الناس عنه، فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء لوزيره فقال: إن بينى وبينك سرا، فإن كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته، فاستبشر الوزير بذلك وجمع بينه وبين الملك، فلما خلا به قال له العالم: أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا، قال: نعم، فقال له العالم: أيها الملك نيتك أحدثت لك هذا الداء، ورب هذا البيت عالم بالأسرار، بادر وارجع عما نويت، فقال الملك: قد أخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت وأهله كل خير، فلم يخرج العالم من عنده الا وقد عافاه الله تعالى من علته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أول من كسا الكعبة، كما سأذكره بعد إن شاء الله تعالى.

(ثم خرج) إلى يثرب وليس بها يومئذ بيت وإنما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم إن العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم اربعمائة وهم أعلمهم وتبايعوا أن لا يخرجوا من يثرب وإن قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن الحكمة التى اقتضت إقامتهم فى هذه البلدة؟ فقالوا: أيها الملك إن ذلك البيت وهذه البقعة يشرفان برجل يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد، ووصفوه ثم قالوا: طوبى لمن أدركه وآمن به، ونحب أن ندركه أو يدركه أولادنا، فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء، وأعطى كل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجه بها، وأعطاهم مالا جزيلا.

ثم كتب كتابا وختمه بخاتم من ذهب ودفعه إلى عالمهم الكبير، الذى أبرأه من علته وأمره أن يدفعه إلى محمد ﷺ إن أدركه، وإلا يوصى بذلك أولاده ثم أولادهم.

وكان الكتاب أما بعد: فإنى آمنت بك وبكتابك الذى ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإلا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فإنى من أمتك الأولين، وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة إبراهيم أبيك عليه السلام.

ثم نقش عليه لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب عنوانه: إلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبى الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع الأول حمير ابن وردع، ثم سار من يثرب إلى بلاد الهند فمات بها، وكان من يوم موته إلى اليوم الذى بعث فيه النبى ﷺ ألف سنة لا تزيد ولا تنقص.

مطلب: آباء الأنصار أولئك الأربعمائة حكيم

وكان الأنصار من أولاد أولئك العلماء والحكماء (فلما ظهر خبره) ﷺ بمكة أرسلوا إليه كتاب تبع مع رجل منهم يقال له: أبو ليلى إلى مكة فوجد النبى ﷺ فى قبيلة بنى سليم، فعرفه رسول الله ﷺ، فقال له: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول، قال: نعم، وبقى أبو ليلى متفكرا، ثم دفع الكتاب إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب فقرأه عليه، فلما سمع رسول الله ﷺ كلام تبع قال: مرحبًا بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة يبشرهم بقدومه ﷺ.

مطلب: أبو أيوب الذى نزل عنده ﷺ من ولد العالم الذى شفى به تبع

(فلما هاجر) النبى ﷺ إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم وصاروا يتعلقون بزمام ناقته وهو يقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى جاءت إلى دار أبى أيوب الأنصارى، وكان من أولاد العالم الذى شفى تبع برأيه. انتهى بمعناه.

مطلب : على وجه تسمية قعيقعان واجياد بذلك

وقيل: بل سبب عزمه على هدم البيت أن جماعة من هذيل ممن يحسد قريشًا حسنوا لتبع هدم الكعبة، وأن يبنى بيتا عنده ويصرف حجاب العرب إليه، فلما سار لهذا القصد حصل له ما حصل، فأقلع عن ذلك كما تقدم، وأمر بقتل الهذليين، ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروف بقعيقعان فلذلك سمى به، وقيل لغير ذلك، وكانت خيله بالمكان المعروف بأجياد، فقال: سمى بذلك لهذا، وقيل: لغيره، وكانت سطابخه فى الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز، فلذلك سمى الشعب بالمطابخ، وأقام بمكة أيامًا ينحر كل يوم مدة إقامته مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد ممن فى عسكره منها شيئًا، بل يردها الناس ثم الطير ثم السباع.

(وأما قصة أصحاب الفيل) إذ قصدوا تخريب البيت فأهلكهم الله تعالى، فروى أن الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم أبرهة الأشرم، بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة وصرفوا حجاج الكعبة إليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا إليها ودخلوها ولطخوها بالعذرة وهربوا.

فبلغ ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة وتجهز فى جيش عظيم، فلما شارف مكة أغار على سرحها فاستاق أموال قريش وأصاب إبلا لعبد المطلب ونزل بعرفة، فخرج إليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة نزل عن سرير ملكه إجلالا له وقال لترجمانه: سله عن حاجته، فسأله، فقال: حاجتى أن يرد علىَّ مائتى بعير أصابها قومه. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك حيث جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه فلم تكلمنى فيه وكلمتنى فى إبل أصبتها، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت رب سيمنعه، وفى رواية يحميه، فعظم كلامه عنده، ورد عليه إبله.

ثم خرج عبد المطلب وأمر قريشًا أن يتفرقوا فى الشعاب ورءوس الجبال خوفًا عليهم من معرة الجيش إذا دخل ففعلوا، وأتى عبد المطلب إلى الكعبة وأخذ بحلقتها[١]. وجعل يقول[٢]:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٩. (٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥١.

لاهم إن المـــــرء يمـ

ـنع رحله فـامنع حـلالكْ

لا يغلبن صليـبُـهم

ومحـالُهم غـدْوًا محـالكْ

جـروا جـمـوع بلادهم

والفـيل كى يسبوا عيالكْ

عمدوا حمـاك بكيدهم

جهلا ومـا رقبوا جلالك

إن كنت تاركـهم وكعـ

ـبتنا فـأمـر مـا بدا لك

ومعنى محالك أى مكرك، ومنه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ وقال أيضًا:

يا رب لا أرجـو لهم ســـراكـا

يا رب فـامنع منهم حـمـاكـا

إن عـدو البـيت قـد عـاداكـا

فـامنعـهم أن يخـربوا قـراكـا

ثم إن أبرهة أصبح متهيئًا لدخول مكة ووجهوا الفيل إليها فنكص على عقبيه راجعًا وبرك، فأدخلوا الحديدة فى أنفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه إلى مكة فوجهوه إلى اليمن وإلى غيره من الجهات فهرول فوجهوه إلى مكة فأبى.

فبينما هم كذلك إذ أرسل عليهم طيرا من جهة البحر أبابيل، أى: جماعات، تجىء شيئًا بعد شىء، يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرين فى رجليه وحجرًا فى منقاره إذا وقع الحجر على رأس أحدهم خرج من دبره فأهلكهم الله جميعا.

ويروى أن كل حجر كان مكتوبا عليه اسم الذى يقع عليه، وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فتساقطت أنامله وانصدع صدره قطعتين فهلك.

واختلف فى مقدار الحجارة، فقيل: كانت كأمثال الحمص، وقيل غير ذلك، ورأى

أهل مكة الطير لمـا أقبلت من ناحية البحـر فقال عبد المطلب: إن هـذا الطير لغريب، ثم بعث ابنه عبد الله أبا النبى ﷺ على فرس يـنظر فرجع وهو يركض، ويقول: هلك القوم جميعًا ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا أموالهم.

وروى أنه لم ينج منهم إلا أبو يكسوم فسار راجعًا وطائر يطـير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشى وأخبره بمصاب القوم فما اسـتتم كلامه حتى رماه الطيـر فمات. ومن يومئذ احترمت الناس قريشًا وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم.

وذكر العلامة ابن بحـرق الحضرمى رحمه الله فى سيرته النبـوية أنه ﷺ كان يومئذ حملا وولد بعد الفيل بخمسين ليلة، والله أعلم.

(ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده ما لا يليق، فمن ذلك ما حكى أن رجلا كان فى الطواف فبرق له ساعـد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذا به فلصق ساعـداهما، فقال له بعض الصالحين: ارجع إلى المكان الذى فعلت فيـه فعاهد رب البيت أن لا تعود باخلاص وصدق نية ففعل، فخلى عنه وانفصل ساعده.

(ومنها) قضـية إساف لما فجر بنائلة فى الـبيت مسخا حجـرين، وهما الصنمان اللذان دنا على زمـزم تنحر لهما قـريش فى الجاهلية وتعـبدهما وقالوا لولا أن الله رضى بهـما أن يعبدا معه ما نكسـهما. فأنزل الله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٧٥) ولم يزالا يُعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبـور فيروى أنه ﷺ قال: «تلك أيست أن تعبد ببلادكم» وكان إساف ونائلة من جرهم[١].

(ومنها) قصة المرأة التى جاءت إلى البيت تعوذ به من ظالم، فجاء فمد يده إليها فصار أشل[٢].

(ومنهـا) قصـة الرجل الذى سـالت عيناه على خـده من نظرة نظرها إلى شـخص فى الطواف استحسنه.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٧.

ومنها: أن البيت الشريف يفتح فيدخله الجم الغفير من الناس متزاحمين فيسعهم بقدرة الله تعالى، ولم يعلم أن أحدا مات فيه من الزحام إلا ما وقع فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون، فإنه مات فيه أربعة وثمانون نفرا!.

قال العلامة ابن النقاش: والكعبة تسع ألف إنسان وإذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثير. قال الجد بوأه الله دار كرامته: فعلى هذا إنها تتسع كما ورد أن منى تتسع كاتساع الرحم.

(ومنها) ما أخرجه الفاكهى فى «تاريخ مكة» بسنده إلى عبد الله بن بكر السهمى عن أبيه أنه قال: جاورت بمكة فعابت أسطوانة من أساطين البيت، فأخرجت وأتى بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع وأدركهم الليل، والكعبة لا تفتح ليلا، فتركوها ليعودوا من غد فيصلحوها، فجاءوا فى الغد فأصابوها أقوم من قِدْح[١].

قال العلامة ابن حجر: وهذا إسناد قوى رجاله ثقات، وبكر هو ابن حبيب من كبار التابعين. وكانت هذه القصة فى أوائل دولة بنى العباس، والأسطوانة من خشب والله أعلم.

وعابت فيما رواه الفاكهى بالعين المهملة والموحدة ـ وقدح ـ بكسر القاف وبالحاء المهملة هو السهم.

(ومنها) كما نقل عن الجاحظ أن الفرقة من الطير من حمام وغيره تقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين فلم يعل ظهره شىء منها[٢].

ونقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة ومكى رحمهما الله، أن ما عوين من ارتفاع الطير على البيت فللاستشفاء. وأنشدوا فى معنى ذلك:

والطير لا يعلو على أركانها
إلا إذا أضحى بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله: والقول بأن الطير لا يعلو ضعيف، فإنه يعاين يعلوه، وقد علته العقاب التى أخذت الحية المشرفة على جداره، وتلك كانت من آياته. انتهى[٣].

---

(١) إخبار الكرام ص ٩٧.
(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ١٩٣.
(٣) إخبار الكرام ص ٩٨.

قال الزركشي: وليس في هذا ما ينافي كلام مكي، انتهى، قال الجد رحمه الله: قلت: وتوجيه عدم منافاته أن ما عوين من ذلك قد يكون للاستشفاء، وأما العقاب فلأخذ الحية المذكورة، ثم قال أيضًا: والمعروف عند أهل مكة المشرفة قبل وقتنا هذا ما قاله مكي وابن جماعة وغيرهما. وأما في وقتنا هذا فما قاله ابن عطية فإن الطيور الآن تعلوه كثيرا ويتكرر منها ذلك في الساعة الواحدة، وهذا مشاهد لا ينكر، ولعل حدوث ذلك بسبب ما وقع من نقض السقف والتغيرات الواقعة والله أعلم. انتهى بنصه[١].

أقول: وتوجيه قول الجد رحمه الله ظاهر، إذ يحتمل أنه كان في السقف المنقوض وفيما غير منه شيء من الإرصاد يمنع من ذلك، فزال عند النقض والتغيير، والله الموفق. انتهى[٢].

(ومنها) ما وقع عن التوربشتي في «شرح المصابيح» أنه قال: ولقد شاهدت من كرامة البيت أيام مجاورتي بمكة أن الطير كان لا يمر فوقه، وكنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور في ذلك الجو فأجدها مجتنبة عن محاذاة البيت، وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارًا ثم ارتفعت.

ثم قال أيضا: ومن آيات الله البينة في كرامة البيت أن حمامات الحرم إذا نهضت للطيران طافت حوله مرارًا من غير أن تعلوه فإذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التي حول الكعبة من المسجد ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفره، وقد كنا نرى الحمامة إذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الأرض حتى إذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من الأركان فتبقى به زمانا طويلا كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف بعد حين من غير أن تعلو شيئًا من سقف البيت.

(ومنها) أن المطر إذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب في جميع جهات الأرض، فإن كان المطر من جانب، أخصب من الأرض ما بإزائه من الجهة[٣].

---

(١) إخبار الكرام ص ٩٩.

(٢) إخبار الكرام ص ٩٩.

(٣) إخبار الكرام ص ١٠٠.

(ومنها) أن الله تعالى يلحظه فى كل عام لحظة فى ليلة النصف من شعبان.

(ومنها) أن خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ما فى خزانة الكعبة من الحلى، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله تعالى أعلاه أسفله وسقط منكسا فهلك وفر الأربعة[(١)].

وبعث الله تعالى حية سوداء الرأس والذنب، وباقيها أبيض. فحرست البيت خمسمائة سنة، وهى التى اختطفها العقاب، كما تقدم. ويروى أن هذه الحية هى الدابة التى تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس. كذا نقله ابن جماعة[(٢)].

(ومنها) ما روى عن ابن عباس أن رجلا قرشيا قتل هاشميا فى الجاهلية وأنكر قتله. فقال له أبو طالب: اختر إحدى ثلاث: إما أن تؤدى مائة من الابل، وإما أن يحلف خمسون رجلا من عشيرتك أنك لم تقتله، وإلا قتلناك. فاختار عشيرته الحلف. فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء، وأطلق آخر بشفاعة أمه فيه، وحلف ثمانية وأربعون عند البيت. قال ابن عباس: فوالذى نفسى بيده ما جاء الحول ومنهم عين تطرف. وقال إن ذلك أول قسامة فى الجاهلية[(٣)].

(ومنها) أيضا أن خمسين رجلا من بنى عامر بن لؤى حلفوا فى الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا. ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة، فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم. فخرجوا من تحتها يسعون، فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلا فقتلته[(٤)].

(ومنها) ما روى أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال: يا أمير المؤمنين، كنا بنى الضبعاء عشرة، وكان لنا ابن عم فظلمناه، فكان يُذَكِّرُنَا بالله والرحم أن نكف عنه، وكنا أهل جاهلية نرتكب كل الأمور، فلما رآنا لا نرد ظلامته أمهل[(٥)] حتى إذا دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه ويقول:

---

(١) إخبار الكرام ص ١٠٠.

(٢) إخبار الكرام ص ١٠١.

(٣) إخبار الكرام ص ١٠١.

(٤) إخبار الكرام ص ١٠٢.

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «انسهل» والمثبت رواية الأسدى وهو ينقل عن المصنف.

لاهم أدعــوك دعــاء جــاهدا

اقــتل بـنى الضـبـعـاء إلا واحـدًا

ثم اضــرب الرجـل فـذره قـاعـدا

أعـمى إذا ما قـيـدَ عنَّى[١] القـائدًا

فمـات إخوة لى تسعـة فى تسعـة أشهر فى كل شـهر واحد وبقـيت أنا فعـميت وليس يلائمنى قائد[٢].

(ومنهـا) ما روى عن حويطـب بن عبد العـزى أنه قال: كـان فى الكعبـة حلق يدخل الخائف يده فيـها فلا يريبه أحد، فجـاء خائف فأدخل يده فى حلقة منها فـاجتبذه[٣] رجل فشلت يده، فلقد رأيته فى الإسلام وإنه لأشل[٤].

فائدة: روى ابن عبـاس ﷺ أن عمـر بن الخطاب ﷺ ذكر مـا كان يعـاقب به من حلف على ظلم ثم قـال: إن الناس اليـوم ليركـبون مـا هو أعظم من هذا ولا تعـجل لهم العقوبة مثل مـا كانت تعجل لأولئك فما ترون ذلك؟ فقالوا: أنـت أعلم يا أمير المؤمنين. قال إن الله عز وجل جـعل فى الجاهلية إذ لا دين حـرمة حرمهـا وعظمها وشرفـها وعجل العقـوبة لمن استحل شيـئا منها لينتهـوا عن الظلم مخافـة تعجيل العقـوبة، فلما بعث الله محمدًا ﷺ توعَّدهم، فلما انتهكوا ما حرم الله وعدهم بالساعة، فقال: ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ فأخَّر العقاب إلى القيامة.

(ومنها) مـا يروى أن عبد الله بن عـمر بن العـاص كان جالسًـا فى جماعـة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهـار وقلصت الأفياء وإذا هـم ببريق آيم داخل من جهة باب بنى شيبة، فـاشرأبت أعينهم إليه وابتدروه بأبصارهم فجـاء حتى استلم الركن وطاف بالبيت سبعًا وهم يحصونه ثم ذهب إلى دبر المقام فـركع ركعتين وهم ينظرون إليه، فقال عبد الله ابن عمـرو لبعض الجماعـة: اذهب إلى هذا فحذره فـإنى أخاف عليه أن يقـتل أو يعبث به

(١) فى المطبوع: «يعيى» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٦.

(٣) فى المطبوع: «فاجتذبه» والمثبت رواية الأزرقى.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٤.

فذهب إليه حتى وقف على رأسه وحذره فأصغى إليه برأسه حتى استنفد كلامه ثم ذهب فى السماء حتى غاب فما يرى. والأيم: هى الحية الذكر، وبريقه: لمعانه[١].

(ومنها) ما روى أن طيرين أقبلا فى الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلا أو بريدا حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة وكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فإذا خف الطواف من الناس نزلا فدفا حول الكعبة حتى إذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهراً أو نحوه ثم ذهبا. ومعنى دفا: سارا. وسيأتى فى فضائل الكعبة يدفون إليك دفيف النسور. قال فى «الصحاح»: الدفيف: الدبيب وهو السير اللين.

ومنها: ما أخرجه الأزرقى فى «تاريخه» أن طائرا أقبل من ناحية أجياد الصغير لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر، وكان ذلك فى يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين عند طلوع الشمس والناس إذ ذاك فى الطواف كثير من الحاج وغيرهم فوقع فى المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم مقابل[٢] الركن الاسود ساعة طويلة، ثم طار حتى صدم الكعبة فى نحو من وسطها ما بين الركن الأسود واليمانى وهو إلى الركن الاسود أقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحجاج من أهل خراسان فى الطواف عند الحجر الأسود، فطاف الرجل أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ولحيته والطائر على منكبه الأيمن والناس يدنون منه وينظرون إليه ويتعجبون منه وهو [ساكن] غير مستوحش[٣] [منهم] ثم طار حتى وقع يمين المقام ساعة طويلة يمد عنقه ويقبضه إلى جناحه فأقبل فتى من الحجبة فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح أشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير، ففزع منه فأرسله فطار حتى وقع بين يدى دار الندوة، ثم خرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان[٤].

(ومنها) ما رواه أبو الطفيل قال: كانت امرأة من الجن تسكن ذا طوى فى الجاهلية، وكان لها ابن ليس لها غيره، وكانت تحبه حبًا شديداً وكان شريفًا فى قومه فتزوج. فلما كان

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٧.

(٢) فى المطبوع: «فقابل» والمثبت رواية الأزرقى الذى ينقل عنه المؤلف.

(٣) فى المطبوع: «متوحش» والمثبت رواية الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٧ وما بين حاصرتين منه.

يوم سابعه. قال لأمه: إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعًا نهارا. فقالت: أراني إني أخاف سفهاء قريش فقال: أرجو السلامة. فأذنت له فولى فى صورة جان فلما أدبر جعلت تعوذه تقول:

* أعيذك بالكعبة المستوره *
* ودعوات ابن أبى محذوره *
* وما تلا محمد من سوره *
* إنى إلى حياته[1] فقيره *
* وإنى بعيشه مسروره[2] *

ثم مضى فطاف سبعًا وصلى خاف المقام ركعتين، ثم أنبل راجعًا حتى إذا كان ببعض دور بنى سهم عرض له شاب من بنى سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال. فقال أبو الطفيل: وبلغنا أن الغبرة إنما تثور كذلك عند موت عظيم من الجان. قال: فأصبح كثير من بنى سهم موتى على فرشهم من قبل الجان، فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فما تركوا حية ولا عقربا ولا شيئًا من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه، وأقاموا على ذلك ثلاثًا، فسمعوا فى الليلة الثالثة هاتفًا على أبى قبيس يهتف بصوت جهورى يسمعه من بين الجبلين: يا معشر قريش الله الله، فإن لكم أحلاما وعقولا، اعذرونا من بنى سهم، قد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم، ادخلوا بيننا وبينهم بصلح، نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا. ففعلت قريش ذلك واستوثق البعض من البعض، فسميت بنو سهم الغياطلة[3] قتلة الجن لذلك[4].

(ومنها) أن الله تبارك وتعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف، فإن

---

(١) فى المطبوع: «خبوته» والمثبت رواية الأزرقى والأسدى.

(٢) من قوله: «أعيذك» إلى «مسروره» ورد نثرا فى المطبوع، ومثله لدى الأزرقى ج ٢ ص ١٦، وورد شعرا فى المخطوط وكذا لدى الأسدى فى إخبار الكرام ص ١٠٧، وقد آثرت رواية المخطوط والأسدى والشعر هنا من الرجز.

(٣) فى المطبوع: «العباطلة» وهو تحريف صوابه لدي الأزرقى وسموا بالغياطلة لأن أمهم الغيطلة.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥.

نقصوا أكملهم بالملائكة. وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة، وأن الملك إذا نزل إلى الأرض فى بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيًا حتى يستلم الحجر، ثم يطوف بالبيت سبعًا ويركع ركعتين، ثم يمضى لما أمر بعد.

وعن عمر ﷺ أنه قال: من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه. ومعنى لا ينهزه لا يحمله على ذلك.

(ومنها) أن هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ما خلا عن طائف يطوف به من أنس أو جن أو غير ذلك[١].

قال بعض السلف: خرجت يوما فى هاجرة ذات سموم، وقلت: إن خلا البيت عن طائف ففى هذا الحين. فرأيت المطاف خاليا، فدنوت فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها وهى تطوف حوله[٢].

(ومنها) ما يروى أن الكعبة شكت إلى الله تعالى ما نصب حولها من الأصنام وما يستقسم به من الأزلام، فأوحى الله إليها أنى منزل نورًا وخالق بشرًا يحنون إليك حنين الحمام إلى بيضه، ويدفون إليك دفيف النسور.

ويحكى عن بعض السلف أنه دخل الحجر فى الليل، وصلى تحت الميزاب، فسمع وهو ساجد كلاما بين أستار الكعبة والحجارة، وهو: أشكو إلى الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولى من إساءتهم، قال: فأولت أن البيت شكا[٣].

(ومنها) ما ذكر أن يوم قتل عبد الله بن الزبير بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها[٤].

(ومنها) أن من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار ولم تؤثر فيه[٥].

روى القاضى عياض فى «الشفاء» عن بعض شيوخ المغرب أن قوما أتوه فأعلموه أن

---

(١) إخبار الكرام ص ١٠٩.
(٢) إخبار الكرام ص ١١٠.
(٣) إخبار الكرام ص ١١٢.
(٤) إخبار الكرام ص ١١٠.
(٥) إخبار الكرام ص ١١٠.

كُتَامَةَ ـ وهى قبيلة من البربر ـ قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقى أبيض البدن، فقال لهم: لعله حج ثلاث حجات. فقالوا: نعم. فقال: حُدِّثْتُ أن من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار(١).

(ومنها) ما يروى عن الأوزاعى أنه قال: رأيت رجلا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول:

يا رب إنى فقير كما ترى
وصبيتى قد عروا كما ترى
وناقتى قد عجفت كما ترى
وبردتى قد بليت كما ترى
فما ترى فيما ترى
يا من يرى ولا يُرى

فإذا بصوت من خلفه يا عاصم يا عاصم، الحق عمك قد هلك بالطائف وخلَّف ألف نعجة وثلاثمائة ناقة وأربعمائة دينار وأربعة أعبد وثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها فليس له وارث غيرك. قال الأوزاعى: فقلت له: يا عاصم إنك دعوت قريبًا، فقال: يا هذا أما سمعت قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

(ومنها) ما روى عن على بن الموفق أنه قال: طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر، واستندت إلى جداره أبكى وأقول: كم أحضر هذا البيت الشريف، ولا أزداد فى نفسى خيرا!! فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ هتف بى هاتف، وهو يقول: يا على، سمعنا مقالتك أوتدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه؟!.

(ومنها) ما ذكر عن أبى بن خلف وعبيد الله بن عثمان أنهما كانا فى الحجر فى شهر رجب فلم يشعرا إلا بحية قد أقبلت حتى مرت بهما، فدخلت تحت أستار الكعبة، وسمعا كلاما من حيث دخلت يقول: يا معشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم، كفوا سفهاءكم فإنكم فى بلد عظيم حرمته(٣).

(١) الشفاء للقاضى عياض ج ٢ ص ٥٩.
(٢) إخبار الكرام ص ١١١.
(٣) إخبار الكرام ص ١١٢.

(ومنها) أن امرأة عابدة جاءت حاجة، فلما دخلت مكة جعلت تقول: أين بيت ربى؟ وتكرر ذلك، فقيل لها: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه تسعى حتى ألصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه إلا ميتة.

(ومنها) أن الشبلى رضي الله عنه لما وصل إلى مكة ونظر إلى البيت عظم قدر ما ناله وأنشد طربا:

أبطحان مكة هذا الذى

أراه عيانًا وهذا أنا

ثم لم يزل يكررها حتى غشى عليه[1].

(ومنها) أن أبا الفضل الجوهرى لما دخل الحرم ورأى الكعبة علاه حال فقال ـ وقد دخله الطرب ـ هذه ديار المحبوب فأين المحبوب؟ وهذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون، وهذه ساعة الاطلاع على الدموع، فأين البكاءون؟ ثم شهق شهقة وأنشد:

هذه دارهم وأنت محب

ما بقاءُ الدموع فى الآماق

ثم بادر إلى البيت باكيا وهو ينادى: لبيك اللهم لبيك[2].

وهذا بعض ما ذكر من فضائل هذا البيت، وهذه الأوراق لا تسع أكثر من ذلك وفيما ذكر مقنع، والله تعالى أعلم.

(١) إخبار الكرام ص ١١٣.

(٢) إخبار الكرام ص ١١٣.

الباب الثالث

فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة

وكم مرة بنيت وما ورد فى ذلك من الاقوال

والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وها'نا

أذكره مبينا مفصلا مع التنبيه على أشهر الاقوال

(اعلم) أن الكعبة زادها الله تعالى شرفا بنيت مرات. قال فى «منهاج التائبين»: بنيت الكعبة خمس مرات: إحداها: بناء الملائكة، وقيل آدم. **الثانية**: بناء الخليل عليه السلام، **الثالثة**: بناء قريش فى الجاهلية. **الرابعة**: بناء عبد الله بن الزبير ﷺ، **الخامسة**: بناء الحجاج، وقد قيل: إنها بنيت مرتين أخريين: **الأولى**: بناء العمالقة بعد إبراهيم عليه السلام، **والثانية**: بناء جرهم بعد العمالقة، ثم بنته قريش، والله أعلم. انتهى.

وفى «شفاء الغرام» للقاضى تقى الدين الفاسى رحمه الله أنها بنيت عشر مرات: (الأولى) الملائكة عليهم السلام. ثم آدم صلوات الله عليه. ثم أولاده. ثم الخليل عليه الصلاة والسلام. ثم العمالقة. ثم جرهم. ثم قصى بن كلاب. ثم قريش. ثم عبد الله بن الزبير ﷺ. ثم الحجاج بن يوسف الثقفى. قال القاضى تقى الدين المشار إليه: وإطلاق العبارة بأنه - أى الحجاج - بنى الكعبة تَجَوّز، لأنه لم يبن إلا بعضها، كما سيأتى بيانه، ولولا أن السهيلى والنووى ذكراه لما ذكرته. انتهى[1].

وفى «الروض الأنف» للسهيلى، أن أول من بنى الكعبة شيث بن آدم عليهما السلام. وذكر فى موضع آخر أن الملائكة هى التى أسست الكعبة[2].

وذكر القاضى تقى الدين أيضًا: أنه وجد بخط عبد الله المرجانى أن عبد المطلب جد النبى ﷺ بنى الكعبة بعد قُصَىّ وقبل بناء قريش، ثم قال: ولا أعلم له فى ذلك سلفًا ولا خلفًا، والله أعلم[3].

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧.

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ٢٣٦ و ٢٤٠.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧.

واختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة. وذكر الأزرقى رحمه الله ما يشهد للقولين[١].

فى «منسك» الجد نَوَّر الله ضريحه: بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات: **الأولى**: بناء الملائكة، **الثانية**: بناء آدم عليه السلام، **الثالثة**: بناء إبراهيم عليه السلام، **الرابعة**: بناء قريش فى الجاهلية. **الخامسة**: بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه وبناه. قال الجد رحمه الله: وهذا هو المشهور المعروف.

وأخرج الفاكهى عن على كرم الله وجهه أن أول من بنى البيت الخليل عليه السلام وجزم به ابن كثير فى «تفسيره» وقال لم يجئ خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبله.

وقال فى «تاريخه» عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ (سورة آل عمران: ٩٦) الآية. يذكر تعالى عن عبده وخليله أنه بنى البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه، وبوأه مكانه، أى أرشده إليه ودله عليه. وعن على وغيره أنه أرشده إليه بوحى من الله ولم يجئ خبر صحيح عن معصوم. وذكر ما تقدم، ثم قال: ومن تمسك فى هذا بقوله تعالى ﴿ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ (سورة الحج: ٢٦) فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه الكائن فى علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمن إبراهيم. وقد ذكر أن آدم نصب عليه قبة، وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك. وكل هذه أخبار عن بنى إسرائيل وهى لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها[٢]. انتهى.

أقول: فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات، **الأولى**: الخليل عليه السلام، **الثانية**: بناء قريش، **الثالثة**: بناء ابن الزبير والحجاج، لأن بناء الخليل ثابت بنص الكتاب، وبناء قريش ثابت فى «صحيح البخارى» وغيره، وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين وأهل التواريخ وغيرهم من العلماء.

ويحتمل أن يقال أيضًا أن الكعبة بنيت أربع مرات: **الأولى**: بناء الملائكة وآدم معًا فى آن واحد، ويشهد له ما سيأتى قريبا عن ابن عباس عند ذكر السبب فى بناء آدم عليه السلام

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣٢.

(٢) تاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢.

كما ستقف عليه، وهو مجرد تأسيس، **الثانية**: بناء الخليل. **الثالثة**: بناء قريش. **الرابعة**: بناء ابن الزبير والحجاج، ويكون البناء الأول والرابع مشتركا. ثم القول بأن ذلك فى آنين فهو تأسيس أيضا كما ذكره الفاسى فى «شفاء الغرام» لا بناء مرتفع كغيره من الأبنية الآتى وصفها، لأنه حينئذ يحتاج إلى معرفة السبب فى نقض بناء الملائكة على تقدير أوليته حتى بناه آدم، وفى نقض بناء آدم أن لو كان أولا حتى بنته الملائكة، كما ستعلمه عند ذكر أسباب الأبنية الآتية إن شاء الله تعالى.

ولم أر أحدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه ولا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة وآدم فى السماء كم هو؟ فيحتمل أنه كان مرتفعا وحفظ من الهدم والتغير إلى أن بنى عليه آدم أو الملائكة على الخلاف أيهما كان أولا، أو أنه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانيا على ما وجد من الأساس، أو لم يكن هناك ارتفاع أصلا بل مجرد تأسيس فبنى عليه، ويحتمل غير ذلك والله أعلم بحقائق الأمور. انتهى.

وقد آن الشروع فى ذكر الأسباب المشار إليها:

أما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام: فروى عن على بن الحسين ﷺ أنه قال: لما قال الله للملائكة: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (سورة البقرة: ٣٠) قالت: أى رب، خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، فغضب عليهم، فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لغضبه، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، وفى رواية سبعة أطواف يسترضون ربهم، فرضى عنهم وقال لهم: ابنوا لى فى الأرض بيتا، يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقى، فيطوف حوله كما فعلتم بعرشى، فأغفر له كما غفرت لكم، فبنوا البيت الحرام[1].

قال العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله: قول الملائكة عليهم السلام: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا**﴾ (سورة البقرة: ٣٠) الآية سؤال على وجه الاستكشاف والاستعلام على وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد لهم. كما توهمه بعض جهلة المفسرين[2].

---

(١) إخبار الكرام ص ١١٧.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٩.

وفى «الروض الأنف» للسهيلى: لما قالت الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (سورة البقرة: ٣٠) خافت أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه، فطافوا بالعرش سبعا. وذكر ما تقدم عن على بن الحسين رضي الله عنه[١].

كذا حكاه الجد نور الله ضريحه وجعل الرحمة غبوقه وصبوحه فى «منسكه». ثم قال بعد ذلك: ظاهر قول السهيلى: خافت أن يكون الله عاتبا عليهم، أنه لم يقع من الله غضب عليهم وهو الموافق للحكم بعصمتهم، وقوله تعالى: ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم: ٦) وما تقدم عن على بن الحسين يخالف ذلك. وقوله: لاعتراضهم فى علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من أن ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض، اللهم إلا أن يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة. انتهى.

وفى بعض الروايات أن الله تعالى بعث ملائكة فقال: لهم ابنوا بيتا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا، وأمر الله تعالى أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور، وأن هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام وقبل خلق الأرض بألفى عام، وأن الأرض دحيت من تحته[٢].

فصل: فى الكلام على البيت المعمور
وشىء من خبره على سبيل الاستطراد

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «هذا البيت» يعنى الكعبة المشرفة «خامس عشر بيتا، سبعة منها فى السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض [السفلى] وأعلاها الذى يلى العرش. البيت المعمور، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت». أخرجه الأزرقى[٣].

(١) الروض الأنف ج ١ ص ٢٤٠.
(٢) إخبار الكرام ص ١١٨.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣٥ وما بين حاصرتين منه.

مطلب فى كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها

بحث: فإن قيل: فى قوله ﷺ : ولكل بيت . . . إلخ، إشارة إلى تسمية كل بيت منها بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك، فأيها البيت المعمور المراد؟ **فالجواب من وجوه: الأول:** أن البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم ولزمه وصار علما عليه عند الإطلاق، **والثانى:** أنه تميز بكونه فى السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريبًا، فيكون هو المراد دون غيره. **الثالث:** أنه يسمى بالضراح دون بقية البيوت الأخر. والله الموفق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام، لو سقط سقط عليه، يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط[1].

والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء فألف فحاء مهملة، وقيل بالصاد المهملة. والمشهور الأول، وعند مجاهد: البيت المعمور هو الضريح يعنى بالضاد المعجمة والضريح لغة: البعيد.

الخلاف فى البيت المعمور وفى مكة

واختلف فى البيت المعمور وفى مقره فقيل: إنه البيت الذى بناه آدم أول ما نزل إلى الأرض، كما سأذكره قريبا، ثم رفع إلى السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لأنه ضرح عن الأرض إلى السماء بمعنى أبعد.

وقيل: إن البيت بمكة معمور بمن يطوف به، وهذا منسوب إلى ابن عباس والحسن.

وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول: واحبذا بيت ربى ما أحسنه وأجمله، هذا والله البيت المعمور، وظاهر هذين القولين ينافى ما تقدم.

وأما مقره فللأزرقى ثلاث روايات: **الأولى:** أنه فى السماء السابعة، **الثانية:** أنه فى السادسة، **الثالثة:** أنه فوق السموات السبع تحت العرش.

(١) اخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٩.

وفى رواية لغير الأزرقى أنه فى السماء الرابعة.

أقول: الرواية الأولى هى المشهورة الصحيحة الموافقة لما رواه مسلم فى «صحيحه» من حديث ثابت البنانى عن أنس ﷺ من كونه ﷺ اجتمع بإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة ورآه مسندا ظهره إلى البيت المعمور. وهذا الحديث أولى بالاعتماد عليه دون غيره.

قال القاضى عياض رحمه الله فى «الشفاء»: جود ثابتٌ هذا الحديث ما شاء ولم يأت عنه أحد بأصْوَبَ من هذا. وقد خلّط فيه غيرُه عن أنس تَخْلِيطًا كثيراً لا سيما شَرِيك ابن ابى نَمِر. انتهى[١].

وأما سبب بناء آدم صلوات الله عليه: فروى عن ابن عباس ﷺ أن الله تعالى لما أهبط آدم كان رأسه فى السماء، ورجلاه فى الأرض وهو مثل الفلك من رعدته، فطأطأ الله عز وجل منه إلى ستين ذراعا. فقال: يا رب، ما لى لا أسمع صوت الملائكة؟ فقال له: خطيئتك يا آدم. ولكن اذهب فابن لى بيتًا واذكرنى حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى، فأقبل آدم يتخطى، فطويت له الأرض، ولم يقع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام بعد أن ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت فى الأرض السفلى. فقذفت فيه الملائكة الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا. قال ابن عباس ﷺ: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت[٢].

أقول: هذا ما يشهد لبناء الملائكة وآدم فى آن واحد كما سبقت الإشارة إليه. انتهى.

مطلب الأجبل التى بنيت منها الكعبة خمسة

ويروى أن بناءه من خمسة أجبل: لبنان، وطور زيتا، وطور سيناء، والجودى، وحراء، حتى استوى مع وجه الأرض، أى لم يرتفع عن وجه الأرض، كما قدمته. وسيأتى بيان موضع هذا الجبال عند ذكر بناء الخليل إن شاء الله تعالى.

---

(١) الشفاء للقاضى عياض ج ١ ص ١١٦.

(٢) إخبار الكرام ص ١١٩.

والفُلك فيما تقدم - بضم الفاء: هو السفينة. ووجه التشبيه أن آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة فى البحر حال هبوب الرياح.

وفى بعض الروايات أن آدم عليه السلام لما أهبط بأرض الهند اشتد بكاؤه وحزنه فتاب الله عليه وأمره بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع البيت، وكانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة[1].

وعن قتادة، أن آدم عليه السلام أهبط ومعه بيت، فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك إلى زمن الغرق، ثم رفعه الله عز وجل فصار فى السماء وهو الذى يدعى البيت المعمور. ذكره الحليمى فى «منهاجه» ثم قال: يجوز أن يكون معنى قول قتادة من أنه أهبط مع آدم بيت أى مقدار البيت المعمور طولا وعرضًا وسمكا ثم قيل له: ابن بقدره وحياله فكان حياله موضع بالكعبة فبناها فيه. وأما الخيمة فقد يجوز أن يكون أنزلت وضربت فى موضع بالكعبة، فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت فتتفق هذه الأخبار. كذا فى «منسك» الجد رحمه الله تعالى.

وأما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه: فروى عن مجاهد ﷺ أن موضع البيت كان قد خفى ودرس من الغرق أيام الطوفان فصار موضعه أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هناك ولا يثبتونه. وكان المظلوم يأتيه من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له[2].

وعن ابن عمر: كانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لخليله وأعلمه مكانه[3].

مطلب الخلاف فى هود وصالح هل حجا أم لا

وروى أن هودا وصالحا ومن آمن بهما حجوا البيت وهو كذلك. ونقل العلامة السيوطى فى بعض كتبه أن جميع الأنبياء حجوا البيت إلا هودا وصالحا فإنهما كانا تشاغلا بأمر قومهما فماتا ولم يحجا.

---

(١) إخبار الكرام ص ١٢٠. (٢) إخبار الكرام ص ١٢١. (٣) إخبار الكرام ص ١٢٢.

مطلب سبب معرفة إبراهيم اساس البيت الحرام

وأن آدم لما حج حلق جبـريل رأسه بياقوتة من الجنة فلمـا بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وأمره ببنائـه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ (سورة الحج: ٢٦) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) الآيتين، أقـبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة، وسن إسماعيل ست وثلاثون سنة. وأرسل الله معه السكينة والصُّرَد والملك دليلا حتى تبوأ البيت الحرام، فقـال لابنه إسماعيل عليه بالسلام: إن الله قد أمرنى أن أبنى له بيتًا، فقال له إسـماعيل: وأين هو؟ فأشار إلى أكمة مرتفـعة عليها رضراض من حصباء فقامـا يحفران عن القواعد ويقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) ويحمل إسماعيل الحجارة على رقبته وإبراهيم يبنى، فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الأحجار، قرَّب له إسماعيل المقام فكان يقوم عليه[١]. وقد تقدم الكلام عليه مستوفى.

والصرد ـ بضم الصاد وفتح الراء المهملتين ـ طائر ضـخم الرأس فوق العصفور يصيد العصافير. وقيل: إنه أول طائر صـام لله. والسكينة: لها رأس كرأس الهرة وجناحان. وفى رواية كأنها غمامة أو ضبابة تغشى الأرض كـالدخان فى وسطها كهيئة الرأس يتكلم، وكانت بمقدار البيت، فلما انتهى الخليل صلوات الله عليه إلى مكة وقفت فى موضع البيت ونادت يا إبراهيم، ابنِ على مقدار ظلى لا تزيد ولا تنقص.

وفى رواية أنها تطوقت بالأساس الأول كأنها حية.

وفى أخرى أنها لم تزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامة انكشف.

قال السهيلى فى «روضـه»: والسكينة من شأن الصلاة. قال ﷺ: «وأتوها وعليكم السكينة» انتهى. فجعله علما على قِبْلَتِها حكمة من الله تعالى[٢].

---

(١) إخبار الكرام ص ١٢٢.

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ٣٤١.

وروى أن السكينة قالت لإبراهيم: ربض على البيت، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا أعرابى نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة[١]. كذا فى «منسك» الجد رحمه الله.

وذكر أن الخليل لما حفر القواعد أبرز عن رابض كأمثال خلف الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلا. وكان يبنى كل يوم سافا[٢] وهو المدماك[٣] فى عرفنا الآن[٤].

قال ابن عباس ﷺ: أما والله، ما بنياه بقصة ولا مدر. ولا كان معهم ما يسقفانه ولكنهما أعلماه وطافا[٥] به.

وفي رواية: رضماه رضما فوق القامة ولم يسقفاه. والرضم: أن ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط[٦].

والقصة بفتح القاف هى النورة أو شبهها.

قال السهيلى: بناه الخليل من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهى: طور سيناء، وطور زيّتا، اللذان بالشام. والجودى، وهو بالجزيرة، ولبنان وحراء وهما بالحرم، ثم قال: وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءه من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها، إذ هى قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام، وقد بُنِىَ على خمس. انتهى[٧].

قال الجد رحمه الله تعالى: وفي كون لبنان بالحرم نظر، إذ لا يعرف ذلك.

ويروى أن ذا القرنين قدم مكة والخليل وابنه يبنيان فقال: ما هذا؟ فقالا: نحن عبدان أمرنا بالبناء، فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة أكبش، فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٦٠.

(٢) تحرف فى د، والمطبوع إلى: «ساقا».

(٣) المدماك: الصف من اللبن أو الحجارة.

(٤) إخبار الكرام ص ١٢٤.

(٥) إخبار الكرام ص ١٢٤.

(٦) إخبار الكرام ص ١٢٥.

(٧) الروض الأنف ج ١ ص ٢٤١.

مطلب: الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر ولم لقب بذلك وتعريف نبوته وعدمها

فائدة استطرادية: اعلم أن ذا القرنين اثنان: رومى، ومقدونى. والذى اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وهو صاحب الخضر. واختلف فى تسميته بذى القرنين وهل كان نبيا أم عبدًا صالحًا. فقيل: سمى بذى القرنين لأنه بلغ مغرب الشمس ومطلعها، وقيل: لأنه، ملك الروم وفارس أو الروم والترك، وقيل: لأنه انقرض فى زمنه قرنان من الناس وهو حى.

وقال الواحدى: لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات، فبعثه الله فسمى ذا القرنين، وقيل: كان له قرنان. وقيل: كان كريم الطرفين أما وأبا، وهذان القولان فى «المدارك» وقيل: لأنه عاش قرنين. وعن على: سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور، وكان الليل والنهار عنده سواء.

وأما أنه نبى أو ملك فعن عبد الله بن عمر ومجاهد أنه كان نبيا، وعن على كرم الله وجهه أنه كان عبدا صالحا أحب الله وناصحه فأحبه الله وناصحه، وعن وهب أنه كان ملكا عادلا، قال المفسرون: ملك الدنيا أربعة: مؤمنان وكافران: أما المؤمنان: فذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام، وأما الكافران: فنمرود وبختنصر. قال القرطبى: وسيملك الدنيا من هذه الأمة خامس وهو المهدى لقوله تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (سورة الفتح: ٢٨) انتهى.

أقول: وسيملكها سادس أيضا، وهو عيسى صلوات الله عليه. كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما. انتهى.

مطلب سن ذى القرنين

وكان عمر ذى القرنين ألفًا وستمائة سنة، واختلف فى زمنه واسمه فقيل: كان فى زمن نمرود، ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت، كما تقدم، لأن الخليل والنمرود

فى زمن واحد، وعن وهب أنه كان فى الفتـرة بين عيسى ومحمد عليهـما السلام، وقيل: كان بعد ثمود. وأما اسمه، فقيل: عبد الله، وقيل: إسكندر، وقيل: مرزبان بن مرزبة.

مطلب: الحجر الأسود وهل كان قبل إبراهيم أم لا

عدنا إلى المـقصـود، فلما انتـهى الخليل عليه السـلام فى البناء إلى موضع الحَـجَر - بالفتح - طلـب من إسماعـيل حَجَرًا يضـعه ليكون علمًا علـى بداءة الطواف فجاءه جـبريل بالحجـر الأسود، قيـل نزل به من الجنة. وقيل: جاء به مـن أبى قبيس، لأن الله اسـتودع الحجر أبا قبيس لما غرقت الأرض. وفى رواية أن الحـجر نفسه نادى الخليل من أبى قبيس هأنذا، فرقى إليه فأخذه فوضعه فى موضعه هذا[١].

وجـعل الخليل صلوات الله عليـه طول البيت فى السـمـاء تسعـة أذرع، وعرضـه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأسود إلى الركن الشـامى الذى عنده الحِجر - بكسر الحاء - من وجهـه، وجعل عرض ما بين الركن الشـامى الغربى الذى فيه الحـجر - بالكسر اثنين وعـشرين ذراعا. وجـعل طول ظهـره من الركن الغـربى إلى الركن اليـمانى واحـدًا وثلاثين ذراعًا، وجعل عرض سـقفها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليـمانى عشرين راعا، فلذلك سميت كعبة لأنها على خلقة الكعب، وكذلك بنيان أساس آدم عايه السلام، وجعل بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تُبَّع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها بابا وغلقًا فارسيًا، وكساها كسوة تامة، ونحر عندها كما علمته[٢] فيما تقدم. وسيأتى الكلام على ذلك فى محله مستوفى إن شاء الله تعالى.

وجعل الخليل الحِجر - بكسر الحاء - إلى جنب البـيت عريشا من أراك تقتحمه العنز، فكان زربا لغنم إسماعيل، وحفر فى بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه مـا يهدى للكعبة، وهو الذى نصب عليه عـمرو بن لحى هبل، صنم قريش الذى كانت تعبده وتستقسم عنده بالأزلام[٣].

أقول: ولعله - والله أعلم - هو المراد بقـول أبى سفيان بن حـرب فى يوم أُحد: اعل هبل. انتهى.

---

(١) إخبار الكرام ص ١٢٥.
(٢) إخبار الكرام ص ١٢٦.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٦٤.

ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما فيه من أموال الكعبة وحليتها مرة بعد أخرى، فبعث الله الحية لحراسته وهى التى اختطفها العقاب كما تقدم، والله أعلم.

وأما سبب بناء قريش للبيت: فروى أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوته وكانت ركاما بعضها فوق بعض، فحصل فى الأحجار تصدع ووهن، ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا جاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعا شديدا، وهابوا هدمها، وخافوا إن مسوها ينزل عليهم العذاب[١].

فبينما هم على تلك الحال يتشاورون إذ أقبلت سفينة من الروم، حتى إذا كانت بمحل يقال له الشُّعَيْبَة ـ بضم الشين المعجمة ـ وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت[٢].

استطراد: فى الكلام على فضل جدة التى هى الآن ساحل مكة وشىء من خبرها: روى الفاكهى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجدة جهاد»[٣].

وعن ابن جريج قال: سمعت عطاء يقول: إنما جدة خزانة مكة وإن ما يؤتى به إلى مكة لا يُخْرَجُ به منها[٤].

ثم قال ـ أعنى ابن جريج: إنى لأرجو أن يكون فضل مرابطى جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان[٥].

وعن عباد بن كثير، أنه قال: الصلاة بجدة سبعة عشر ألف ألف صلاة، والدرهم فيها مائة ألف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مدّ بصره مما يلى البحر[٦].

وعن فَرْقَد السَّبَخِيّ أنه قال: إنى رجل أقرأ هذه الكتب، وإنى لأجد فيما أنزل الله من كتبه جُدَّة ـ أو جُدَيْدَة ـ يكون بها قتلى وشهداء، لا شهداء يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم[٧].

---

(١) أخبار مكة الأزرقى ج ١ ص ١٦٠. (٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٦٠.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ٥٢ وذكر محققه أن إسناده ضعيف.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ج ١ ص ٥٣. (٥) أخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ٥٣.
(٦) أخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ٥٣. (٧) أخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ٥٥.

وعن بعض المكيين أن الحبشة جاءت إلى جدة فى سنة ثلاث وثمانين فى صدرها، فوقعوا بأهل جُدّة، فخرج الناس من مكة إلى جُدّة غُزَاةً فى البحر، وعليهم أميرهم عبد الله محمد بن إبراهيم المخزومى. انتهى[١].

قال الفاسى رحمه الله: عبد الله بن محمد هذا ولى مكة للرشيد العباسى، فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة[٢].

وأول من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان ﷺ فى سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبَة ساحل مكة قبل ذلك[٣].

وذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محدق وأن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب ﷺ، أحدهما: يقال له مسجد الأبَنُوس، وهو معروف إلى الآن، والآخر غير معروف، ولعله والله أعلم المسجد الذى تقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن. انتهى[٤].

ويروى أن قبر حواء بجدة، والله أعلم[٥].

ولنرجع إلى المقصود: فلما انكسرت السفينة بالشعيبة وبلغ قريشًا قصدوها واشتروا خشبها، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع وأن لا يعشروهم[٦] وكانوا قبل ذلك يحشرون من دخلها من تجار الروم. وكانت الروم أيضا تعشر قريشًا إذا دخلوا بلادهم. وكان فى السفينة نجار بناء اسمه باقوم. وهو الذى بنى الكعبة لقريش كما روى عن سفيان بن عيينة[٧].

ويروى أن قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد: إن الله لا يهلك من يريد الصلاح فارتقى على ظهر البيت، ومعه الفأس ثم هدم، فلما رأوه سالما تابعوه[٨].

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.
(٤) رحلة ابن جبير ص ٥٠، السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة ص ٤٧.
(٥) السلاح والعدة ص ٢٧.
(٦) عشر القوم: أخذ عشر أموالهم
(٧) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٥٧.
(٨) إخبار الكرام ص ١٢٩.

وفى بعض الروايات أن قريشًا كـانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فـاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغـرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجيـاد، فهدمته قريش وبنوها بحجارة الوادى، ورفعوها ثمانية عشر ذراعا فى السماء، وقيل عشرين[١].

وحضر النبى ﷺ هذا البناء مع قريش، وكـان يحمل الحجارة، وسنه إذ ذاك خمس وثلاثون سنة، وهو الأشهر، وقيل: خمس وعـشرون، وهو مشهور[٢]، وعن الفاكهى كان قد ناهز الحلـم، وفى «تاريخ الأزرقى» ما يؤيده، وهو ضعـيف جدا فلا يـعتبـر بمخالفـته القولين الأولين.

فبينما هو يحملها وعليه نمرة قد ضاقت فذهب بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودى: يا محمـد، خمر[٣] عـورتك فلم يُرَ بعدهـا عريانا، وكـان بين ذلك وبين المـبعث خـمس سنين[٤].

واختلفت قـريش فيمن يضع الحـجر الأسود حـتى رضوا بأول داخل، فكان هو أول داخل ﷺ فوضعه بيده الشريفة[٥].

وأخرج الأزرقى فى رواية أن طول الكعبة كان سبعة وعـشرين ذراعا، فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا، ونقصوا من عرضها أذرعا أدخلوها فى الحجر.

أقول: بناء قريش ثابت على القول المشهور بعـد بناء الخليل، وقد علمت فيما سبق أن الخليل صلوات الله عليـه جعل طولهـا فى السمـاء تسعـة أذرع كمـا تضافـرت به الأقوال، وستـقف على ذلك من كلام الأزرقى أيضًـا عند ذكر بناء ابن الزبيـر آنفا، فمـا نقله من أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا . . . إلخ، فيه مناقضة لما سيأتى عنه، ولم يثبت من طريق صحيح أن أحدا بناها بعد الخليل، وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعًا، وما تقدم من بناء العمالقة وجـرهم وقصى بعد الخليل إنما هو مجرد خبـر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل، وعلى تقدير الصحة فـلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقـا. على أن الأزرقى نفسه ذكر

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٦٠.

(٢) إخبار الكرام ص ١٣٠.

(٣) خمر وجهه: غطاه وستره.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٥٨، إخبار الكرام ص ١٣١.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٥٩، إخبار الكرام ص ١٣١.

بناء العمالقة، وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما، نعم نقل الفاسى رحمه الله عن الزبير بن بكار: أن قصيا بنى الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، ثم قال: وفيه نظر، لأنه إن أريد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من أن الخليل جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشا زادت تسعة أذرع، وإن أريد أن قصيا جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعًا فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين فى بناء الخليل، ومن الجهة الشامية واليمانية لا يبلغ خمسة وعشرين وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم لم يبنها إلا على قواعده غير أن قريشا استقصرت عن عرضها فى الجهة الشرقية والغربية أذرعا لأمر اقتضاه الحال هذا معنى كلام الفاسى. ثم على تقدير حمل الخمسة والعشرين ذراعا فى بناء قصى على أنه ارتفاع البيت فى السماء وإن كان يخالف المشهور، فليس فيه دلالة لما رواه الأزرقى لنقصه ذراعين، فيكون ما نقله الأزرقى مجرد رواية لم يعضدها شىء فلا يعول عليه، والله الموفق.

وروى أن أبا وهب المخزومى قال لقريش عند بناء البيت: لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا طيبا، ولا تدخلوا فيه مهر بغى[1]، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد إبراهيم[2]. والله أعلم.

وأما سبب بناء ابن الزبير ﷺ: فهو أن الحصين بن نمير لما قدم مكة، ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير، جمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم فى المسجد الحرام حول الكعبة، ونصب خياما يستظلون فيها من الشمس، وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشبى مكة، وهما، أبو قبيس والأحمر الذى يقابله، وصار يرمى به على ابن الزبير وأصحابه فتصيب الأحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها وصارت كأنها جيوب النساء[3].

ثم إن رجلا من أصحاب ابن الزبير أوقد نارا فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الأسود واليمانى، والمسجد يومئذ صغير، وكانت فى ذلك اليوم رياح شديدة،

(١) البغى: المرأة الزانية الفاجرة. (٢) إخبار الكرام ص ١٣١.

(٣) اخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٢ وما بعدها.

والكعبة إذ ذاك مبنية بناء قريش: مدماك من ساج ومدماك من حجارة، فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت واحترق الساج الذى بين البناء، فازداد تصدع البيت وضعفت جدرانه، وتصدع الحجر الأسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة، ففزع لذلك أهل مكة، وأهل الشام، أعنى الحصين وجماعته[١].

وعن الفاكهى: أن سبب حريق البيت إنما كان من بعض أهل الشام أحرق على باب بنى جمح، وفى المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ فى البيت، فظن الفريقان أنهم هالكون[٢].

قال الجد رحمه الله: قلت: وهذا يخالف ما ذكر من أن السبب فى ذلك إنما هو من بعض أصحاب ابن الزبير، ولعل ما ذكره الفاكهى أصوب، على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك[٣]: فيكون السبب مركبا. والله أعلم. انتهى معناه.

فائدة: أخرج الأزرقى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: أول ما تكلم فى القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة وهذا من قدر الله. وقال آخر: ما قدر الله هذا[٤].

ثم جاء نعى[٥] يزيد بعد ذلك بتسعة وعشرين يوما والحصين مستمر على حصار ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير إلى الحصين جماعة من قريش فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا له: إن هذا من رميكم لها، فأنكر ذلك ثم ولى راجعًا إلى الشام فدعا ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم فى هدم الكعبة فأشار عليه القليل من الناس بذلك وأبى الكثير.

وكان أشدهم إباء عبد الله بن عباس، وقال دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها، فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرفع بيت الله، واستقر رأيه على هدمها رجاء أن يكون هو الذى يردها على قواعد الخليل صلوات الله

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٣.
(٢) إخبار الكرام ص ١٣٣.
(٣) إخبار الكرام ص ١٣٣.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٩٧.
(٥) انظر فى ذلك: أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٣.

عليه، لقوله ﷺ لعائشة ﷺ: «لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين» وفى رواية: «حديث عهدهم بكفر»(١).

نكتة: اعلم أن للمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة أحوال: مخبر عنه بكون غير مقيد، ومخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه، ومخبر عنه بكون يدرك معناه عند حذفه. فمن الثانى قوله ﷺ: «لولا قومك حديثو عهد ...» الحديث. ولولا زيد غائب لم أزرك، فالخبر فى هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لأنه لو اقتصر فى هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة، وهو خلاف المقصود، إذ من أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل، وفى هذا الحال لا مانع من نقض الكعبة وبنائها على الوجه المذكور، وقد ذكره ابن مالك فى شواهده على «صحيح البخارى» بأبسط من هذا فراجعه إن أردته.

ثم إن ابن الزبير ﷺ أمر بهدم الكعبة وكان ذلك سنة أربع وستين من الهجرة فى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة. أخرجه الأزرقى. وقيل: سنة خمس وستين(٢).

فلم يجترئ على ذلك أحد، وخرج أهل مكة إلى منى وأقاموا بها ثلاثا خوفا أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك. وخرج عبد الله بن عباس إلى الطائف، فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء صعدوا معه وهدموا وأرقى ابن الزبير [فوقها] عبيدا من الحبشة يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال فيه ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»(٣).

لطيفة: قال بعض العلماء: إنما صغر ذو السويقتين، لأن فى سيقان الحبشة دقة وحموشة ـ أى بالحاء المهملة والشين المعجمة ـ قال فى «الصحاح»: رجل أحمش الساقين دقيقهما.

أقول: فعلى هذا يكون العطف تفسيريا. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٤.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٦.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٥ وما بين حاصرتين منه.

قال الجد رحمه الله: فإن قلت: هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٧) ولأن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة لمسلمين.

قال: (الجواب) أن ذلك محمول على وقوعه في آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض قرآن ولا إيمان. انتهى بمعناه.

أقول: ويؤيده ما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال الله تعالى: إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته، ثم أخرب الدنيا على أثره. انتهى.

قال شيخ الإسلام فى «فتح الباري»: وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له فى زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وفى وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة، كل ذلك لا يعارض الآية أعنى قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ لأن ذلك إنما وقع بأيدى المسلمين، فهو مطابق لقوله ﷺ: «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله». وليس فى الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها. انتهى.

وقال الزركشي: والحق فى الجواب أنه لا يلزم من قوله: ﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾ وجود ذلك فى كل الأوقات فلا يعارضه ارتفاع هذا المعنى فى وقت آخر. فإن قيل: قد قال ﷺ: «إنى أحلت لى مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة». قلنا: أما الحكم بالحرمة والأمن فلم يرتفع إلى يوم القيامة، وأما وقوع الخوف فيها وترك حرمتها فقد وجد ذلك فى أيام يزيد وغيرها. انتهى.

وعن الحليمى من الشافعية أن تخريب الحبشة للبيت يكون فى زمن عيسى عليه السلام، والصحيح بأن ذلك بعد موته.

ولما انتهى ابن الزبير رضي الله عنه من هدم البيت حفر عن الأساس من نحو الحِجْر - بكسر الحاء - ليقف على قواعد إبراهيم فلم يصب شيئًا فشق عليه ذلك فبالغ فى الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد إبراهيم فإذا هى صخر أمثال الخلف من الإبل - بالخاء المعجمة واللام.

وعن عطاء أنه قال: كنت فى الأمناء الذين جمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفًا فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل، فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة بأسرها. ورأوه بنيانًا مربوطا بعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير وكبر[١].

ثم أحضر الناس وأمرهم بالإشراف فنزلوا وشاهدوا ذلك. فشرع حينئذ فى أمر البناء وأراد أن يبنيها بالورس، فقيل له: إن الورس يذهب. ولكن ابنها بالقَصة[٢]، وأخبر أن قصة صنعاء[٣] أجود فأرسل بأربعمائة دينار يشترى بها ذلك[٤].

وفى «الزهر الباسم» أنه بناها بالرصاص المذاب بالورس.

ثم إنه سأل رجالا من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها؟ فأخبروه بمقلعها، فنقل ما احتاج إليه وعزل من حجارة البيت ما يصلح أن يعاد فيه، ثم بنى على تلك القواعد بعد بأن جعل أعمدة من الخشب وستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها ويصلون إليها حتى ارتفع البناء[٥].

وأخرج الأزرقى أن البناء لما صار ثمانية عشر ذراعا فى السماء وكان هذا طولها يوم هدمها، قصرت حينئذ لأجل الزيادة التى زادها من الحجر، فلم يعجب ابن الزبير ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها، فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع، وزادت قريش تسعة أذرع، وأنا أزيد تسعة أخرى. فبناها سبعة وعشرين ذراعا وعرض الجدار ذراعان. وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد. وكانت قريش جعلت فيها ست دعائم فى صفين، وأرسل إلى صنعاء فأتى برخام منها يقال له البلق، فجعله فى الروازن الذى فى سقفها للضوء[٦]. انتهى.

أقول: هذا يخالف ما تقدم عن الأزرقى من أن طول البيت كان سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش إلخ كما سبق الكلام فيه. انتهى.

---

(١) إخبار الكرام ص ١٣٦.

(٢) القَصّة ـ بالفتح ـ الجِصّ، لغة حجازية.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى «صفا» وصوابه لدى الأزرقى.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٥، إخبار الكرام ص ١٣٦.

(٥) بإخبار الكرام ص ١٣٧.

(٦) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٩.

وجعل ابن الزبير للبيت بابين متقابلين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه، وفى «شفاء الغرام» أنهما لاصقان بالأرض.

قال الحافظ ابن حجر: جميع الروايات التى جمعتها فى هذه القصة متفقة على أن ابن الزبير جعل الباب بالأرض. ومقتضاه أن يكون الباب الذى زاده على سمته.

وقد ذكر الأزرقى أن جملة ما غيره الحجاج: الجدار الذى من جهة الحجر، والباب المسدود الذى فى الجانب الغربى عن يمين الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب الأصلى وهو أربعة أذرع وشبر[1].

وهذا موافق لما فى الرواية المذكورة لكن المشاهد الآن فى ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلى، وهو فى الارتفاع مثله. ومقتضاه أن يكون الباب الذى فى عهد ابن الزبير لم يكن لاصقًا بالأرض فيحتمل أن يكون لاصقًا كما صرحت به الروايات، لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذى يقابله أيضًا ثم بدا له فسد الباب المجدد. لكن لم أر النقل بذلك صريحًا، ثم قال: وذكر الفاكهى أنه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة فى سنة ثلاثة وستين ومائتين فإذا هو مقابل باب الكعبة، وهو بقدره فى الطول والعرض، وفى أعلاه كلاليب ثلاثة كما فى الباب الموجود سواء، والله أعلم. انتهى.

قال الجد رحمه الله: قوله ويحتمل أن يكون لاصقًا كما صرحت به الرواة فيه بعد اذ مشاهدة البناء من أسفل الباب وارتباط بعضه ببعض يقضى بخلاف ذلك، والله أعلم. انتهى.

أقول: وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين، ولما انتهى إلى موضع الحجر الأسود تحرى غفلة الناس نصف النهار فى يوم صائف، وجاء بالحجر هو وولده وجبير بن شيبة ووضعوه بأيديهم. كذا فى «الزهر الباسم» وقيل: بل الحجبة تواعدوا لوضع الركن، فلما دخل ابن الزبير فى صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فأدركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فأخذ بطرف الثوب فرفعه معهم. وقيل: بل وضعه ابن الزبير بنفسه وشده بالفضة. وقيل: وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبة،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٠.

أمرهما عبد الله بن الزبير أن يجعلا الركن فى ثوب ويخرجا به، وهو يصلى بالناس الظهر على غفلة من الناس لئلا يعلموا بذلك فيتنافسوا فى وضعه. أخرجه الأزرقى[١].

وقيل: وضعه حمزة ابنه وحده بأمر أبيه. نقله السهيلى بالصواب.

وكان الحجر قد تصدع من الحريق وانفرق ثلاث فرق، وانشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد الحريق بدهر طويل، فشده ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية، وموضعها بين فى أعلى الركن. ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك وتقلقلت حتى خيف على الحجر. فلما اعتمر هارون الرشيد فى سنة تسع وثمانين ومائة أمر بنقب الأحجار التى فوق الحجر والتى تحته فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة.

ولما فرغ ابن الزبير رضي الله عنه من بناء الكعبة وذلك فى سابع وعشرين من رجب من سنة خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدرانها من خارج بذلك من أعلاها إلى أسفلها وسترها بالديباج، وقيل: بالقباطى، وما فضل من الحجارة فرشها حول البيت، وقال: من كانت لى عليه طاعة فليعتمر من التنعيم شكرا لله عز وجل، ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله. ثم خرج ماشيا حافيا وخرج معه رجال من قريش مشاة حفاة: عبد الله بن صفوان وعبيد بن عمير فأحرم من أكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوة تقارب المسجد المنسوب لعلى، وجعل طريقه على ثنية الحجون، ودخل من أعلى مكة وطاف بالبيت، واستلم الأركان الاربعة، وقال: إنما كان ترك استلام الركنين يعنى الشامى والغربى لأن البيت لم يكن تامّا يعنى على قواعد إبراهيم. وصارت هذه العمرة سنة عند أهل مكة فى هذا اليوم يعتمرونها فى كل سنة إلى يومنا هذا.

وأهدى ابن الزبير فى تلك العمرة مائة بدنة نحرها من جهة التنعيم، وبعض طرق الحل ولم يبق من أشراف مكة وذوى الاستطاعة بها إلا من أهدى، وأقاموا أياما يتطاعمون ويتهادون شكرا لله تعالى على الإعانة والتيسير على بناء بيته الحرام بالصفة التى كان عليها مدة الخليل عليه السلام، والله أعلم.

(وأما سبب بناء الحجاج وتغييره) بعض ما صنعه ابن الزبير فهو أن ابن الزبير رضي الله عنه لما

(١) اخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٨، ٢١٩.

قتل، كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد زاد في الكعبة ما ليس منه وأحدث فيها بابا آخر، واستأذنه في رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش. فكتب إليه عبد الملك: لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاد في طوله فأخره. وأما ما زاد فيه من الحجر - بكسر الحاء - فرده إلى بنائه وسد بابه الذي فتحه - يعني الغربي -.

فبادر الحجاج عند ذلك ونقض الشق الذي يلي الحجر - بالكسر أيضًا - وبناه ورفع بابها وسد الباب الغربي[1].

وقد روى غير واحد من أهل العلم أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج في ذلك، ولعن الحجاج لما أخبره الحارث أن عبد الله بن أبي ربيعة سمع الحديث من عائشة رضي الله عنها الذي اعتمده ابن الزبير فيما فعله في الكعبة. وهو قوله ﷺ: لولا قومك[2]... إلخ.

وكل شيء فيها الآن بناء ابن الزبير ما عدا الجدار الذي في الحجر وسد الباب الغربي وتغيير ما تحت عتبة الباب الشرقي والدرجة التي في باطنها.

وروى أن هارون الرشيد أو أباه المهدي أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضي الله عنه في هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للحديث المذكور. فقال مالك: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس[3].

قال الفاسي: وكأن مالكا لحظ في ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وهي قاعدة مشهورة معتمدة انتهى. والله أعلم[4].

فصل في ذكر كنز الكعبة والحكم فيه

روى البخاري عن أبي وائل، قال: جلست مع شيبة - يعني ابن عثمان - على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر. ثم قال: لقد هممت أن لا أدع فيها

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢١٠، إخبار الكرام ص ١٤٥.
(٢) إخبار الكرام ص ١٤٦.
(٣) إخبار الكرام ص ١٤٧.
(٤) إخبار الكرام ص ١٤٧.

صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبيك لم يفعلا (أي رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه) قال: - يعني عمر - هُمَا المرآن أقتدى بهما[١].

أقول: جلوس شيبة على الكرسى فى الكعبة، قال المحب الطبرى: لما أخبر شيبة أن النبى ﷺ وأبا بكر لم يتعرضا للمال رأى عمر أن ذلك هو الصواب.

وكأنه رأى حينئذ أن ما جُعِل فى الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره، أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر أنه تركه صاحباه مع رؤيته جواز إنفاقه فى سبيل الله، لأن صاحبيه إنما تركاه للعذر الذى تضمنه حديث عائشة رضي الله عنها[٢]. انتهى.

وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: يحتمل أن يكون تركه ﷺ لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد بناء إبراهيم، ويؤيده ما وقع عند مسلم فى بعض طرق الحديث: ولأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض وهذا التعليل هو المعتمد عليه، فإنفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم لزوال سبب الامتناع. انتهى.

فائدة: أخرج الأزرقى فى «تاريخه» أن النبى ﷺ وجد فى الجب الذى فى الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت، وأن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لو استعنت بهذا المال على حربك. فلم يحركه. ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه[٣].

وأخرج أيضا أن الحسين بن الحسين العلوى عمد إلى خزانة الكعبة فى سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما، وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا[٤].

ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق. ولم يخالط مالا قط إلا محق[٥]. وأدنى ما يصيب آخذه أن يشدد عليه عند الموت.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٥ وما بين حاصرتين منه، القرى ص ٥٢١، منائح الكرم ج ١ ص ٣٨٠.

(٢) القرى لقاصد أم القرى ص ٥٢١.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٦.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٧.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٧.

فروع: الأول: تختص الكعبة الشريفة بما يهدى إليها وما ينذر لها من الأموال وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح، إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه. وإلا فلا يغير شيء عن وجهه. نبه عليه الزركشي في الشافعية.

الثاني: إذا نذر شمعًا يشعله فيها أو زيتًا ونحوه وضعه في مصابيحها. وإن كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها. صرح به الماوردي.

الثالث: نقل الجد في «منسكه» مسألة تعم بها البلوى، فقال: شخص نذر أن يوقد شمعًا على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا، فجاء الحجبة فأخذوه ومنعوا استمرار وقوده، وقالوا: هذه عادتنا مع كل أحد. وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال؟.

الجواب: الناذر خلص عن عهده المنذور لبلوغه محله، وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه، وإن كان على الحجبة إبقاؤه موقودا إلى نفاده. ولا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك. ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره، وإلا فإن كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة، ومقتضى كلام النووي عدم الصحة. وصرح به الأذرعي وتبعه الزركشي انتهى.

أقول: مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر. وأما الحجبة فلهم أخذه بغير إذن المرسل، إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه. نص عليه في «القنية» من كتب المذهب انتهى.

الرابع: تصح صلاة الفرض والنفل عندنا في الكعبة من غير كراهة بجماعة وغيرها، وتجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة. ومذهب الإمام الشافعي رحمه الله كمذهبنا في جواز الفرض والنفل في باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده، لكن يشترط في الفريضة أن لا يرجو المصلي جماعة خارج الكعب.

قال الشافعي رحمه الله: ما تفوتني فريضة في جماعة فأصليها في موضع أحب إلى من بطن البيت، لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها. وأما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون أمام المصلي شاخص قدر ثلثي ذراع تقريبا من جدار الكعبة وهو الصحيح من مذهبه، ومذهب الإمام مالك رضي الله عنه عدم جواز الفريضة في جوف البيت وكذلك السنن المؤكدة كالعيدين والوتر وركعتي الفجر وما أشبهها على مشهور مذهبه. وأما النفل فيجوز. وأما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع ومذهب الإمام أحمد رضي الله عنه أن صلاة الفريضة في الكعبة لا تصح، وفي النافلة خلاف بين أصحابه. والأصح الصحة، وكذا الحكم في السطح عندهم في الفريضة والنافلة.

فصل في الكلام على دخوله ﷺ الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها وبيان مصلاه منها وعدد[1] دخوله

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة وبعث إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح وفتح له الباب ودخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليهم ومكث فيها ما شاء ثم خرج. قال ابن عمر رضي الله عنهما: فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله ﷺ؟ فقال: جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه. وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين[2].

وفي البخاري عن ابن عمر أيضًا، أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل ويجعل الباب قبل ظهره [فمشى] حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قِبَل وجهه قريب من ثلاثة أذرع، فيصلّي [وهو] يتوخّى المكان الذي أخبره بلال أن رسول الله ﷺ صلى فيه[3].

وقد أوضح ابن عمر رضي الله عنه موضع مصلاه ﷺ في الحديث إيضاحا شافيا.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عدم». (٢) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦٦.
(٣) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦٨، وما بين حاصرتين منه.

وأخرج الأزرقى أن معاوية لما دخل الكعبة استدعى ابن عمر وهو فيها فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أين صلى رسول الله ﷺ منها؟ قال: بين العمودين المُقَدَّمَين، اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة[١].

فوائد: الأولى: قال الحافظ أبو الفضل العراقى: وينبغى للمصلى أن لا يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع، فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلى رسول الله ﷺ، وإن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى وذراعاه فى مكان قدمى النبى ﷺ، فهذا أولى من التقدم عنه[٢]. والله أعلم انتهى.

الثانية: إدخال النبى ﷺ هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخص كل واحد منهم.

(أما دخول عثمان بن طلحة) فلئلا يتوهم الناس أنه عزله أو لأنه كان يقوم بفتح الباب وإغلاقه.

(وأما بلال) فلكونه مؤذنه وخادم أمر صلاته.

(وأما أسامة) فلأنه كان يتولى خدمة ما يحتاج إليه.

الثالثة: أن الحكمة فى غلق عثمان الباب عليهم لأمرين: لئلا يزدحم الناس عليه ﷺ، ولئلا يظنوا أن الصلاة فيه سنة. قاله الكرمانى.

وهذا الدخول الذى وقع فى يوم الفتح هو أول دخوله ﷺ بعد الهجرة. ولا خلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما.

وقيل: إنه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات أخر: **الأولى:** فى ثانى الفتح لحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فى مسنده عن أسامة رضي الله عنه وفيه أنه ﷺ صلى ركعتين ولم يصل يوم الفتح.

الثانية: فى عمرة القضية لما رواه المحب الطبرى فى «القِرَى»[٣] عن عروة بن الزبير.

الثالثة: فى حجة الوداع لما أخرجه أبو داود فى سننه عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضي الله عنها وقد ضعفها العلماء. وبين الفاسى رحمه الله ما فيها من الوهن والضعف.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٧١. (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٧.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «الغرر».

ونقل الأزرقى أيضًا أنه ﷺ إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها[١] . انتهى والله أعلم.

وهذا يدل على عدم دخوله فى المرات الثلاث.

(استطراد مفيد): أجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون أن حجة الوداع كانت وقفتها الجمعة بلا ريب ونقل النووى فى «الروضة» أن وفاة النبى ﷺ كانت ضحوة يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول. كذا نقله ابن سيد الناس[٢] وغيره من أصحاب السير، وهو مذهب الجمهور الراجح. واعترضه بعض العلماء بأنه لا يستقيم أن تكون وفاته ﷺ يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول حيث كانت الوقفة فى عام حجة الوداع سواء تمت الشهور الثلاثة التى بقيت من عمره ﷺ أم نقصت أم تم بعضها، لأنها إن تمت كان الثانى عشر من ربيع، الأحد. لأنه يكون أول ذى الحجة الخميس وآخره الجمعة وأول المحرم السبت وآخره الأحد وأول صفر الاثنين وآخره الثلاثاء وأول ربيع الأربعاء وحينئذ يكون ثانى عشره الأحد، وإن نقص شهر واحد كان أول ربيع الثلاثاء فيكون ثانى عشره السبت وإن نقص شهران كان أول ربيع الاثنين وثانى عشره الجمعة وإن نقصت الثلاثة كان أول ربيع الأحد وثانى عشره الجمعة.

قال العلامة ابن العماد: وهذا الاعتراض ساقط من أصله، والصواب ما قاله الجمهور وصاحب «الروضة» وذلك أن التاريخ إنما يقع برؤية الهلال، والأهلة تختلف بحسب اختلاف المطالع، وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعد عنهم كما قاله الأصحاب واتفقوا عليه فى كتاب الصيام.

فحينئذ فأهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخميس ووقفوا الجمعة. وأهل المدينة يجوز أنهم رأوه ليلة الجمعة لأن مطلعهم مختلف مع أهل مكة، فإذا تمت الشهور كان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت، وكان أول ربيع الأول الخميس فيكون ثانى عشره الاثنين وهذا الجواب صحيح، ويتصور أيضًا بغير هذا.

والعجب ممن يقدم على تغليط جمهور العلماء ويغفل عن قاعدة التاريخ وأقوال العلماء

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦٩، والقرى ص ٤٩٥.

(٢) سيرة ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٣٨.

فى اختلاف المطالع ورؤية الأهلة. انتهى ما قاله ابن العماد ملخصا من «سيرته» وهو قول عظيم وبحث مستقيم فلهذا أثبته والله أعلم.

(وقد استحب الأئمة الأربعة ﷺ) دخول الكعبة واستحسن مالك كثرة دخولها. ونقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلا بما روى عن عائشة ﵂ قالت: خرج رسول الله ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع إلىَّ وهو حزين، فسألته فقال: إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى. أخرجه أحمد والترمذى[1].

ولا دلالة فيه على ذلك، بل دخوله ﷺ دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله ﷺ بالشفقة على أمته، ولا يرفع ذلك حكم الاستحباب. قاله المحب الطبرى[2].

(اعلم) أن لدخول الكعبة آدابا كثيرة، منها: الاغتسال كما روى عن بعض العلماء.

ومنها: نزع الخف والنعل لما فى «سنن» سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد، وكرهه مالك ﵁ وهو مذهب أحمد ﵁.

أقول: مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياسًا على الصلاة فى الخف والنعل، قال فى النصاب من كتب المذهب المختار أن الصلاة فى الخفاف والنعل أقرب إلى حسن الأدب انتهى. والله الموفق.

فائدة: أخرج الأزرقى أن قريشًا لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة إعظاما لها الوليد بن المغيرة، فجرى ذلك سنة[3]. والوليد هذا هو جدنا لأن نسب بنى ظهيرة متصل به وكان إسلامه . . . .[4].

ومنها: أن لا يرفع بصره إلى السقف لحديث عائشة ﵂ قالت: دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خَلَّف بصرُهُ موضعَ سجوده حتى خرج منها. أخرجه البيهقى فى «سننه» والحاكم فى «المستدرك» قال المحب الطبرى: وإنما كره ذلك لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد[5].

---

(١) أورده صاحب القرى ص ٤٩٤.
(٢) القرى ص ٤٩٤.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٧٤.
(٤) بياض بالأصلين.
(٥) القرى ص ٥٠٢.

ومنها: أن لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذى. نص عليه النووى وغيره.

ومنها: أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر[١].

ومنها: أن يلزم قلبه[٢] الخشوع وعينيه الدموع إن استطاع ذلك[٣].

ومنها: أن لا يسأل مخلوقًا لما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال: لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، فقال: سلنى حاجتك. فقال: إنى أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره[٤].

وذكر الفاكهى أن التارك لسؤال هشام إنما هو منصور الحجبى. والله أعلم.

فصل فى ثواب دخول الكعبة الشريفة

وفيما يطلب من الأمور التى فعلها رسول الله ﷺ

أما ثواب دخولها فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل البيت فصلى فيه دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له» ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وفى «رسالة الحسن البصرى» عنه ﷺ «من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عز وجل وفى حمى الله عز وجل وفى أمن الله عز وجل، ومن خرج خرج مغفورا[٥] له».

وفى رواية عن مجاهد أنه زاد: يخرج معصوما فيما بقى، نقله ابن جماعة. ثم قال: يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الإسلام.

وعن عطاء رضي الله عنه قال: لأن أصلى ركعتين فى الكعبة أحب إلى من أن أصلى أربعا فى المسجد الحرام. وعن الحسن أنه قال: الصلاة فى الكعبة تعدل مائة ألف صلاة، أخرجهما الفاكهى[٦].

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «قبله» وصوابه لدى المحب الطبرى فى القرى ص ٤٠٢، وشفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٥) ذكره السيوطى فى الجامع الكبير ج ١ ص ٧٧٦ عن ابن عباس، وعزاه للطبرانى والبيهقى فى السنن.

(٦) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٦.

وأخرج الأزرقى عن موسى بن عقبة قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كما طفنا سبعًا دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين.

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد أن دخل الكعبة:

أبعد دخول البيت والله ضامن

يبقى قبيح والخطايا الكوامنُ

فحاشا وكلا بل تسامح كلها

ويرجع كل وهو جذلان آمن(١)

وأما ما يطلب فى الكعبة من الأمور التى فعلها رسول الله ﷺ فالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار للأحاديث الدالة على ذلك فى «الصحيحين» وغيرهما. وفيهما أيضًا عن أسامة أنه ﷺ حين خرج من البيت ركع قُبُل البيت ركعتين، وقال: هذه بالقبلة. وقبل: بضم القاف والباء الموحدة، ويجوز إسكان الموحدة وهو ما استقبلك(٢) منها.

وفى معنى قوله ﷺ هذه القبلة ثلاثة احتمالات. **الأول:** أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا إليه أبدا **الثانى:** أن معنى ذلك أنه ﷺ علمهم سنة موقف الإمام وأنه يقف فى وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها وإن كانت الصلاة فى جميع جهاتها مجزئة. قالهما أبو سليمان الخطابى رحمه الله **الثالث:** قاله النووى رحمه الله فى «شرح مسلم» بعد ذكره للاحتمالين الأولين، وهو أن معناه هذه بالكعبة هى المسجد الحرام الذى أمرتم باستقباله لا كلّ الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذى حول الكعبة بل هى الكعبة نفسها فقط(٣). والله أعلم.

أقول: قد ظهر لى احتمال آخر لم أر أحدا ذكره وهو أنه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم والتشريف والتأكيد لأمرها والإشادة بذكرها على حد قوله ﷺ لعمر ﷺ عند الحجر الأسود: هاهنا تسكب العبرات. والله الموفق.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٦.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.

وروى أنه ﷺ لما دخل البيت وقف عند كل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار.

وأخرج الفاكهى أن النبى ﷺ لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده.

قال الفاسى رحمه الله: وهذا غريب جدا والله أعلم بصحته. ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستحبابه[١] . انتهى.

ومن الأمور التى صنعها النبى ﷺ فى الكعبة على ما قيل أنه ألصق بطنه وظهره بها. واستحب ذلك الحافظ العراقى ونقل الطبرى الكراهة فى ذلك[٢] . والله تعالى أعلم.

فائدة: ذكر ابن الصلاح رحمه الله فى منسكه أن مما أحدثه بعض الفجرة فى جوف الكعبة بعد الستمائة بدعتين: إحداهما: العروة الوثقى، وذلك أنهم عمدوا إلى موضع عال داخل الكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثقى وأوقعوا فى العقول الضعيفة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فالجأهم ذلك إلى أن يقاسوا فى الوصول إلى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضا، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها فيلحقهم بذلك أنواع الضرر دنيا ودينا.

الثانية: أن فى وسط البيت مسمارا سموه سرة الدنيا وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار فلا قوة إلا بالله. انتهى.

قال السيد الفاسى رحمه الله: وهذان الأمران لا أثر لهما الآن فى الكعبة. وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى فى سنة إحدى وسبعمائة بأمر بعض العلماء الواردين فى السنة المذكورة انتهى. ولم يذكروا زوال البدعة الأخرى متى كان.

أقول: قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم: وربما صعدت الأنثى فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال إذ ذاك جميعا، وإنما اختص النساء بانفرادهن فى الدخول بعد ذلك. انتهى.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٠.

الباب الرابع

فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة
زادها الله شرفا وتطيبها وتحليتها ومعاليقها

روى الأزرقى رحمه الله عن النبى ﷺ أنه نهى عن سب أسعد الحميرى وهو تبع، لأنه أول من كسا الكعبة فى الجاهلية كما تقدم، فكساها المسوح ثم الأنطاع ثم الحصر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفى ذلك يقول:

وكسونا البيت الذى حرم اللـ
ـه ملاء مقصبًا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا
قد رفعنا لواءنا معقودا(١)

ويروى أنه لما كساها المسوح والأنطاع انتفضت، فأزال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضا، فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها.

أقول: مقتضى ما رواه الأزرقى من النهى عن سب تبع كونه كسا البيت. وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبى ﷺ قبل أن يبعث وأنه كتب بذلك كتابا وأودعه للعالم الذى أبراه من علته وأوصاه أن يوصله إلى النبى ﷺ إن أدركه هو أو واحد من ولده وكان الأمر كذلك. وإن الكتاب وصل إلى النبى ﷺ وقرئ عليه فقال: مرحبا بالأخ الصالح فينبغى أن لا يسب تبع مطلقًا لأنه من جملة المؤمنين والمؤمن لا يباح سبه.

وأيضا قد تقدم أن تبعا لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة. وقوله هنا فى ثالث الأبيات المنسوبة إليه: وخرجنا منه نؤم سهيلا، يدل على خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٩.

وقيل إن إسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة، وكانت فى الجاهلية تكسى أكسية شتى ما بين وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية، وإذا خلق منها شيء أخلف مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك.

وكساها في الإسلام(١) سيدنا رسول الله ﷺ الثياب اليمنية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم معاوية، وابن الزبير ومن بعدهما.

ويقال: إن أول من كسا البيت الديباج، الحجاج. وقيل: يزيد بن معاوية، وقيل: ابن الزبير، وقيل: عبد الملك بن مروان.

وكانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحجاج، حتى كانت دولة بنى هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكى يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا الإزار(٢).

وكان عمر ﷺ يكسوها من بيت المال، وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ ما كان يجلل به بدنه من القباطى والحبرات والأنماط.

وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان لأجل العيد(٣).

والقَباطى ـ بفتح القاف جمع قُبطية بضم القاف ـ وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خص بالثياب، وأما فى الناس فقِبطى ـ بكسر القاف ـ لا غير. والوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية. والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا أيضا وهو من ثياب اليمن. ويقال له برد حبرة وبرد حبرة على الوصف وعلى الإضافة. والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والإضافة أيضا. والأنماط ضرب من البسط واحدها نمط.

وممن كسا البيت الصليحى صاحب اليمن ومكة، وذلك فى زمن الحاكم العُبَيْدى، والمستنصر العبيدى. وكانت من الديباج الأبيض(٤).

---

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٥.
(٢) إخبار الكرام ص ١٦٠.
(٣) إخبار الكرام ١٦٠.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٨.

وكساه أيضا من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيزار بعد مراسلته واستئذانه لملوك مصر وإرسال الكسوة إلى مصر، ثم وصلت إلى مكة صحبة الحاج وذلك سنة خمس وخمسين وثمانمائة(١).

وكساه أيضا السلطان محمود بن سبكتكين الديباج الأصفر، وذلك فى سنة ست وستين(٢) وأربعمائة.

فوائد:

الأولى: كان عمر بن الخطاب ﷺ ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحاج.

الثانية: ذكر بعض العلماء حكمة حسنة فى سواد كسوة الكعبة، فقال: كأن البيت يشير إلى أنه فقد أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عيهم.

الثالثة: ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير، وسبب ذلك أنها أضلت العباس وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك، وهى أول عربية كستها الحرير(٣).

ومنهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات وغيرها، وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة(٤). ورباطه المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخاص على يمين الخارج من باب الحزورة أحد أبواب المسجد الحرام، ويقال: إن عدنان كساها أيضًا كذلك وخالد بن جعفر ابن كلاب.

---

(١) إخبار الكرام ص ١٦١.

(٢) كذا فى الأصلين، ومثله لدى الأسدى، وهو ينقل عن المؤلف. وفيه نظر، لأن محمود بن سبكتكين مات سنة ٤٢١هـ.
أبو المحاسن موضحًا: «وفى سنة ٤٦٦هـ، ورد إلى مكة إنسان عجمى يعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملكشاه، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر، وعليها اسم محمود بن سبكتكين وهى من استعماله، وكانت مودعة بنيسابور من عهد محمود بن سبكتكين عند إنسان يعرف بأبى القاسم الدهقان، فأخذها الوزير نظام الملك وأنفذها مع المذكور» (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٩٥).

(٣) إخبار الكرام ص ١٥٩.

(٤) إخبار الكرام ص ١٦٢.

الرابعة: نقل القاضي تقي الدين رحمه الله أن كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه إلى الموقف بعرفة، فإذا كان يوم النحر يأتي بها من منى إلى مكة لأجل اللبس، ثم صار أمراء الحاج بعد ذلك يضعونها في الكعبة قبل الصعود إلى الحج. وموجبه أن بعضها كان سُرِق في بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد إليه بمال بذله[١]. انتهى بمعناه.

الخامسة: أول من كسا الكعبة الديباج الأسود الناصر العباسي. فاستمر ذلك إلى يومنا هذا. ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحي القاهرة يقال لها بيسوس[٢]، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، وكان الناصر العباسي كسا البيت ديباجا أخضر قبل الأسود[٣].

السادسة: نقل الفاسي رحمه الله، أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السَّدَنَة ستارة باب الكعبة في كل سنة، مع جانب كبير من كسوتها، أو ستة آلاف درهم كاملية عوضًا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس[٤] لما ولي أمر مكة في آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وتبعه أمراء مكة في الغالب. ثم إن السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم. انتهى[٥].

وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة إلى يومنا هذا.

وأخرج الأزرقي رحمه الله عن شيبة بن عثمان أنه دخل على عائشة ﵂، فقال: يا أم المؤمنين، إن الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر، فنعمد إلى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب والحائض، فقالت عائشة ﵂: ما أصبت، وبئس ما صنعت، إن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، ولكن بعها وتصدق بثمنها[٦]. ونقل جواز البيع عن ابن عباس أيضًا.

(١) شفاء الغرام ج - ص ٢٠٤.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «بيسوس» وصوابه من د، وإخبار الكرام.

(٣) إخبار الكرام ص ١٦٣.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «مغاس» وصوابه من د، وشفاء الغرام.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٥.

(٦) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦١.

فروع: الأول: يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا إذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم، ويجوز الشراء من بنى شيبة لأن الأمر مفوض إليهم من قبل الإمام. نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى «شرح منظومته» ووافقه السبكى من الشافعية، ثم قال: وعليه عمل الناس. والمنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها إلى الإمام يصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعًا وإعطاء، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفى «قواعد» صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدى[1] انه لا يتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الإمام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها، واستحسن النووى الجواز أيضا[2].

قال الجد رحمه الله: هذا فى الستور الظاهرة، وأما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ما هى عليه لأن الكلام إنما هو فى الستور التى جرت العادة أن تغير فى كل عام، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة. انتهى.

الثاني: لو نذر شخص أن يكسو البيت صح نذره وستره بالحرير أو بغيره لأن ذلك من القربات. ذكره النووى رحمه الله.

الثالث: لو سرق إنسان شيئا من ستر الكعبة أو من فضة بابها لا يقطع عندنا لعدم الجواز. والله أعلم.

ذكر تطييب الكعبة المشرفة

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: طيّبوا البيت فإنّ ذلك من تطهيره، ولأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدى لها ذهبا وفضة أخرجه الأزرقى.

وقد تقدم أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها إلى أسفلها ثم كساها وكان يجمرها فى كل يوم برطل من الطيب، وفى يوم الجمعة برطلين. وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به فى الموسم وفى رجب. وأخدمها عبيدا بعث بهم إليها، ثم تبعه الولاة بعد ذلك[3]. وهو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال[4].

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «كليكلندى» وصوابه من د، وشفاء الغرام.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٤.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٥٤.

ولما حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة رفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى أنها قد أثقلتها، ويخشى على الجدران من ذلك، فأمر بتجريدها ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر، ثم كساها ثلاثة ثياب قباطى وخز وديباج وهو جالس فى المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها وهى تطلى. وقيل: إن ما فى أحجارها من السمرة إنما حصل من آثار تلك الغالية[١].

فرع: قال النووى رحمه الله: لا يجوز أخذ شىء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره، ومن أخذ شيئًا من ذلك لزمه رده، فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه[٢].

ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

أخرج الأزرقى رحمه الله أن أول من حلى الكعبة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى ﷺ بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها وسيأتى الكلام على سبب حفر زمزم فى محله إن شاء الله تعالى[٣].

وأما فى الإسلام فالوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى داخلها والأركان[٤].

ثم لما ولى الأمين بن الرشيد أرسل أيضا إلى عامله بمكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار ليحلى بها باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح[٥]. وزاد عليها ما بعثه الأمين وضربه صفائح ومسامير وحلى به الباب، وجعل له حلقتين ذهبا[٦].

وقيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد[٧]. وقيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك وغيرهم بعد ذلك.

فرع: قال النووى والرافعى: تحرم تحلية الكعبة بالذهب والفضة وكذا سائر المساجد.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦٣.
(٢) إخبار الكرام ص ١٦٥.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٥.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١١.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٢.
(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٦.
(٧) إخبار الكرام ص ١٦٦.

وخالفهما السبكى وأفتى بالحل، وقال: إن المنع لا سيما فى الكعبة بعيد وغريب فى المذاهب كلها، قل من ذكره. فلا وجه له ولا دليل يعضده. وهذا فى التحلية بصفائح النقدين، وأما التمويه فلا أمنع من جريان خلاف فيه لأن فى ذلك إفساد مالية. انتهى. ونقل الإمام أبو الليث السمرقندى من أئمتنا إباحة ذلك عن أبى حنيفة ﷺ، ثم قال: وعندى أنه لا بأس به إذا لم يكن من غلة المسجد.

ذكر معاليق البيت الشريف
وما أهدى إليه فى معنى الحلية[1]

أخرج الأزرقى رحمه الله فى «أخبار مكة» أن عمر بن الخطاب ﷺ لما فتح مدائن كسرى، كان مما بعث إليه هلالان من الذهب، فبعثهما عمر إلى الكعبة وعلقهما فى جوفها[2].

وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدحين من قوارير. وبعث ابنه الوليد بقدحين أيضا. وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضًا وبالسرير الزينبى[3]. وبعث السفاح بصحفة خضراء، وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية. وبعث المأمون بياقوتة فاخرة. وبعث الخليفة المتوكل العباسى بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد، وسلسلة من ذهب[4].

وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبده على صورة إنسان، وبالتاج الذى كان على رأس الصنم، وبالسرير الذى كان يوضع عليه. هذا ملخص ما ذكره الأزرقى[5].

---

(١) فى المطبوع: «وما أهدى بعد مضى الجاهلية» والمثبت رواية: د، وشفاء الغرام.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «الرسى» والمثبت رواية د ، والأزرقى.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٥.

(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٠.

(٧) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩١.

وأهدى إلى الكعبة بعد ذلك أشياء أخر ذكرها الفاسى تقى الدين وغيره. ومن ذلك: قفل فيه ألف دينار بعثه إليها المعتصم العباسى فى سنة تسع عشرة ومائتين(٦). ومن ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء كبيرة وزنها كما قيل أربعة وعشرون مثقالا، بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم(٧). ومن ذلك عدة قناديل كلها فضة ما عدا واحدا منها كان ذهبا زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسى فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة(١).

ومن ذلك قناديل محكمة الصناعة ومحاريب مبنية زنة كل محراب أزيد من قنطار، بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين والأربعمائة. ومن ذلك قناديل ذهب وفضة بعثها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة(٢).

ومن ذلك قفل ومفتاح بعث بهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب القفل على باب الكعبة(٣).

ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال، وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبينها ست قطع بلخش فاخرات أيضًا، بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خدابنده(٤) ملك التتار فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة، فأراد الرسول تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فمنعه أمير الركب المصرى فى السنة المذكورة، وقال: لا يمكن ذلك إلا بإذن السلطان، يريد صاحب مصر، وهو إذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون. فلوطف الأمير وعرفه الرسول بأن الوزير نذر أن يعلقهما على باب الكعبة فأذن له فى ذلك، فعلقتا زمنا قليلا ثم أخذهما أمير مكة إذ ذاك وهو رميثة بن أبى نُمَىّ. ومن ذلك أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما قيل قدر الدورق من دوارق مكة. اثنان ذهبا، واثنان فضة. بعث بذلك السلطان شيخ أويس صاحب بغداد فى اثنى عشر لسبعين وسبعمائة، فعلق ذلك فى الكعبة يسيرا ثم أخذه أمير مكة عجلان بن رميثة. هذا ملخص ما ذكره الفاسى(٥).

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.
(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «صعيد بن خرنبدا» وصوابه من د، والفاسى.
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢ و ١٩٣.

ثم قـال: وليس فى الكعبـة الآن - يعنى فى زمـنه - شىء من المعـاليق التى ذكـرها الازرقى. وممـا لم يذكره مما ذكـرنا سوى ستة عـشر قنديلا، منها: ثلاثة فـضة، وواحد ذهب، وواحد بلور، واثنان نحاس، والتسعة الباقية زجاج، وسبب ذلك توالى الأيدى عليه من الولاة وغيرهم[١].

فمن ذلك ما وقع لأبى الفتوح الحسن بن جعـفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم ودعا لنفسه بالإمامة[٢] أنه أخذ من حلية الكعبة وضربها دنانيـر ودراهم، وسميت بالفتحية، وأخذ المحاريب التى أهداها صاحب عمان، ومن ذلك ما وقع لمـحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسينى، أنه فى سنة اثنتين وستين وأربعـمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لكون صاحب مـصر المستنصر العبيدى لم يرسل له شيئًا لاشتغاله بالقحط الذى كادت مصر أن تخرب بسببه[٣].

ومما أهدى للكعـبة بعد الفاسى [نحو عشـرين قنديلا ذهبا، ونحو عشرة فضـة وغير ذلك][٤].

فصل فى الكلام على سدانة البيت
وهى خدمته وتوالى أمره وفتح بابه وإغلاقه

وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فـاستخفوا بحقه أيضا فأهلكهم الله. ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الأمـر إلى أبى غُبْشان، فباع مفتاح البيت من قصى بن كلاب بزق من خمـر، فقـيل فى ذلك أخسـر من صفـقة أبى غُـبْشان، فـذهبت مثلا[٥]. وصارت حـجابة الكعبـة من بعد خـزاعة لقصى، وانتـهى إليه أمـر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة، وهى الحجابة وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ولده عثمـان، ولم تزل تنتقل فى أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة، ثم إلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهى فى ولده إلى الآن.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣.
(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «الأمانة» وصوابه من د، والفاسى.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣.
(٤) بياض بالأصل، وما بين حاصرتين عن إخبار الكرام ص ١٧٢.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ١١٤.

ويروى عن عثمان بن طلحة قال: فتحنا البيت يوما فى الجاهلية فجاء رسول الله ﷺ ليدخل مع الناس فتكلمت بشىء فحلم عنى. ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عزت، ودخل الكعبة. ووقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت السلام فخشيت من قومى فقدمت المدينة فبايعته وأقمت معه حتى خرج فى غزوة الفتح فلما دخل مكة قال يا عثمان: ائت بالمفتاح فأتيت به فأخذه منى ثم دفعه إلى وقال: خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم، وفى ذلك[١] نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: ٥٨).

وفى «سنن سعيد بن منصور» أنه ﷺ لما أخذ المفتاح من بنى شيبة أشفقوا أن ينزعه منهم، ثم قال: يا بنى شيبة، هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف. قال العلماء: إن هذه ولاية من رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، وأعظم من ذلك أن يُشْرَك معهم غيرهم.

قال الشيخ محب الدين الطبرى فى «القرى»: لا يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمته ولازموا الأدب فى خدمته، أما إذا لم يحفظوا حرمته، فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته. ثم قال أيضًا: وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله ﷺ: وكلوا بالمعروف. فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت، ولا خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك وأنه فى أشنع البدع وأقبح الفواحش، وهذه اللفظة إن صحت فيستدل بها على إقامة الحرمة، لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف، وإنما الإشارة والله أعلم إلى ما يتصدق به من البر والصلة على وجه التبرّر، فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لا محالة، أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يتولونه من خدمته، والقيام بمصالحه، فلا يحل لهم الا قدر ما يستحقونه والله تعالى أعلم. انتهى كلام المحب[٢].

(وأما الرفادة) فأصلها خَرْجٌ من قريش كانت تُخرجه من أموالها إلى قُصَىّ يصنع به

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦٥، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) القرى ص ٥٠٦.

طعاما للحاج، يأكله من ليس له سَعَةٌ، وكان قصى ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة، ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم. ثم صارت بعد عبد مناف ابن قصى إلى ابنه هاشم فكان يطعم الناس فى كل موسم إلى أن توفى. فقام بذلك بعده عبد المطلب. ثم بعده أبو طالب واستمر إلى أن جاء الإسلام. فقام به النبى ﷺ وأرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر رضي الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر فى حجة الوداع. ثم أقامه أبو بكر فى خلافته، ثم عمر، ثم الخلفاء بعده[1].

ثم لما ولى معاوية رضي الله عنه اشترى دارا بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدوراً فكانت الجزر والغنم تطبخ فيها أيام الحج فى الموسم، ثم يفعل ذلك فى شهر رمضان. ويروى أن أول من أطعم الحاج الفالوذج بمكة عبد الله بن جُدْعان وفد على كسرى فأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقالوا: لباب البر مع العسل، فقال: ابغونى غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالوذج للحاج، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه، ألا من أراد الفالوذج فليحضر، فحضر الناس وما زال ذلك إطعامه للحاج فى الجاهلية.

(وأما السقاية): فكان أصلها حياضًا من أدم، توضع على عهد قصى بفناء الكعبة، وتملأ ماء للحاج، وكان قصى يسقى اللبن المخيض ويسقى الماء المنبوذ بالزبيب أيضًا، وما زال ذلك فعله حتى هلك. فقام به هاشم بعده. ثم أخوه المطلب بعده. ثم عبد المطلب، وكان يسقى لبنا وعسلا فى حوض من أدم عند زمزم، ثم قام به العباس رضي الله عنه بتولية النبى ﷺ، ولم تزل فى ولده من بعده.

أقول: إلى يومنا هذا.

(تتميم بذكر شيء من خبر قصى): روى الأزرقى رحمه الله أن قصيا لما انتهت إليه رياسة مكة وقرب أجله قسم رياسته ومكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، وأعطى عبد الدار السدانة وهى حجابة البيت ودار الندوة واللواء[2]. وقد تقدم ذكر السدانة والسقاية والرفادة وتفسيرها مستوفى.

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ١٣٩ فما بعدها.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١١٠.

(وأما الندوة): فهي دار بناها قصي حين صار أمر مكة إليه ليحكم فيها بين قريش، وكانت أول دار بنيت بمكة ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وأما ولد قصي فيدخلونها كلهم وحلفاؤهم، ولم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار، ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار، وإنما سميت دار الندوة لاجتماع الندى فيها لأنهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم وإبرام أمرهم وعقد الألوية لحروبهم[١]. وهذه الدار في الرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة، وهي معروفة مشهورة.

(وأما اللواء): فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم[٢].

(وأما القيادة): فوليها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، ثم وليها بعده ابنه أمية، ثم من بعده ابنه حرب، فقاد الناس يوم عكاظ وغيره من حروب قريش، ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه إلا يوم بدر، قاد الناس عتبة بن ربيعة، فلما كان يوم أحد والأحزاب قادهم أبو سفيان، وكانت الأحزاب آخر وقعة لقريش ثم أيد الله الإسلام ومنّ بفتح مكة على نبيه ﷺ هذا ملخص ما رواه الأزرقي من خبر قصي[٣]. وذكر غيره في قسمة قصي غير هذا والله أعلم.

فائدتان:

الأولى: روى الفاكهي رحمه الله أن الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة. وفي «تاريخ الأزرقي» أنها كانت يوم الاثنين ويوم الخميس يعني في الجاهلية[٤]. قال الفاسي رحمه الله: وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن يعني في زمنه، وفتحها يوم الاثنين متروك[٥].

(أقول): قد أعيد فتحها يوم الاثنين بعد ذلك وصارت تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلى يومنا هذا. وفي هذا دلالة لصحة ما رواه الفاكهي. ومما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير

---

(١) اخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١٠٩، ١١٠.
(٢) اخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١١١.
(٣) اخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١١٥.
(٤) اخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١٧٤.
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٩.

فى خبر «رحلته» وكانت فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة، من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلا فى رجب تفتح كل يوم[١]. وما يروى عن عثمان بن طلحة أنه قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة، فجاء رسول الله ﷺ يوما يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشىء إلى آخر ما قدمته آنفًا، فيه تأييد لما ذكره الأزرقى أيضًا، على أن الجمع بين روايتى الأزرقى والفاكهى ممكن، بأنه يحتمل أن كلا الأمرين وقع وأنها كانت تفتح يوم الخميس أولا ومكث ذلك مدة، ثم تغير وصارت تفتح يوم الجمعة أو العكس. انتهى.

الثانية: روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح، أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا فى الأزر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها فلم يدعوا أثرا من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه. وهذا الخبر فى الجملة يصلح أن يكون شاهدا لما يفعله الحجبة من غسل باطن الكعبة فى كل عام والله أعلم.

(١) رحلة ابن جبير ص ٦٨.

الباب الخامس

فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به

وفضل النظر إليه وبيان المواضع التى فيها صلى النبى ﷺ

حول البيت وبيان جهة المصلين إليه من سائر الآفاق

وذكر وليطوفوا بالبيت العتيق

قال جل اسمه لخليله عليه السلام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة الحج: ٢٦) وقال تعالى وتقدس: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآيات، واختلف فى معنى التطهير، فقيل طهره من الآفات والريب. وقيل من الأوثان فلا ينصب حوله وثن. وقال السدى. معنى طهرا بيتى: أمنا بيتى وقيل غير ذلك. وقد سبق بعض الكلام على ذلك فى أول الكتاب.

(وأما الأحاديث) فأكثر من أن تحصى (فمن ذلك): ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه - وفى رواية يحصيه - كان كعتق رقبة. ومعنى أحصاه أو يحصيه: قال بعض العلماء: يتحفظ فيه أن لا يغلط.

وعنه ﷺ أنه قال من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره».

وعنه ﷺ أنه قال: إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة، فإذا دخل غمرته، ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل، واستقبله ملك على الركن، وقال له: استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى وشفع فى سبعين من أهل بيته. أخرجه الأزرقى[1] وغيره.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤.

وعنه ﷺ أنه قال: الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها.

أقول: وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جعل فى الركعتين قبل الطواف ثواب عتق رقبة.

وعنه ﷺ أنه قال: من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين. ذكره القاضى عياض فى «الشفاء»[1].

وعنه ﷺ أنه قال: الطواف بالبيت خوض فى رحمة الله تعالى ذكره الحسن فى «رسالته»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. رواه الترمذى وقال: حديث غريب.

قال القاضى عز الدين بن جماعة رحمه الله: والمراد بخمسين مرة والله أعلم: خمسون أسبوعا، لأن الشوط الواحد لا يتعبد به. ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا: من طاف خمسين أسبوعا كان كما ولدته أمه. فهذه الرواية مفسرة للأولى. وليس المراد بأن يأتى بالخمسين فى آن واحد، بل أن توجد فى صحيفة حسناته. انتهى ملخصًا.

وعنه ﷺ أنه قال: إن الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته.

وقال ﷺ: استكثروا من الطواف بالبيت فإنه أقل شيء تجدونه فى صحفكم واغبط عمل تجدونه.

وعن ابن عمر عنه ﷺ أنه قال: طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه وغفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت، طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس، وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس[3]. فقال رجل: يا رسول الله لم يستحب هاتان الساعتان؟ قال: إنهما ساعتان لا تعدوهما الملائكة.

قال المحب: يحتمل أن يريد بالبعدية ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع

(١) الشفاء ج ٢ ص ٦٠.

(٢) فضائل مكة للحسن البصرى ورقة ٦.

(٣) اخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٢.

أسبوعا. ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعله الأظهر. وإلا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب، وعلى هذا فيكون حجة على من كَرِهَهُ فى الوقتين[١] . انتهى.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: أكرم سكان أهل السماء على الله الذين يطوفون حول عرشه، وأكرم سكان أهل الأرض على الله الذين يطوفون حول بيته.

وعن أبى هريرة أيضًا أن النبى ﷺ قال: من طاف بالبيت سبعًا ولا يتكلم إلا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات. ومن طاف فتكلم فى الحل خاض فى الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه.

وعنه ﷺ قال: لو أن الملائكة صافحت أحدًا لصافحت الغازى فى سبيل الله والبار بوالديه والطائف ببيت الله الحرام.

والأحاديث الواردة فى هذا المعنى كثيرة جدا، وفيما ذكرته كفاية. وإذا كان الطائف بهذه المزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغى له الإخلاص وليحذر من أن يكون كما قال بعض العلماء العارفين:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد
والجسم فى بلد والروح فى بلد
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله
مبهرجا فى التقى للواحد الصمد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر
على الحقيقة لا يشفى من الكمد

(وأما الآثار) فروى عن ابن عمر أنه قال: كان أحب الأعمال إلى النبى ﷺ إذا قدم مكة الطواف.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: من حج البيت فطاف خمسين أسبوعا قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه.

(١) القرى ص ٣٣٠.

وعن ابن عمر أيضًا أنه قال: من طاف وصلى ركعتين فهاتان يكفران ما أمامهما.

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أنه طاف بالبيت وهو متكئ على غلام له يسمى طهمان، وهو يقول: والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هُجرا وأصلى ركعتين أحب إلى من أن أعتق طهمان[١]. والهجر - بضم الهاء - هو الإفحاش فى المنطق، قاله فى «الصحاح».

وفى «الإحياء للغزالى» لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض.

وروى الأزرقى رحمه الله أن ابن عمر، كان يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار وأن آدم عليه السلام كان يطوف كذلك.

وذكر غير الأزرقى أن آدم كان يقول فى طوافه: اللهم اجعل لهذا البيت عمارًا يعمرونه من ذريتى.

وعن محمد بن فُضَيل أنه قال: رأيت ابن طارق فى الطواف، وقد انفرج الطائفون له وفى رجليه نعلان، فحزروا طوافه فى ذلك الزمان فإذا هو يطوف فى اليوم والليلة عشرة فراسخ[٢]. والحزر - هو التقدير والخرص - يقال حزرت الشيء أحزره وأحزره بالضم والكسر كذا فى «الصحاح».

وذكر ابن الجوزى فى «الصفوة» أن محمد بن طارق كان يطوف كل يوم وليلة سبعين سبعًا[٣].

فائدة: أعداد الطواف لها سبع مراتب[٤] ذكرها الإمام أبو عبد الله بن أبى الصيف اليمنى رحمه الله.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣. (٢) صفة الصفوة ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) صفة الصفوة ج ٢ ص ٢١٧، وعبارته: «كان يطوف فى اليوم والليلة سبعين أسبوعا» وبهامشه: «يقال: طاف بالبيت أسبوعا: أى سبع مرات، والأسبوع من الطواف: سبعة أطواف.

(٤) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٤.

الأولى: أن من طاف خمسين أسبوعا فى اليوم والليلة يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه للحديث الذى قدمته آنفا.

الثانية: واحد وعشرين أسبوعًا كل يوم فيكون بحجة وقد قيل سبعة أسابيع بعمرة. وقيل فى الحديث ثلاث عمر بحجة.

الثالثة: أربعة عشر أسبوعا فيكون بحجة أيضا لأنه ورد فى حديث آخر عمرتان بحجة، وهذا فى غير عمرة رمضان لأن العمرة فيه كحجة مع الثمة كما جاء فى الحديث، وفى حديث آخر كحجة معه ﷺ.

الرابعة: اثنا عشر أسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل لما سبق قريبا من فعل آدم وابن عمر ويستحب أن يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التى فى النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع وهو فى الطواف للحديث الذى رواه ابن عمر قاله الجد.

الخامسة: سبعة أسابيع فيكون بعمرة لما تقدم فى المرتبة الثانية.

السادسة: ثلاثة أسابيع، قال الجد. يأتى فى الأول بأذكار الطواف ودعواته الخاصة، وفى الثانى بالباقيات الصالحات، ففى ذلك حديث، وفى الثالث بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شىء قدير. ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

السابعة: أسبوع واحد كل يوم، فقد جاء فى الحديث أن الأسبوع بعتق رقبة، ويدخل بهذا الأسبوع فى جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة والعشرين كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى، والباقيات الصالحات هى: قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فائدة: المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم والعبادة قاله الحسن. وقيل: العافية، وقيل: المال، وقيل: المرأة الحسنة، وقيل: العفة، وقيل: الرزق الواسع. وبحسنة الآخرة الجنة بالإجماع كذا قاله الدميرى، وقيل: الحور العين أو الجنة أو العفو والمعافاة.

(واعلم) أنه ينبغى المثابرة على الطواف فى أوقات. (منها) ما تقدم من الطواف بعد الصبح والعصر للحديث السابق.

ومنها: فى وقت المطر لما روى عنه ﷺ أنه قال: من طاف بالكعبة فى يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحا عنه الأخرى سيئة.

وعن أبى عقال قال: طفت مع أنس بن مالك رضي الله عنه فى مطر. فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا أنس: استأنفوا[1] العمل فقد غفر لكم. هكذا قال لنا رسول الله ﷺ وطفنا معه فى مطر[2].

وعن مجاهد قال: كان كل شيء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير، فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف، فجعل ابن الزبير يطوف سباحة، وذكر القاضى عز الدين بن جماعة عن جده أنه طاف بالبيت سباحة، وكان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله. وذكر أن بعض المكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك.

ومنها: فى شدة الحر، فقد روى أنه ﷺ قال من طاف حول البيت أسبوعا فى يوم صائف شديد الحر واستلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدًا وأقل كلامه إلا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة، ويمحى عنه سبعون ألف سيئة، ويرفع له سبعون ألف درجة[3].

وفى رواية عن ابن عباس بعد قوله: شديد الحر، وحسر عن رأسه، وقارب خطاه، وأقل التفاته، وغض بصره ثم ذكر بقية الحديث. وزاد يعتق عنه سبعين رقبة، ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم ويعطيه الله سبعين شفاعة إن شاء فى أهل بيته من المسلمين، وإن شاء فى العامة، وإن شاء عجلت له فى الدنيا، وإن شاء أخرت له فى الآخرة[4].

أقول: فإن قيل: هل يستوى الطائف فى شدة الحر بغير خف أو نحوه بمن طاف لابسًا لذلك أم غير اللابس أفضل وأكثر ثوابا لأنه حينئذ أكثر مشقة؟ (الجواب): أن إطلاق الحديث يقتضى التسوية بين اللابس وغيره، ولكن سياق الحديث يفهم منه أن غير اللابس أكثر ثوابا حيث علل بشدة الحر لأن المراد تجشم المشقة، ولا شك أن غير اللابس أكثر

(١) فى المطبوع: «ائتنفوا» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢١.

(٣) أورده الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٥ وقال: هذا حديث ضعيف الإسناد جدا.

مشقة، ويؤيده قوله فى رواية ابن عباس حاسرًا عن رأسه، إذ المراد المصابرة على ذلك، وينبغى فى رواية حسر الرأس أن يحمل على الاستطاعة وعدم الضرر، وأما من تضرر بكشف الرأس أو خشى الضرر فالأفضل له تغطية رأسه، فإن الحرج مدفوع شرعا، والله الموفق.

ومنها: عند خلو المطاف لأنه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له فى سائر أقطار الأرض، وكذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها، فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده.

فوائد:

الأولى: إن قيل ما العلة فى جعل الكعبة على يسار المطاف دون يمينه، وما الحكمة فى ذلك؟ (اعلم) أن العلة فى ذلك اجتماع القلبين فى جهة واحدة لأن القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الأيسر. قال الجد رحمه الله: قلت: وقد يقال أيضًا فى وجه المناسبة إن المستحب فى ابتداء الطواف استقبال الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى الأرض، وحينئذ فشقه الأيمن إلى جهة باب البيت، وشقه الأيسر إلى جهة الركن اليمانى، والانفتال إلى جهة اليمين أولى من الانفتال إلى جهة اليسار. ويستأنس لذلك بأن داخل المسجد يستحب له أن يبدأ برجله اليمنى والبداءة بجهة الشق الأيمن يبتدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الأسلوب المعتاد، وأيضًا لإخفاء أن جهة الباب أفضل الجهات فجهة الركن اليمانى بالنسبة إليها مفضولة والمسارعة إلى الأفضل أفضل من المسارعة إلى المفضول. انتهى.

الثانية: قال بعض العلماء: إنما يجعل الطائف البيت على يساره، ويبتدئ بالحجر الأسود لأن الحجر إذا استقبلت البيت من ثنية كَدَاء من باب بنى شيبة يبقى فى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت، لأنك إذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذى يلاقيك من البيت هو وجهه لأن فيه بابه، وباب البيت وجهه أى بيت كان، والأدب أن لا يؤتى الأفاضل إلا من قبل وجوهم ولأجل ذلك كان الابتداء بثنية[1] كداء، والأصل فى كل قربة يصح فعلها باليمين واليسار أن لا تفعل إلا باليمين كالوضوء وغيره.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «كان الابتدائية كدا».

فإذا ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره كان قد ابتدأ باليمين والوجه معا فيجمع بين الفاضلين، ولو عكس ذلك فاته الجمع المذكور، ويمين البيت جميع الحائط الذى بين الركنين الأسود واليمانى ويسار البيت الحائط الذى عند الحِجر ـ بكسر الحاء ـ ودبر البيت الحائط الذى فيه الباب المسدود. وإنما سمى الشام لأنه على شمال البيت، واليمن لأنه على يمين البيت. وسميت ريح الدبور لأنها تأتى من دبر البيت. وريح الشمال لأنها تأتى من شمال البيت.

الثالثة: كان النساء والرجال يطوفون معا مختلطين حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال والنساء وأجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط، وسببه أنه بلغه قول بعض الشعراء:

يا حبذا الموسم من موفد
وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتى يزاحمننا
عند استلام الحجر الأسود

فقال. أما إنهن لا يزاحمنك بعد، فأمر بالتفريق[1].

الرابعة: أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد عقبة بن الأزرق بن عمرو، وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة، فكان يضع فى جدار داره مصباحًا كبيرا يضىء على وجه الكعبة أخرجهما الأزرقى[2].

فروع: الأول: قال الجد: الآتى بأسبوع بسكينة ووقار وتؤدة بحيث يطوف غيره أسابيع فى زمن طوافه الأسبوع مع تساوى أوصافهما فى الحضور والخشوع هل يستويان؟ قال المحب الطبرى: هذا ينبى على أن طول القيام فى الصلاة أفضل أم تكثير الركعات وهو يقتضى أفضلية الأسبوع. قال النسائى: ونص عليه الشافعى.

أقول: وهو مقتضى مذهب محمد بن الحسن من أصحابنا حيث قال: طول القنوت أحب إلى من كثرة الركوع والسجود، وهو محمول على المنفرد لقوله ﷺ: من أم قوما

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٤٧.

فليخفف فإن وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة، وإذا صلى منفردا فليطول ما شاء. انتهى.

واعتبر بعض المتأخرين الخُطَى فوجد كل طوفة مائة وعشر خطوات إذا كان بينه وبين البيت ذراع أو فوقه قليلا، فتكون للطوافات السبع سبعمائة وسبعون خطوة. انتهى.

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة، وذلك أنهم ألين الناس فيه مناكب وأنهم يمشون فيه التؤدة. أخرجه الأزرقي.

الثاني: الترتيب في الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة، وكذا لو طاف عاريا أو بغير طهر، فإن أمكن إعادته في طوافي الحج والعمرة أعاد وإلا جبر بالدم خلافا للثلاثة.

الثالث: اختلف العلماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة، وهل الاعتمار أفضل أم الطواف. فمذهب الجمهور أن الصلاة أفضل فرضها ونفلها لأنها أفضل عبادات البدن، وذكر جماعة من علمائنا أن الطواف أفضل في حق الآفاقي، والصلاة في حق المكي أفضل. وهو مذهب المالكية ومتأخري الشافعية. وذهب الماوردي إلى أن الطواف أفضل. ورجحه ابن عبد السلام واحتج بما سيأتي قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل للطائفين أكثر.

(وأما المفاضلة) بين الطواف والعمرة عن أنس بن مالك أنه سأل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال: بل الطواف. أخرجه الأزرقي.

قال المحب الطبري: مراد أنس والله أعلم أن تكرار الطواف أفضل من العمرة ولا يريد طواف أسبوع واحد، فإنه موجود في العمرة[١]. انتهى.

وله في هذا المعنى تاليف لطيف سماه «عواطف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة» ذهب فيه إلى أن الاشتغال بتكرار الطواف في مثل مدة العمرة أفضل من الاشتغال بالعمرة، واستدل رحمه الله على ذلك بجملة أدلة. وذهب جماعة من الشافعية منهم السبكي والبلقيني إلى تفضيل الاعتمار مطلقًا على الطواف[٢].

---

(١) القرى ص ٣٣٢. (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٩.

الرابع: لا بأس عندنا للطائف أن يقرأ القرآن فى نفسه لأنه ذكر مشرف فى مكان مشرف. ويكره أن يرفع صوته بالقراءة فيه كى لا يقع فى الرياء والسمعة. ولفظة لا بأس، تدل على أن الأولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة، فإنه ﷺ اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلا لإجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ إلا قوله: ﴿ربنا آتنا﴾ إلى قوله: ﴿وقنا عذاب النار﴾ (سورة البقرة: ٢٠١) كذا نقله الكرمانى من أصحابنا. والصحيح من مذهب الشافعى أن الدعاء المأثور فى الطواف أفضل من القراءة للاتباع. واستدل أصحابه بأنه قد نهى عن القراءة فى الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما. قال الزركشى: وقد ينازع فى عبارتهم فى هذه المسألة، إذ لا شيء من الذكر أفضل من القرآن، فكيف يكون الاشتغال بالمأثور أفضل من الاشتغال بالقرآن؟ وأجيب بأن القراءة فعل القادر وهى حادثة والقرآن قديم. والتفضيل بين القراءة والذكر، والصواب أن القرآن من حيث حقيقته أفضل. وقد ألف أبو بكر الآجرى تأليفًا يتضمن الإنكار على الجاهر فى الطواف بذكر أو تلاوة، وغلظ فى ذلك وشدد وينبغى أيضًا لمن كان فى المسجد قريبا من الطواف أن لا يرفع صوته بتلاوة أو ذكر لئلا يشوش على الطائفين أو المصلين.

الخامس: من سنن الطواف للرجل القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أيسر فى الاستلام والتقبيل. وهذا إذا لم يؤذ أو يتأذ بزحمة أو غيرها واذا لم يفته الرمل أيضًا بسبب الزحمة، فإن خشى فوات الرمل فالبعد أولى للإتيان به لأن الرمل عندنا لا بدل له، ولهذا إذا اشتدت الزحمة يقف وأيضًا فى قرب الرجل من البيت بعده عن النساء فإن طوافهن غالبا من جهة حاشية المطاف لا سيما عند من يقول بنقضهن. والمستحب للمرأة البعد عن البيت لئلا تخالط الرجال إلا فى وقت خلو المطاف فالقرب أولى والخنثى كالمرأة.

السادس: التطوع بشوط واحد فى الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه أم لا؟ فمذهب الشافعى أن من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة. أما لو نوى أن يطوف أسبوعا ثم بدا له بعد أن طاف طوفة واحدة مثلا أنه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقى من السبع.

أقول: مقتضى مذهبنا أيضًا عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياسًا على الركعة

الواحدة فى حق عدم المشروعية عندنا لا فى حق الحنث، فإن حلف لا يصلى بحنث بأداء ركعة واحدة. انتهى.

السابع: يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لأنه ليس من البيت نص على ذلك الأصحاب. ومذهب الشافعية والحنابلة وبعض متأخرى المالكية أنه يجب أن يكون الطائف بجميع بدنه خارجا عن البيت والحجر والشاذروان. وينبغى الاحتراز عند الشافعى لمن قبل واستلم من أن يمر وشىء من بدنه فى الشاذروان، بل يقر قدميه إلى أن يعتدل بعد التقبيل أو الاستلام، فإن لم يقرهما فليرجع إلى مكانه قبل الاستلام لئلا يقع بعض طوافه فى البيت لا بالبيت، لأن الشاذروان عندهم جزء نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين ظهر على الأرض.

قال الجد رحمه الله: لم ينقل وقوع هذا التحرز عن أحد من السلف الصالح، ولو وقع لنقل، ولكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع أنه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل أن لا يكون منقولا إذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود.

وعند الحنابلة أن الطائف لو كان يمس الجدار بيده فى موازاة الشاذروان صح طوافه، لأن معظمه خارج البيت.

وأفاد الشيخ القدوة أبو عبد الله خليل إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام بأنه لم يشترط أحد من متقدمى المالكية فيما علمه الطواف خارج الشاذروان، وأن الشيخ أبا الطيب القابسى المالكى كان ينكر ذلك ولا يثبته فى مذهب مالك. قال الفاسى رحمه الله: ينبغى الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب وإلا فلا محذور فى ذلك. كيف والخروج من الخلاف مطلوب وهو هنا قوى والله أعلم.

نكتة: اعلم أن منشأ الخلاف بين الأئمة فى ذلك حديث عائشة المتقدم المصرح بأن قريشًا اقتصروا على قواعد إبراهيم، وقد صح أن ابن الزبير ﷺ لما بلغه هذا الحديث قال: أنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته وبناها على قواعد إبراهيم، وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين على ما كان فى زمن قريش إلى آخر ما تقدم.

فإذا علمت هذا ظهر أن ما ذكره الشافعية من أنه ينبغى الاحتراز عن الشاذروان عند

التقبيل ليس بناهض. فينبغي حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن الميلق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبي ﷺ الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة إليه بقول أو فعل ولنقل ذلك، هذا مع توفر الدواعي على النقل.

ونازع الفاسي في ذلك فقال: وبعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس إبراهيم عليه السلام كما في خبر بنائه. وهذا المعارض لا يخلو من حالين: أحدهما أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعها عن الأرض. والآخر أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه. بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنيًا على أساسه.

والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضى أن يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الأرض ولا ناقصًا عن أساسها، ووقوع هذا فى بنائه أقرب من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء. وإذا كان هذا مصلحة فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير. نعم فى بناء ابن الزبير على أساس إبراهيم دليل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجته منه قريش من الحجر فإنه بنى ذلك على أساس إبراهيم لا أساس قريش.

والثانى غير مسلم لأن الجدار إذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الأرض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنيًا على أساسه وهذا مما لا ريب فيه وإنكاره مكابرة والله أعلم. انتهى.

الثامن: يجب على الطائف عندنا أن يكون طوافه من وراء الحجر، فلو طاف الطواف الواجب فى جوف الحجر بأن يدخل من إحدى الفتحتين ويخرج من الأخرى عليه الإعادة وتجزئ على الحجر خاصة، والأفضل الإعادة على البيت كله.

وذكر قاضى خان فى شرح «الجامع الصغير» فى صفة الإعادة على الحجر صورتين:

الأولى: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعًا.

الثانية: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يرجع ولا يدخل

الحجر، ويبتدئ من أول الحجر من المكان الذى ابتدأ منه أولا ولا يعد رجوعه إلى ذلك شوطًا يفعل ذلك سبعًا، فإن رجع إلى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب «الهداية».

وحكى ابن عبد البر إجماع العلماء على أن من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر، ولو لم يطف من ورائه لم يجزه.

التاسع: لوطافت المرأة متنقبة فى غير حالة الإحرام فمقتضى مذهب الشافعى الكراهة كما تكره صلاتها متنقبة، قاله النووى وهو مذهب مالك.

قال الجد رحمه الله: محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها، أما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة، بل تنقبها حينئذ متعين، وعندنا لا يكره لها ذلك فى الطواف. نص عليه السروجي فى غايته.

العاشر: قال ابن جماعة فى «منسكه» ومن البدع ما يفعله كثير من الجهلة من ملازمة البيت وتقبيله عند إرادة الطواف قبل استلام الحجر الأسود وتقبيله، والذى سنه رسول الله ﷺ إنما هو الابتداء بالحجر لأنه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم.

فصل فى ثواب النظر إلى البيت زاده الله شرفا
وبيان مصلى النبى ﷺ حول البيت
وذكر ذرع أرض المطاف

روى الحسن البصرى رحمه الله فى «رسالته» أنه ﷺ قال: من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسبًا لله عز وجل ولرسوله تعظيما للبيت، كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم، وأول ما ينظر الله إلى أهل الحرم، فمن رآه مصليًا غفر له، ومن رآه قائما غفر له، ومن رآه جالسًا مستقبل القبلة غفر له.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: إن الله ينزل فى كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين(١).

---

(١) اخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨، القرى ص ٣٢٥.

أقول: هذا الحديث وإن كان ضعيفًا فقد نص النووى وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف فى الفضائل انتهى.

وفى رواية أخرى ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة الحديث.

قال المحب الطبرى: ولا تضاد بين الروايتين، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر، ويكون هو المراد بالتنزيل على أهل المسجد، ولهذا انسحبت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد(١) . انتهى.

ثم قال أيضًا عند كلامه على هذا الحديث: يحتمل فى تأويل القسم بين كل فريق وجهان: الأول قِسْمة الرَّحَمَات بينهم على المُسَمّى بالسَّوِيَّة، لا على العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وصفته، وما زاد على المسمى فإنه ثواب من غير هذا الوجه، ونظير هذا: أعْطِ الداخلين بيتى مائة دينار، فدخل واحد مرة، وآخر مرارا فلا خلاف فى تساويهما فى القَسْم(٢).

الوجه الثانى: وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل، لأن الحديث ورد فى سياق الحثّ والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل والأكثر(٣).

ثم قال بعد أن استوفى الكلام فى كيفية قسمة الرحمات: إذا تقرر ذلك فالتفضيل فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث، أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة، والصلاة على النظر، وإذا تساووا فى الوصف، هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيُخص به وبما ورد من الأحاديث المتقدمة فى فضل الطواف [من] عموم قوله ﷺ: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة. أو تقول: الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن، ولا يُنْكَر أن بعض الصلاة أفضل من بعض(٤).

---

(١) القرى ص ٣٢٥.

(٢) القرى ص ٣٢٥.

(٣) القرى ص ٣٢٦.

(٤) القرى ص ٣٢٦ وما بين حاصرتين منه.

ثم قال بعد كلام آخر: ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع [ثبوت] الأخصية له بمتعلق الثلاثة، وهو البيت الحرام، ولا خفاء بذلك، ولذلك بدأ به فى الذكر هنا وفى قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ الآيتين (سورة الحج: ٢٦، ٢٧) ولما كانت الصلاة على تنوعها لم تُشْرع إلا عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبد به وقد لا يكون، وذلك إذا لم يقصد به التعبد تأخر فى الرتبة(١).

وقولنا: إذا تساووا فى الوصف نحترز مما إذا اختلف وصف المتعبِّدين، فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلى والناظر خاشعا يَعْبُد الله كأنه يراه، كان المتصف بذلك أفضل، إذ ذلك الوصف لا يعد له عَمَل جارحة خاليا عنه، وهو المشار إليه والله أعلم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (سورة الكهف: ٣٠) انتهى باختصار(٢).

وهو كلام عظيم كاف شاف حرى(٣) أن يكتب بماء الذهب فى بياض الحدق، وقد ذكره فى كتابه «القرى» بأبسط من هذا، واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة لا يحتمله هذا التعليق فليراجعه مريده فى محله، فرحمه الله ولله دره من عالم محقق.

وفى «رسالة الحسن» أيضًا أنه ﷺ قال: من نظر إلى البيت إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة فى الآمنين. وفيها عنه ﷺ: من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة سنة يعنى صائما وقائما وراكعا وساجدا.

وعن ابن عباس أنه قال: النظر إلى الكعبة محض الإيمان أخرجه الجندى. وعن سعيد ابن المسيب: من نظر إلى الكعبة إيمانًا وتصديقًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وعن عطاء: النظر إلى البيت الحرام عبادة، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله عز وجل. وعن أبى السائب المدينى: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. وعن زهير بن محمد قال: الجالس فى المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلى أفضل من المصلى فى بيته لا ينظر إلى البيت. أخرجها الأزرقى(٤).

---

(١) القرى ص ٣٢٧ وما بين حاصرتين منه.

(٢) القرى ص ٣٢٧.

(٣) تحرف، فى المطبوع إلى: «حر».

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٩.

فصل فى ذكر المواضع التى صلى فيها ﷺ حول الكعبة وبيانها ملخصة كما نقله الفاسى[١] عن القرى للمحب الطبرى[٢] مع زيادة ادلة

الأول: خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر فى صفة حجه ﷺ من قوله: ثم نفر إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) وجعل المقام بينه وبين البيت ثم صلى الركعتين.

الثانى: تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما فى النسائى من حديث المطلب بن أبى وداعة.

الثالث: قريبا من الركن الشامى مما يلى الحِجْر ـ بسكون الجيم ـ كما فى «سنن أبى داود» من حديث عبد الله بن السائب.

الرابع: عند باب الكعبة كما فى «تاريخ الأزرقى» من حديث ابن عباس قال ﷺ: أمنى جبريل عند باب الكعبة مرتين. قال الفاسى: ويحتمل ثلاثة وجوه. الأول: أن يكون صلى وجاه الباب. الثانى أن يكون فى الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه. الثالث أن يكون فى الملتزم وهو بعيد. والوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة، وإنما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا أن مصلى جبريل بالنبى ﷺ فى الحفرة المرخمة. ولم أقف على كلام ابن عجيل، ولكن بلغنى أن الطبرى إمام المقام سأله عن ذلك فحققه له بطريق الكشف. وأما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى. قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام: ولم أر ذلك لغيره، وفيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة، ولما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف والله أعلم. انتهى.

الخامس: تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحا إلى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم باب العمرة خلف ظهره. كما فى «مسند أحمد»

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٥١.
(٢) القرى لقاصد أم القرى ص ٣٤٨.

و «سنن أبي داود» وغيرهما من حديث المطلب بن أبي وداعة أنه رأى النبي ﷺ يصلي مما يلي باب بني سهم، والناس يمرون بين يديه. وباب بني سهم هو باب العمرة المذكور.

والسادس: في وجه الكعبة كما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين، وقال: هذه القبلة، كما تقدم. قال المحب الطبري: وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذي له خلفها دبر الكعبة، ويطلق على جميع الجانب الذي فيه الباب وهو المتعارف. والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام في فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه. ثم قال: ويُحتمل على بُعد أن يكون الموضع الرابع - يعني المتقدم عند باب الكعبة - قال ابن جماعة: وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات. فعن ابن عمر البيت كله قبلة وقبلته وجهه، فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي ﷺ تحت الميزاب. ومثله عن عمرو بن العاص. والمراد بقبلة النبي ﷺ قبلته بالمدينة الشريفة. انتهى.

(السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن إسحاق في «سيرته» في قصة طويلة. قال الفاسي: ولم يبينه المحب. ويحتمل أن يكون عليه السلام صلى إلى وسط الجدار كما نقله ابن سراقة ويكون عند الرخامة التي في الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين أنه عمل المطاف. ويحتمل أن يكون مائلا عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود أو إلى جهة الركن اليماني.

الثامن: في الحجر للحديث الصحيح: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه ﷺ فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام. وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (سورة غافر: ٢٨). الآية قال المحب الطبري: ولا يبعد أن تكون صلاته ﷺ تحت الميزاب. فقد روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار. فقيل له: ما مصلى الأخيار وما شراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب وماء زمزم، وهو ﷺ سيد الأخيار، ولا يبعد أن تكون الإشارة إليه ﷺ.

ذكر شيء من فضائل الحجر

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر وقال: صلى فيه إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت[١]. وفى هذا دلالة على أن جميع الحجر من البيت. وكذلك ما ورد أن عائشة رضي الله عنها سألت النبى ﷺ عن الحجر: هل هو من البيت؟ فقال: نعم. والصحيح أن القدر الذى فيه من البيت ستة أذرع أو ما يقارب السبعة[٢] كما جاء مصرحا به فى الحديث الآخر عن عائشة رضي الله عنها وهو: لولا قومك إلى أن قالت ولزدت فيه ستة أذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة. وفى رواية فهلمى لأريك ما تركوه قومك فأراها قريبًا من سبعة أذرع، فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على المقيد وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن أشار إليه المحب الطبرى.

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة رضي الله عنه: إن على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك ما مضى فاستأنف العمل، وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج: مرحوما إن كنت من أمة محمد تقيًا[٣].

وفى «رسالة الحسن» أن إسماعيل عليه السلام شكا إلى ربه حرّ مكة فأوحى إليه أنى أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يخرج عليك الرَّوح منه إلى يوم القيامة. والروح بفتح الراء نسيم الريح[٤].

وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألونى من أين جئت؟ فسألوه، فقال: كنت قائما على باب الجنة، وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده[٥].

---

(١) أخبار للأزرقى ج ص ٣١٢، إخبار الكرام ص ٨٦.
(٢) إخبار الكرام ص ٨٦.
(٣) إخبار الكرام ص ٨٦.
(٤) إخبار الكرام ص ٨٦.
(٥) إخبار الكرام ص ٨٧.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له[١].

ونقل ابن جماعة عن بعض السلف أن من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مائة مرة وهو ساجد استجيب له.

وعن عطاء بن أبي رباح أنه قال: من قام تحت مثعب الكعبة ودعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أخرجه الأزرقي[٢]. والمثعب: مجرى الماء ومسيله. ومنه: يجيء الشهيد يوم القيامة وجُرْحُه يَثْعَبُ دما. كذا في «النهاية»[٣].

ويروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة.

(ومن فضائل الحجر) أن فيه قبر إسماعيل وأمه هاجر، وكان عمره مائة وثلاثين سنة يوم مات وقيل مائة وسبع وثلاثين. ونقل القاضي أبو البقاء بن الضياء في «منسكه البحر العميق» عن الفقيه إسماعيل الحضرمي[٤] نفع الله به أنه لما حج سأل المحب الطبري عن ثلاث مسائل: عن الحفرة الملاصقة للكعبة. وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء. فأجاب بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ. والبلاطة الخضراء قبر إسماعيل ويشبر من رأسها إلى ناحية الركن الغربي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار، فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام. والقبران المرجومان فهو أن البيت الشريف أصبح يوما في دولة بني العباس وقد لطخه رجلان بالعذرة فقبض عليهما أمير مكة واستأذن الخليفة في أمرهما فأمر بصلبهما فرسم في هذا الموضع وصارا يرجمان إلى الآن. انتهى.

وينبغي توقي النوم فيه والاحتراز مما أحدثه العوام من وقوفهم في فتحتي الحجر بقصد السلام كما يزعمون على النبي ﷺ، ومن استدبارهما الكعبة فيهما للدعاء أيضًا. والمعروف في آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة.

---

(١) أخبار الكرام ص ٨٧.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٣١٨.

(٣) النهاية لابن الأثير (ثعب).

(٤) إخبار الكرام ص ٨٨.

ذكر ذرع الحجر من داخله وصفته وخبر شيء من عمارته

أما ذرعه فمن جدر الكعبة الذى فيه الميزاب إلى جدر الحجْر المقابل له خمسة عشر ذراعًا. وسعة ما بين الفتحتين سبعة عشر ذراعا وقيراطان وعرض جداره. . . [١].

وأما صفته فهو عرصة مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة وأول من رخمه المنصور العباسى فى سنة أربعين ومائة لما حج. وذلك أنه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بنت عبد الله وأمره بأنه لا يأتى الصباح إلا وقد ستر بالرخام، فدعا زياد الصناع فعملوه على السُّرْج قبل أن يصبح[٢]. ثم جدد بعد ذلك مرارًا كثيرة. وآخر من عمره على ما هو عليه الآن فى زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الغورى على يد مباشر عمائره الأمير خاير بك العلائى المعروف عند أهل مكة بالمعمار، وذلك فى سنة سبع عشرة وتسعمائة. وكانت عمارته فى هذه السنة مرتين، **الأولى**: بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة، **والثانية**: بهذا الرخام الموجود كما ترى.

فرع: حكم الصلاة فى مقدار ما فى الحجر من البيت حكم الصلاة فى الكعبة يجرى فيه الخلاف المتقدم بين الأئمة الأربعة، وقد علمته فلا نطول بإعادته لما فيه من تحصيل الحاصل، والله أعلم.

(تتميم) أخرج الفاسى رحمه الله عن بعض مشايخ مكة المتقدمين أن للنبى ﷺ مصلى بين الحفرة المرخمة وبين الحِجر - بسكون الجيم - عند الحِجر المُشَوْبَر الذى يقال له المقام المحمدى، وأن من دعا عنده بهذا الدعاء. يا واحد يا واحد، يا ماجد يا ماجد، يا برّ يا رحيم، يا غنى يا كريم أتمم على نعمتك وألبسنى عافيتك استجيب له[٣].

ثم قال: والحجر المشوبر الذى هو علامة لهذا المصلى لا يعرف الآن[٤]. والحفرة قد سبق ذكرها. وهذا المصلى هو الموضع الثالث الذى ذكره المحب، لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها والركن الشامى مصلى للنبى ﷺ غيره، والله أعلم. انتهى بمعناه.

---

(١) بياض بالأصلين.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٥.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٥٨.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٥٨.

(استطراد) فى بيان مصلى آدم عليه السلام عند البيت حين نزل قد تقدم فى الباب الأول فى فضل الملتزم عن الأزرقى رحمه الله أن آدم طاف بالبيت سبعًا، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم إلى آخر ما قدمته عنه.

وأخرج الأزرقى أيضًا فى رواية أخرى، أن آدم عليه السلام حين نزل طاف بالبيت سبعًا ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين[١].

ونقل الفاسى رحمه الله فى «شفائه» من كلام ابن سراقة، ما يقتضى زيادة بيان فى مصلى آدم عليه السلام، فقال: ومن باب الكعبة إلى مصلى آدم حين فرغ من طوافه، وأنزلت عليه التوبة وهو موضع الخلوق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام وصلى النبى ﷺ عنده ركعتى طوافه. وبين مصلى آدم والركن الشامى ثمانية أذرع. انتهى. قال الفاسى: وقد تحرر لى مما ذكره ابن سراقة فى ذرع ما بين الركن الشامى ومصلى آدم أن يكون مصلى آدم ظنا بقرب الحفرة المرخمة التى فى وجه الكعبة بحيث يكون منه إلى الحفرة ثلاثة أذرع إلا ثلث بالحديد[٢] انتهى.

وفى رواية لابن أبى الدنيا أن صلاة آدم إلى جانب الركن اليمانى.

وفى أخرى عن الفاكهى أن الموضع الذى تيب[٣] فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذى فتحه ابن الزبير جانب الركن اليمانى، والله أعلم.

فصل فى بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق ملخصًا مما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة فى دائرته بحذف الكواكب إذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها

(فجهة) مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان وإسنا وقوص والفسطاط والإسكندرية والاكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقة وطرابلس وصفد، وساحل المغرب، والأندلس، وما كان على سمته ما بين الغربى والميزاب.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٤.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٥.
(٣) فى المطبوع: «يثبت».

(وجهة) جانب الشام الغربى ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة، ودمشق، وفلسطين وعكا وصيدا، وما والى ذلك من السواحل على سمته وهى من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربى.

(وجهة) الشام كلها غير ما ذكر وهى حمص وحماة وسلمية وحلب ومنبج وحران وميافارقين وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامى، موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق، لكنهم يتياسرون شيئًا يسيرا والجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى.

(وجهة) الرها والموصل وملطية وسميساط وسنجار والجزيرة وديار بكر وما كان على سمت ذلك إلى القبلة من الركن الشامى إلى مصلى آدم عليه السلام.

(وجهة) الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمذان والرى ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمت ذلك، ما بين مصلى آدم عليه السلام إلى قرب باب الكعبة.

(وجهة) البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل والمهديان والتتار والمغل والقندهار[1] وما والاها وما كان على سمتها، من الركن الأسود إلى دون مصلى النبى ﷺ.

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهايم والسد والبحرين وما والاها وكان على سمتها، من دون مصلى النبى ﷺ إلى ثلثى هذا الجدار.

(وجهة) اليمن بأسره ظفار وحضر موت وصنعاء وعمان وصعدة والشجر وسبأ وما والاها وكان على سمتها، من دون الركن اليمانى بسبعة أذرع إلى الركن اليمانى.

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها، من الركن اليمانى إلى ثلثى الجدار وهو آخر الباب المسدود.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «والخدهار».

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البُلّين والنوبة إلى بلاد التكروروما وراء ذلك وما على سمته، من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط من دون الباب المسدود إلى ثلثى الجدار.

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد إفريقية وأوسط بلاد بربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهى جهة جدة وعيذاب وجنوب أسوان من دون الركن الغربى بثلث الجدار إلى الركن الغربى. انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هى من حيث الجملة، ومن أراد التحرير فى الاستقبال كما ينبغى فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد والله أعلم.

الباب السادس

فى فضل مكة زادها الله شرفا وتعظيما
وحكم المجاورة بها وذكر شىء مما ورد فى ذلك

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) يعنى مكة. قال النسفى: أى اجعل هذا البلد أو المكان بلداً آمنًا أى ذا أمن، أو آمنًا من فيه فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له.

وقال تعالى فى سورة إبراهيم أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (سورة إبراهيم: ٣٥) بصيغة التعريف والمراد مكة والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة أنه سأل فى الآية الأولى أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها وفى هذه الآية أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنًا. كذا فى «المدارك».

وفى «تفسير الكواشى» إنما عرف هنا ونكر فى البقرة لأن النكرة إذا عينت تعرفت. وقيل دعا مرتين فحكيتا. وقوله بواد غير ذى زرع هو مكة لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا حرث فكانت هاجر ترضع إسماعيل وتأكل من التمر وتشرب من الماء اللذين جاءت بهما معها إلى أن نفدا وسيأتى الكلام على ذلك فى محله فى فضائل زمزم مستوفى إن شاء الله تعالى. وقال جل وعلا ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ (سورة النحل: ١١٢) الآية، يعنى مكة شرفها الله تعالى. قال القرطبى: ضربها الله مثلا لغيرها من البلاد أى أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط، فكيف بغيرها من البلاد. انتهى.

وكانت العرب قد قطعت على قريش وكفار مكة الميرة بأمر رسول الله ﷺ وابتلاهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر الناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون كذا فى «المعالم».

وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الدخان: ١٠)

أنه دخان قريش هذا. والصحيح أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ. ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص، كذا فى «المدارك» والحنيذ المشوى على حد قوله تعالى: ﴿ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (سورة هود: ٦٩) والخصاص: الخلل. يقال للفرج التى بين الأثافى خصاص. كذا فى «الصحاح».

وعنه ﷺ أن أول آيات الساعة الدخان وأنه يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين ليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيخرج من منخريه وأذنيه ودبره.

وقوله: ﴿ كَانَتْ آمِنَةً﴾ أى من القتل والسبى، وقوله: ﴿ مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف، وقوله: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أى واسعا، وقوله ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أى من كل بلد على حد قوله تعالى: ﴿ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة القصص: ٥٧) ومعنى الكلية: الكثرة. كقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النمل: ٢٣) وقال تعالى مخاطبا لرسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ (سورة النمل: ٩١) قال المفسرون: معناه قل يا محمد إنما أمرت أن أخص الله تعالى بعبادتى وتوحيدى الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة المشرفة. وخصها بالذكر دون غيرها لأنها مضافة إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن بيته ومهبط وحيه. ومعنى حرمها، يعنى جعلها حراما آمنًا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه أحد، وقال تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ (سورة البلد: ١، ٢) وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (سورة التين: ٣) المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما.

ومعنى القسم به فى الموضعين التنويه بشأنه والإبانة عن شرفه لما أنه مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد سيد المرسلين ومبعث خاتم النبيين.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ (سورة القصص: ٥٧) قال المفسرون: المراد مكة، وسبب نزولها أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبى ﷺ: إنا لنعلم أن ما تقوله حق ولكن نخشى إن اتبعناك على دينك أن تخرجنا العرب من أرضنا يعنى مكة.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها. والنقب ـ بفتح النون وضمها وسكون القاف ـ هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب.

وفى رسالة «الحسن البصرى» ﷺ التى كتبها لبعض إخوانه بمكة المشرفة يرغبه فى الإقامة بها حين بلغه أنه نوى التحول عنها، قال ﷺ: خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله عز وجل مكة.

وقال ﷺ: من مات بمكة فكأنما مات فى السماء الدنيا. وقال ﷺ: من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام.

وقال ﷺ: من مرض يوما واحدا بمكة كتب له من العمل الصالح الذى كان يعمله فى غيرها عبادة ستين سنة.

وقال ﷺ: ما أحد يخرج منها إلا ندم وما من أحد يخرج منها ثم يعود إلا ولله عز وجل فيه حاجة.

وقال ﷺ: المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة، ثم ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها بمائة ألف ما يرفع من مكة[1]، وما أعلم بلدة على وجه الأرض فيها شراب الأبرار ومصلى الأخيار غيرها.

(أقول): قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج إلى تكرارهما. انتهى.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض يصلى فيها حيث أمر الله نبيه ﷺ إلا بمكة قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥).

ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل إليه بمكة.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض إذا دعا أحد بدعاء أمنت الملائكة على دعائه إلا بمكة حول البيت الحرام. ثم ما أعلم بلدة يحشر منها من الأنبياء والصديقين والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة، إنهم يحشرون آمنين يوم القيامة من عذاب الله[2].

---

(١) رسالة الحسن البصرى ورقة ٤.

(٢) رسالة الحسن البصرى ورقة ٤.

ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة.

وإياك يا أخى، ثم إياك أن تخرجَ من مكة، فلو أنه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين حلالا لكان خيرا لك من ألسفين فى غيرها. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. انتهى ما نقل من «الرسالة».

وعن عائشة ﵂ قالت: لولا الهجرة لسكنت مكة، إنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان قط أحسن منه بمكة أخرجه الأزرقى.

ويروى أن قريشا وجدوا فى الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه: أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لأهلها فى الماء واللبن، وفى رواية أخرى فى الماء واللحم. والأخشبان هما جبلان: أبو قبيس والمقابل له ومكة بينهما.

فصل فيما يدل على افضلية مكة على غيرها من البلاد

(اعلم) أن العلماء أجمعوا على أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الأرض، ويليهما بيت المقدس، ثم مكة أفضل من المدينة عندنا، وعند الشافعية والحنابلة ووهب وابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور، وروى عن جماعة من الصحابة ﵃ ويستدل على ذلك بأمور (منها) ما تقدم من الآيات.

(ومنها) أن الله تعالى اختار من ولد آدم الأنبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل، ثم اختار منهم أولى العزم وفيهم أقوال وهم خمسة على الأكثر ذكرهم الله فى سورتى الأحزاب والشورى، والمراد بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون.

ثم اختار منهم خليله وحبيبه إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من الأماكن خيرها وأشرفها وهى مكة جعلها الله مناسك لعباده ومشاعر لوفده وقصاده، وأوجب الإتيان إليها من القرب والبعد ودخولهم إليها متواضعين متخشعين متذللين كاشفين رءوسهم مجردين عن لباس أهل الدنيا فهى خير البلاد وأشرفها.

لطيفة: إن قيل مـا الحكمة فى تجريد الناس فى الإحرام؟ قيـل: ليعلم أن باب الله جل وعلا على خلاف أبواب الملوك، لأن العادة جرت أن يـتزين الناس باللباس الفاخر إذا قصدوا باب المخلوق ففرق بين بابه وباب غيره.

(وأيضًا) من أهدى إلى الملوك ما ليس فـى خزائنهم يكون أرفع قدرا، وليس شىء إلا وهو فى خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغننا بالافتـقار إليك، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يا رب العالمين.

(ومنهـا) حديث أبى سلمـة عن عبـد الله بن عدى بن الحـمراء قـال رأيت رسول الله ﷺ على راحلته واقـفا بالحزورة يقول: والله إنك لخـير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك مـا خرجت[1]. وهو حديث حسن أخرجـه أصحاب السنن وصححـه جماعة منهم الترمـذى، وزاد الإمام أحمد واقف بالحـزورة فى سوق مكة، وقد دخل سوق مكة المذكور فى المسجد بعد ذلك.

وفى رواية أبى هريرة ؓ أن رسـول الله ﷺ وقف بالحـزورة وقـال: إنك لخيـر أرض الله، وأحب أرض الله عز وجل، ولو تركت فيك ما خرجت منك. وفى أخرى عنه: والله لقد عـرفت أنك أحب البلاد إلى الله واكـرمهـا على الله، ولولا أن قومى أخـرجونى الحديث.

وفى رواية ابن عبـاس ما سكنت غـيرك. قال بـعض العلماء: الظاهر أن هذه المـقالة كانت منه ﷺ فى عـمرة القضيـة حين سألت قرش النبى ﷺ أن يخـرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التى أقامها كما وقـع الشرط. ولا يظن أحد أنه ﷺ قال ذلك حال خروجه للهجرة إلى المدينة، لأنه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر، وإنما كان خروجه إليها مستخفيا كما هو معلوم لا راكبا على راحلته، إذا لو كان كذلك لأشعر بسفره.

وفى «تاريخ الأزرقى» أنه ﷺ قال ذلك عام الفتح، فيحمل على أنه قاله مرتين إذ لا تنافى، ويكون فيه من تعظيم مكة ما لا يخفى.

والحزورة ـ بحاء مهملة مفتوحة وزاء معـجمة ـ وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة ـ والحـزورة: هى الرابية الصغيرة جمعهـا حزاور، وكان عندها سوق الحناطين

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٩.

بمكة قديمًا، وهي مخففة على وزن قسورة، والمحدثون يشددون الحزورة والحديبية، والصواب التخفيف كذا قال الشافعي والدارقطني.

ومنها: حديث ابن الزبير ﷺ قال قال رسول الله ﷺ «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي» رواه أحمد.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» إنه ثابت لا يطعن فيه أن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي ﷺ بمائة مذهب عامة أهل الأثر. انتهى.

وذهب الإمام مالك وجمهور أصحابه إلى تفضيل المدينة، وهو مذهب عمر بن الخطاب ﷺ وكثير من الصحابة وأكثر أهل المدينة، واستدلوا بقوله ﷺ : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، مع قوله ﷺ : موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة. ثم ساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء المتقدم، وقال هذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه.

وأما الحديث المروي: اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي فاسكني أحب البلاد إليك. لا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه، وسئل عنه الإمام مالك ﷺ فقال لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله ﷺ . انتهى.

قال الطبري: وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله فأسكني في أحب البلاد يدل سياقه في العرف على أن المراد به بعد مكة، فان الإنسان لا يسأل ما أخرج منه فإنه قال: أخرجوني فاسكني فدل على إرادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى.

وأما الحديث الذي فيه المدينة خير من مكة لا يرد، لأنه ضعيف بل قيل موضوع.
قال الجد رحمه الله: فإن قلت ورد في الصحيحين عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة، ودعوته ﷺ مستجابة بلا شك، وفيهما أيضًا أن الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.

قلت: هذه الأحاديث ونحوها تدل على فضيلة المدينة لا أفضليتها على مكة كما لا يخفى، وقوله ﷺ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وفى رواية وأشد لا دلالة فيه أما على رواية أو أشد فظاهر لوجود الشك، وأما على رواية وأشد بدون ألف أو بها وتكون بمعنى الواو فلأن سؤاله ﷺ حصول أشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلية عنها لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ما تقدم من قوله ﷺ لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله بشهادة التأمل. انتهى.

فصل

(واعلم) أن جميع ما سبق من الفضل فيما قدمته محله فى غير الموضع الذى ضم أعضاء النبى ﷺ أما محل قبره فقد نقل القاضى عياض رحمه الله فى «شرح مسلم» الإجماع على أنه أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة وأن الخلاف فيما سواه، ولقد أحسن وأبدع من قال فى المعنى:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما
قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت
كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه أن يقال: إن الكعبة الشريفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعا ما عدا موضع القبر الشريف.

تنبيه: روى ابن عبد البر فى «التمهيد» أن المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه عندما خلق. قال شيخ الإسلام ابن حجر: وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار أن جبريل أخذ التراب الذى خلق منه النبى ﷺ من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التى ضمت أعضاءه ﷺ من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة إن صح ذلك والله أعلم. انتهى.

قال بعض العلماء: يؤخذ من قولهم المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه أفضلية سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبى ﷺ المقتضى لكون طينتهما التى خلقا منها من البقعة التى خلق منها النبى ﷺ.

فائدة: قال ابن حزم التخصيص المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضًا وان كانت من الحل.

فصل

واعلم أن لمكة أسماء كثيرة[١] قد ذكرها الله تعالى فى ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال النووى رحمه الله: لا يعلم بلد أكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية.

فالأول: مما فى التنزيل مكة، وذلك فى سورة الفتح فى قوله ﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾.

الثانى: بكة وذلك فى سورة آل عمران قوله تعالى ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ واختلف فى هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فعن الضحاك ومجاهد أنهما بمعنى واحد. وصححه ابن قتيبة محتجا بأن الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد رأسه وسمده إذا استأصله، واختلف القائلون بالثانى فقيل بكة بالباء موضع البيت. قاله ابن عباس وإبراهيم النخعى، وقيل ما بين الجبلين قال عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهرى وزيد بن أسلم وأما بالميم فقيل القرية، وقيل الحرم كله، وقيل ذى طوى، وقيل ما حوالى البيت واختلف فى اشتقاقها، فقيل سميت مكة لأنها تمك الجبابرة أى تهلكهم وتذهب نخوتهم وأنشدوا فى معناه:

يا مكة الفاجر مكى مكا

ولا تمكى مذحجًا وعكا

وقيل إنها تمك الفاجر عنها أى تخرجه، وقيل إنها تجهد أهلها مأخوذ من قولهم تمككت العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك الاستقصاء. وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع أمه: إذا امتصه، ولم يبق فيه شيئًا، وقيل لقلة مائها، وقيل لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ومكة لا تنصرف للعلمية والتأنيث. وأما بكة فقيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ما قصدها جبار بسوء إلا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا، أى يزحمه فى الطواف قاله ابن عباس، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين.

---

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٧٥ وما بعدها، منائح الكرم ج ١ ص ٢١٣.

الثالث: البلدة وذلك فى سورة النمل.

الرابع: البلد، وذلك فى سورة لا أقسم والتين.

الخامس: القرية، وذلك فى سورة النحل، وقد تقدم الكلام على هذه الآيات آنفا مستوفى.

السادس: أم القرى فى قوله تعالى فى سورة الشورى ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ الآية، وفى تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها أن الأرض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس، وقال ابن قتيبة لأنها أقدم الأرض، ثانيها: لأنها قبلة يؤمها الناس، ثالثها: لأنها أعظم القرى شأنًا. رابعها: لان فيها بيت الله تعالى، ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أما لأن الأم متقدمة كذا فى القرى.

السابع: معاد بفتح الميم فى قوله تعالى فى سورة القصص ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أى مكة كما فى «صحيح البخارى» عن ابن عباس.

(الثامن) الوادى فى قوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ المراد به مكة كما تقدم آنفًا فى تفسير الكواشى وأما ما ذكر من أسماء مكة (فى غير القرآن) فكثير (من ذلك) تسميتها بالنّاسة بالنون والسين المهملة المشددة ومعنى ذلك أنها تنس من الحد فيها أى تطرده وتنفيه. ذكره النووى وغيره (ومن ذلك) النسّاسة بالنون وتشديد السين الأولى - والمعنى فى ذلك كالمعنى فى الناسة، (ومن ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره الأزرقى، (ومن ذلك) صلاح - بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة - وسميت بذلك منوا، وقد جاء فى قول أبى سفيان بن حرب لابن الحضرمى[1]:

أبا مطر هَلُمّ إلى صلاح
فيكفيك الندامى من قريشٍ
وتنزل بلدة عزت قديما
وتأمن أن يزورك رب جيشٍ

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠.

وهو مبنى على الكسر كحذام وقطام وما وازنهما، وقد تصرف كما فى شعر أبى سفيان.

(ومن) أسمائها (العَرش) بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة

(ومن) أسمائها (العريش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضًا وعزاه إلى قول ابن سيده[1].

(ومن) أسمائها (القادس) نقله الفاسى عن صاحب المطالع، وهو مأخوذ من التقديس أى التطهير يعنى أنها تطهر من الذنوب[2].

ومن أسمائها (المقدسة) ذكره النووى وغيره والمعنى فيه كما فى الذى قبله.

ومن أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (أقول): ويكون المعنى والله أعلم الطاهرة، على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوى. انتهى.

ومن أسمائها (كوثى) ذكره الأزرقى[3] عن مجاهد. ونقله السهيلى أيضا فى روضه وكذا صاحب المطالع إلا أنه قال: باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار. وأفاد الفاسى عن الفاكهى أن كُوثى فى ناحية قُعَيْقِعَان. وقيل: إن كوثى جبل بمنى. وهى: بكاف مضمومة وثاء مثلثة[4].

ومن أسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين.

ومن أسمائها (برة).

ومن أسمائها (المسجد الحرام).

ومن أسمائها (المعطشة) ذكر هذه الأربعة العلامة ابن خليل فى «منسكه» فأما برة والمعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى. وفى القرآن العظيم ما يشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كما نقله المرجانى عن ابن مسدى (أقول): ولعله أراد قوله تعالى فى سورة الفتح ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية (سورة الفتح: ٢٧) فإن المراد مكة كما ذكره المفسرون والله الموفق.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨١.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠.

ومن أسمائهـا (الرتاج) ـ براء مهملة وتاء مثناة من فوق وألـف ثم جيم ـ نقله المحب الطبرى فى «شرح التنبيه» حسبما ذكره ابن جماعة.

ومن أسمـائها (أم رحم) ـ براء مهـملة مضمـومة ـ كذا حكى عن مـجاهد لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون.

ومن أسـمائهـا (أم زحم) بزاى مـعجـمـة من الازدحام. نقله الـفاسى عن الرشـاطى رحمهما الله[١].

ومن أسمائـها (أم صُبْح[٢]) ومن أسـمائهـا (أم روح) ذكرهمـا ابن الأثيـر فى كتـابه «المرصع».

ومن أسمائها (بُسـاق) ذكره ابن رشيق فى «العمدة» مستدلا بشعر لأمَيَّة بن حُرْثان[٣]. وقيل إن بساق بلدة بالحجار وهو بباء موحدة وسين مهملة وألف وقاف.

ومن أسمائها (البيت العتيق) ذكره الأزرقى[٤] وغيره.

قال الفاسي: ولعل ذلك من تسـمية الكل باسم البعض، وهو مـجاز شائع؛ لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ هذا المعنى[٥]. انتهى.

(أقول): على هذا يكون لمكة فى القـرآن عشرة أسمـاء بل وأكثر عند التتبـع والتدبر فتأمل والله الموفق.

ومن أسمائها (الرأس) ذكـره النووى والـسهيلى وغيرهما. والـمعنى أنها أشرف الأرض كرأس الإنسان فإنه أشرف أعضائه.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨١.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «أم صح» وصوابه لدى الفاسى.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «حرتاء» وصوابه لدى الفاسي، والشعر هو:

سـأسـتـعـدى عـلى الفـاروق ربّا
له عَـمَـد الحـجـيج إلى بسـاق

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٢.

ومن أسمائها (المكتان) ذكره الفاسى عن شيخه بالإجارة برهان الدين القيراطى ثم قال: ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدى:

بيطن المكتين على رجائى

حديثك أن أرى منه خروجا[١]

قال السهيلى بعد أن ذكر هذا البيت: ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر، وإنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى، انتهى[٢].

ومن شعر عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى فى حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما

وأنصارنا بالمكتين قليل

وأسلمنا أهل المدينة والهوى

إلى أهل مصر والذليل ذليل[٣]

ومن أسمائها (النابية) بالنون والموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى «تفسيره»[٤].

ومن أسمائها (أم الرحمن[٥]) ومن أسمائها (أم كوثى) ذكرهما المرجانى وعزا بالأول إلى ابن العربى ولم يعز الثانى ولم يذكر له معنى[٦].

ومن أسمائها (الباسة) - بالباء الموحدة والسين المهملة - لأنها تبس الملحد فيها أى تهلكه من قوله تعالى ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ ومن أسمائها (النساسة) لأنها تنس الملحد أى تطرده، وقيل لقلة مائها والنس اليبس ذكرهما ابن جماعة.

ومن أسمائها (الناشة)[٧] بالنون والشين المعجمة.

(والبساسة) - بموحدة وسينين مهملتين بينهما ألف - والمعنى فيه ظاهر.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٢.

(٢) نقله الفاسى فى الشفاء ج ١ ص ٨٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(٥) فى المطبوع: «أم الرحمة» والمثبت رواية د، والفاسى والسنجارى.

(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(٧) تحرف في المطبوع إلى: «الناشنة».

(وطيبة) لطيبها.

(وسبوحة والسلام والعذراء ونادرة والعرش) بضم العين والراء المهملتين بعدهما شين معجمة (والعروش) بزيادة واو (والحُرمة) بضم الحاء المهملة (والحِرمة) بكسرها (والعروض والسيل ومخرج صدق وقرية الحمس وأم راحم) والمعنى ما تقدم فى أم رحم (وقرية النمل ونقرة الغراب) والحمس: قريش فهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجد الدين الشيرازى مع ذكر غيرها أيضًا مما تقدم ومما سيأتى مما ذكره غيره(١).

ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده فليراجع «شرح صحيح البخارى» للقاضى مجد الدين المذكور إن وجده.

قال الفاسى رحمه الله قلت: قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، وعَدَّهما بعضُهم اسمين مجازا. فإن كان شيخنا مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة الصفا والمروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة، وقوله وقرية الحُمْس إنْ كان لحظ فى تسميته مكة بذلك أن الحُمْس كانوا سكان مكة فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة قرية العمالقة وقرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس، اللهم إلا أن تكون تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن أهل اللغة، فلا يقاس عليه غيره، والله أعلم. انتهى ما قاله الفاسى(٢).

أقول: وهو كلام عظيم وبحث عظيم مستقيم لكن فى تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم أوفى دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتميزهم بكونهم أهل الله. وتسميتهم بذلك وهم فى حال الشرك لما ورد فى حقهم من الآيات والأحاديث والأخبار التى ستقف عليها فيما سيأتى مفصلا فى محله. إن شاء الله تعالى، وكيف ومنهم سيد البشر محمد ﷺ انتهى.

ومن أسماء مكة أيضًا: (البَنِيَّةُ وفاران) ذكرهما ياقوت الحموى.

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٧٦.

وقد نظم القاضى أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهى:

لمكةَ أسماءٌ ثلاثون عدِّدَتْ ... ومن بعد ذاك اثنان منها اسم مكةِ
صلاح وكوثى والحرامُ وقادسٌ ... وحاطمةُ البَلْدُ العريشُ بِقَرْيَةِ
ومعطشةٌ أم القرى رحمٌ نَاسَّةٌ ... ونساسة رأس بفتح لهمزةِ
مقدسة والقادسة ناشة ... ورأس وتاج أم كوثى كبرة
سَبُّوحَةٌ عرش أم رحمن عرشنا ... كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها ... وبالمسجد الأسنى الحرام تَسَمَّتِ
وما كثرة الأسماء إلا لفضلها ... حباها بها الرحمن من أجل كَعْبَةِ(١)

وما أحسن ما أنشده بعض العلماء على لسان حال النبى ﷺ فى مكة شرفها الله تعالى.

أحب بلاد الله ما بين مُنْهِجٍ
إلى وسلمى أن تصوب سحابُها
بلاد بها نيطت عَلَيّ تمائمى
وأول أرض مَسّ جلدى ترابُها

ولبعضهم من قصيدة طويلة فى المفاخرة بين مكة والمدينة:

لمكة مجد باذخ الركن والقنن ... وفضل منيف باسق الدوح والفننْ
ومكة فيها كعبة الحسن كله ... وزينها فى خدها خالها الحسنْ
ومكة للمختار مسقط رأسه ... وكان له فيها احتضان لمن حضنْ
وفى مكة منشا أبيه وجده ... وأعمامه والأصل والفرع والشجنْ
وفى مكة وافاه جبريل أولا ... وكلمه بالوحى فى السر والعلنْ

(١) منائح الكرم ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥.

وفى مكة كـانت مـبـادى كـلامـه ... وإنزاله القـرآن والـخـيـر فى قـرنْ

وفى مكة أبدى الهـدى نور وجهـه ... وكانت بها من قبل بشرى ابن ذى يزنْ

وفى مـكة أسـرى بـه الله ربه ... وطاف به السبع السـموات فى سننْ

وفى مكـة فـتـح مـبـين تـنزلت ... به سـورة بـانت بفـضل لـهـا أبنْ

وفى مـكة كـانـت ولادة نسـله ... وما أنجبت منه خـديجة فى الحجنْ

وفى مكـة مـوطى الخـليل وداره ... وزمـزمه والحـجـر والمنزل الأغنْ

وهى طويلة وهذا بعض منها يستدل به على المراد.

فائدة: إذا كـتب بدم المرعـوف على جبـينه: مكة وسط الدنيـا والله رءوف بالعبـاد انقطع الدم.

(ومن خصـائص مكة شرفـها الله تعالى) أن من واظب فـيها علـى أكل اللحم وشرب الماء فقط لم يضر ذلك باطنه، وفى غيرها يحصل منه الضرر. أخرجه الأزرقى.

(فرع) اخـتلف العلماء فى المـجاورة بمكة المـشرفة: فـذهب إمامنا أبو حنيـفة ﷺ وطائفة من العلماء منهم ابن رشد من المالكية والقـاضى أبو الطيب من الشافعية إلى كراهة المقام بها لأسباب ثلاثة:

أحدها: خوف التقـصير فى حرمـتها والتبـرم إذ ملازمة المكان تفضى إلى قلة الـمهابة والتعظيم ولذلك كان عمر ﷺ يأمر الحاج بالرجوع إلى أوطانهم.

الثانى: تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعـية العود كما قال بعض العلماء لأن تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكـة خير لك من أن تكون فيها وأنت متبـرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر.

الثالث: الخوف من ارتكاب الخطـايا بها فإن ذلك مـحظور كبيـر. ومع ذلك فلا يظن أحد أن كـراهة المقام بمكة يناقض فـضل الكعبة لأن هذه كراهـة سببهـا ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله تعالى كذا قاله الغزالى.

وعن عمر ﷺ أنه قال: لخطيئة أصيبها بمكة أعز على من سبعين خطيئة بغيرها. وذهب الشافعى وأحمد وغيرهما من العلماء منهم أبو يوسف ومحمد من أصحابنا وابن القاسم من المالكية إلى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التى لا تحصل فى غيرها وتضعيف الصلوات والحسنات وغير ذلك والفتوى عندنا على قول الصاحبين كما صرح به الفارسى فى منسكه عن المبسوط والدليل على الاستحباب ما تقدم من حديث أبى الحمراء وقول عائشة فلا نعيده.

فائدة: قال ابن الجوزى فى «مثير العزم» بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة أربعة وخمسين رجلا ومن التابعين جماعة كثيرة. وقد جاور بها عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله ﷺ.

تنبيهان:

الأول: ما تقدم من الكلام محله فى المجاورة فقط من غير سكنى، وأما السكنى والانقطاع فهو بالمدينة أفضل، ويشهد له ما ثبت من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال: لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة. وفى الصحيحين: اللهم حبب إلينا المدنية كحبنا مكة وأشد، وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة. وهى رابغ، ولم يرد فى سكنى مكة شىء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق.

الثانى: روى عنه ﷺ أنه قال: من مات بالمدينة كنت له شفيعًا يوم القيامة. وفى الترمذى من حديث عمر مرفوعا: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها. فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة أفضل من الموت بمكة لهذه الأحاديث، ولأنه من لازم افضلية السكنى بها على السكنى بمكة المشرفة، وإن كان قد ورد ما يقتضى أن الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا فى «منسك» الجد نور الله ضريحه، والله تعالى أعلم.

الباب السابع

في فضل الحرم وحرمته والمسجد الحرام وزيادة الثواب للعامل فيه على غيره وتضعيفه وذكر شيء من خبر عمارته وتوسعته

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ الآية، وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية في الباب الخامس.

لطيفة: قال النسفي: وإسناد الأمن المذكور إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم ومجاز، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الآية.

(واعلم) أن حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبه، وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفا لها، (وفي سبب) كون هذا القدر المخصوص حرما. أقوال: فقيل: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض، وهم يومئذ الجن والشياطين، فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقفوا في موضع أنصاب الحرم من كل جانب، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما، وقيل: إن الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام في الكعبة حين بناها أضاء يمينًا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور. وقيل: أهبط الله البيت إلى آدم، وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهابا، وله بابان شرقي وغربي، فأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب ففزع لذلك سكان الأرض ورقوا في الجو ينظرون من أين ذلك النور، فلما رأوه من مكة أقبلوا إليه فأرسل الله حينئذ الملائكة فقاموا في مكان الأنصاب فمنعتهم، فمن ثم ابتدأ اسم الحرم، وقيل غير ذلك.

(وأول) من نصب أنصاب الحرم إبراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام، ثم جددها قُصَيّ بن كلاب بعد ذلك. وقيل بل جددها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه ثم قصي بعده. وقيل: إن أول من نصبها عدنان بن أد حين خاف أن يدرس الحرم ثم نزعتها قريش بعد ذلك والنبي ﷺ إذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه، فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره أنهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش في المنام كأن قائلا يقول: حرم أعزكم

الله به ومنعكم، نزعتم أنصابه! الآن تتخطفكم العرب فأعادوها، فأخبر جبريل عليه السلام النبى ﷺ بذلك، فقال له ﷺ هل أصابوا فى ذلك، فقال جبريل عليه السلام: ما وضعوا نصبًا إلا بيد ملك، ثم جددت عام الفتح بأمره ﷺ، وجددت أيضًا فى زمن عمر وعثمان ومعاوية وعبد الملك بن مروان والمهدى العباسى[١].

واختلف العلماء فى مكة وحرمها هل صار آمنًا بسؤال الخليل عليه السلام؟ أم كان ذلك منذ خلق الله السموات والأرض. الصحيح الثانى، ويشهد له ما رواه ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ خطب يوم فتح مكة فقال: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عَرَّفَهَا، ولا يختلى خلاه إلى آخر ما قاله ﷺ فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذْخَرَ[٢]، فإنه لقَيْنِهِم ولبيوتهم[٣]، فقال: إلا الإذخر[٤]. متفق عليه، وورد فى لفظ فى الصحيحين ولا يعضد شجرها، يعنى مكة والمراد الحرم.

سؤال: إن قيل قد ثبت عنه ﷺ إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام. أجيب عنه بأن إبراهيم عليه السلام إنما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجورا وسببه أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الشريف ونسى ذلك الحكم وهجر، والذى تجدد بسؤال إبراهيم هو أن يجعله آمنًا من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات. والعضد فيما تقدم القطع، والمراد من تنفير صيده أن لا يصاح عليه فيتفر.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٦.

(٢) الإذخر: نبات عشبى، من فصيلة النجيليات، وله رائحة ليمونية عطرة، وأزهاره تستعمل منقوعا كالشاى، ويقال له أيضا: طيب العرب، والإذخر المكى من الفصيلة نفسها، جذوره من الأفاويه، ينبت فى السهول وفى المواضع الجافة الحارة، ويقال له أيضا: حلفاء مكة.

(٣) لقينهم ولبيوتهم: القين: هو الحداد والصائغ، ومعناه يحتاج إليه القين فى وقود النار، ويحتاج إليه فى القبور لتسدّ به فرج اللحد المتخللة بين اللبنات، ويحتاج إليه فى سقوف البيت، يجعل فوق الخشب.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلاها... ج ٢ ص ٤٢٣ وانظر لذلك أيضا: شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٨.

أقول: إذا كان المـراد من التنفيـر ما ذكر فـمن باب أولى أن لا يضرب بعـصا وحـجر ونحوهما كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكـثر ويستفاد من ذكر الصيد العموم، سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره ممـا يدخل من الحل إليها، لأنه بالدخول استفاد الأمن كما صرح به علماؤنا فى فروعهم. انتهى.

وعن عكرمة، تنفـير الصيد: أن تنحـيه من الظل وتنزل مكانه. والخلا - بفـتح الخاء والقصر: الحـشيش إذا كان رطبًا فإذا يبس فـهو حشيش وهشيم، والاخـتلاء القطع أيضًا، والإذخر نبـت طيب الريح معـروف عند أهل مكة. وفى حكم الإذخر: السـنا ونحوه مـما يحتاج إليه.

أقول: لقائل أن يقـول: هذا إذا كان ما يحـتاج إليه من الإذخـر ونحوه لا ينبت إلا فى الحرم فقط، وأما إذا نبت فيه وفى الحل فينبغى أن يترك ما فى الحرم ويؤخذ مما فى الحل امتثالا للحديث وعملا بمقتضـاه، وإن كان فى ذلك مشقة، لأنه حينئذ يكون أخذا بالعزيمة والاستثناء فى الحديث للرخصة. انتهى.

والقين: الحداد لأنه يحتاج إليه فى عمل النار واحتياج البيوت لأجل السقوف واستثناؤه ﷺ على الفـور. تمسك به مـن الأصوليـين من يقـول بجواز الاجـتهـاد منه ﷺ أو تفويض الحكم إليـه. ثم قيل إن السبب فى سـؤال العباس ﵁ كـونه من أهل مكة، وقد علم أنه لا بد لهم منه.

أقول: غير العـباس من قريش من أهل مكة أيضًا ولم يسأل، فـإما لكونه لم يعلم أنهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدبا مع العباس لمكانـته وفضله وقربه منه ﷺ فتأمل انتهى.

قال شيخ الاسـلام ابن حجر رحمه الله فى «فتح البـارى» ناقلاً عن ابن التين: والحق أن سؤال العبـاس كان على وجه الضراعـة، وترخيص النبى ﷺ كان تبليـغًا عن الله إما بطريق الوحى أو الإلهـام، ومن ادعى أن نزول الوحى يحتـاج إلى أمد مـتسع فـقد وهم. انتهى.

فصل

واعلم أن لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفه وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره.

فمن فضائله: ما روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضًا أنه قال: حج الحواريون فلما بلغوا الحرم، مشوا تعظيما له.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: لما عقر ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله عز وجل فمنعه الحرم، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال: أبو رغال أبو ثقيف. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه[1]. رواه مسلم.

ورغال - بالغين المعجمة - وقوله: أبو ثقيف يعنى جدهم، ونقل الزمخشرى أن النبى صالحا عليه السلام وجه أبا رغال على صدقات فأساء السيرة فقتله ثقيف، وهو الذى يرجم قبره بمكة. وقيل: إنه دليل أبرهة إلى البيت. انتهى.

ويقال: إن قبره بالمغمس باق إلى الآن والله أعلم. وروى أنه ﷺ لما كان بمكة إذا أراد قضاء حاجته يخرج إلى المغمس.

ونقل عن الشيخ أبى عَمْرو الزُّجَاجِىّ أحد مشايخ الصوفية المشهورين، أنه أقام أربعين سنة بمكة لم يبل ولم يتغوط فى الحرم[2]. وأما خصائص الحرم المطهر فتجل عن الحصر.

ومنها: أنه لا يدخله أحد إلا بإحرام. وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بين الأئمة ﷺ. والوجوب مذهبنا.

ومنها: تحريم صيده على جميع الناس، سواء فى ذلك أهل الحرم وغيرهم وسواء

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٦.

(٢) طبقات الصوفية للسلمى ص ٤٣١.

المحرم منهم والحلال. بل يجب عندنا إرسال صيد الحل إذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله، وإن ذبح حرم أكله.

ومنها: تحريم قطع شجره وحشيشه كما تقدم فى خطبة الفتح.

ومنها: أن من دان بغير دين الإسلام منع من دخوله مقيما كان أو مارا كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجمهور الفقهاء، ما عدا إمامنا أبا حنيفة ﷺ ورحمه فإنه جوز ذلك لمن لم يستوطن.

ومنها: أن لقطته لا تحل لتملك، وإنما تحل لمنشد وهذا مذهب الشافعى ﷺ وأرضاه وعند الأئمة الثلاثة أن حكم لقطة الحرم كغيره من البلاد. والمذهب عندنا أنها تحل للمعرف بعد سنة. والمراد بالمنشد عندنا: المعرف. وعند الشافعي المالك.

ومنها: تحريم دفن المشرك فيه ولو دفن ينبش ما لم يعلم تفسخه.

ومنها: تغليظ الدية بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمدًا أو خطأ عند الشافعية والحنابلة كما نقله ابن جماعة فى «منسكه». قال الفاسى: وفيما نقله عن الشافعية نظر، لأن الصحيح عندهم أن التغليظ باعتبار التثليث بأن يكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة، وهذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة[١]. والله أعلم.

ومنها: تحريم إخراج أحجاره وترابه إلى الحل سواء قل أو كثر كما هو مذهب الشافعي وعندنا إنما يحرم إخراج الكثير من ذلك المؤدى إلى التخريب، وأما إخراج القدر اليسير للتبرك فلا بأس به. ويكره إدخال ذلك من الحل إليه لئلا يحدث لها حرمة لم تكن له.

ومنها: أن ذبح دماء الهدايا والجبرانات مختص به ولا يجوز فى غيره.

ومنها: أن المتمتع والقارن إذا كانا من أهله لاَ دَمَ عليهما عند مالك والشافعي وأكثر العلماء، لكونهما من حاضرى المسجد الحرام، وهذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافا لمذهبنا.

ومنها: أن الصلاة النافلة التى لا سبب لها لا تكره فى وقت من الأوقات سواء فى ذلك مكة وسائر الحرم، بخلاف خارج الحرم فإنها هناك مكروهة وهو مذهب الشافعى، وخالف

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢.

أصحابنا فى ذلك وأطلقوا الكراهة. واستدل الشافعى رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبى ﷺ أنه قال: يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلى عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار[١]. أخرجه الدارقطنى.

وجوز البيهقى فى المراد بالصلاة احتمالين: أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال: وهو الأشبه بالآثار. والاحتمال الآخر أن يكون المراد جميع الصلوات. قال ابن جماعة: ولفظ حديث الدارقطنى يرد الاحتمال الأول الذى ذكره البيهقى وفيه بعد. ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهى كما هو مذهبنا. ومذهب المالكية والله أعلم أنه أشبه بالآثار وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء.

ومنها: أن الإنسان إذا نذر قصده لزمه الذهاب إليه بحج أو عمرة كما هو مذهب الشافعى والإمامين أبى يوسف ومحمد من أصحابنا، بخلاف غيره من المساجد فإنه لا يجب الذهاب إليه إذا نذره إلا مسجد رسول الله ﷺ، والمسجد الأقصى على الأصح عند النووى، وفيه خلاف بين العلماء.

ومنها: تضعيف الأجر فى الصلاة بمكة وكذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من أهل العلم، وحكم سائر أنواع الطاعات فى التضعيف حكم الصلاة وستقف عليه قريبًا إن شاء الله تعالى.

ومنها: إذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها والتصدق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعى. وعندنا يجوز على غيرهم أيضًا، وقد تقدم. ولو نذر ذلك فى بلد آخر لم يصح نذره على الراجح.

ومنها: تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبرى فى «القرى» عن مجاهد وأحمد بن حنبل، وكذلك نقل عن غيرهما من العلماء. والصحيح من مذاهب العلماء أن السيئة بالحرم كغيره.

ومنها: أن المقيم بالحرم لا يجوز له إحرام الحج إلا منه.

ومنها: أن المستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد فى المسجد الحرام لا فى الصحراء

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٠.

بخلاف غيـرهم، وذلك لفضيلة البقعة ومـشاهدة الكعبة. وذهب جمـاعة من العلماء منهم الغزالى إلى أن حكم الـمسجد الأقـصى فى ذلك كمـسجد مكة. ومـال النووى إلى خلاف ذلك. قال لم يتعرض الجمهور له وظاهر إطلاقهم أنه كغيره.

ومنها: أن الإنسان يؤاخذ بهمه بالسيئة بالـحرم وإن كان بعيدا عنه كما يروى من حديث عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ الآية، أنه قال: لو أن رجلا هم فيه بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عز وجل عذابا أليما، ووجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيـره من البلاد إذا هم الإنسان فـيه بسيـئة لا يؤاخذ بهـا إلا إذا عملها كـما هو موجب حـديث ابن عبـاس ﷺ فيـما يرويه عن ربه عـز وجل فى كتابة الـحسنات والسيئات، وإن هم بسيئـة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعـملها كتبها الله سيئة واحـدة، وهذا الحديث فى الصحيحين وظاهره يقتـضى عموم البلاد فى حق هذا الحكم فيـدخل الحرم فى ذلك لكن حـديث ابن مسـعود المتـقدم آنفًـا يخص الحرم والله أعلم.

ومنها: وجوب قصده فى كل سنة على طائفة من الناس لإقامة فريضة الحج.

ومنها: اختصاص حمام مكة فى الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب فى الحرم كما هو مذهب مالك والشافعى رحمهما الله تعالى.

ومنها: أن الجارح يتـبع الصيد فـإذا دخل الحرم تركه. كذا نـقله ابن الحاج عن بعض المفسرين.

ومنها: أن أهل الحرم لا يقاتلون إذا بغوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك وقال القفال من الشافعية أنه يمـتنع أيضًا قتال الكفار بالحرم إذا تحصنوا فيه وهو مقـتضى مذهب مـالك رحمه الله نص عليـه ابن الحاجب فى مخـتصره وذهب أكـثر العلماء إلى جـواز قتال الكفار والبـغاة بمكة تقديمًا لحق الله تعـالى كما صحـحه النووى، وأجابوا عن الأحـاديث الصحيحة الواردة فـى تحريم القتال بمكة بأن مـعناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمنجنيق وشـبهه إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا

تحصن كفار فى بلد آخر، فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شيء. وذكر أن الشافعى رحمه الله نص على هذا التأويل.

ومنها: عند إمامنا أبى حنيفة أن القاتل عمدًا والزانى المحصن والحربى الذى بغير أمان إذا لجأوا إلى الحرم لا يقتل الأول، والثالث ولا يقام الحد على الثانى ما داموا فى الحرم، بل يضيق عليهن حتى يخرجوا منه ويستوفى من كل ما وجب عليه. وهذا إحدى الروايتين عن الإمام أحمد ومذهب مالك والشافعى أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحد.

ومنها: على ما قال ابن الصلاح من الشافعية لا يجوز أخذ شيء من مساويك الحرم. وذكر ابن الحاج من المالكية أنه يجوز.

ومنها: أن المستنجى بحجارة الحرم مسيء ويجزئه ذلك قاله الماوردى.

ومنها: أنه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعى لما رواه جابر فى الصحيحين.

ومنها: أن الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وأن لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم فى مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر فى فضل منى. وفى كلام السهيلى ما يقويه أيضًا.

ومنها: أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معنى ما رواه ابن الحضرمى عن النبى ﷺ.

ومنها: أن الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ عمر بن شبة فى «أخبار مكة» واستدل بحديث ورد فى ذلك نقله العلامة ابن حجر فى فتح البارى. وذكر أن رجاله رجال الصحيح ثم قال: وعلى هذا فالذى نقل أنه وجد فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب إن تحقق ذلك بجواب القرطبى وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذى فى غيرها كطاعون عمواس والجارف، وهو جواب صالح على تقدير التنزل أن لو وقع شيء من ذلك بها. انتهى.

ومنها: أن سيل الحل لا يدخل الحرم وإنما يخرج من الحرم إلى الحل، وإذا انتهى سيل الحل إلى الحرم وقف.

ومنها: أيضًا خصال خمس تتعلق بمنى:

الأولى: أن حصى الجمار على كثرته وتزايده فى كل عام يمتحق ويرى على قدر واحد وقد ورد أن ما تقبل رفع ولولا ذلك لصار ركاما.

الثانية: أن اللحوم فى أيام منى تشرق وتوضع على الجدران وعلى صخرات الجبال وأسطحة البيوت وهى محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور، وقد شوهد أن الحدأة إذا رأت شيئًا أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه لكى تخطفه وهى تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع أن ترزأ منها شيئًا. وقيل: إنما سميت أيام التشريق لهذا المعنى.

الثالثة: أن الذباب فى أيام منى لا يقع على الطعام بل يؤكل العسل ونحوه فلا يقع فيه، بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب فإذا انقضت تلك الأيام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام وفى ذلك عبرة.

الرابعة: اتساعها للحجيج. روى أبو الدرداء ﷺ قال: قلنا يا رسول الله إن أمر منى لعجيب هى ضيقة فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال النبى ﷺ: إنما مثل منى كالرحم إذا حملت وسعها الله تعالى.

الخامس: أن البعوض تكون كثيرة بمنى فى طول السنة إلا فى أيام الموسم فإنها تقل فيها جدا. ذكره أبو سعيد فى «الوفا».

أقول: بل لعل البعوض لا يوجد فى أيام الموسم بمنى، وإن وجد القليل منه فلا يؤذى وقد جربت ذلك والله الموفق.

فصل

وأما المسجد الحرام فاعلم أن له أربعة استعمالات:

أحدها: نفس الكعبة لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

الثانى: الكعبة وما حولها من المسجد. قال النووى: وهو الغالب، واستدل له بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذ المراد به نفس المسجد فى قول أنس بن مالك ﷺ ورجحه الطبرى. وفى الصحيح ما يقويه وعليه فهل كان الإسراء

من الحجر أو من الحطيم قولان، وقيل أسرى به من بيت أم هانئ. وقيل من شعب أبى طالب فيكون المراد على هذا فى هذه الآية مكة كما فى القول الآتى.

قال ابن المنير: وهذه الآية لا تنافى شيئًا من هذه الروايات الأربع، لأن المسجد الحرام مكة بل الحرم بجملته وهذه البقاع كها داخلة فى اللفظ. انتهى.

الثالث: جميع مكة لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (سورة الفتح: ٢٧) قال ابن عطية: وأعظم القصد هنا مكة.

الرابع: جميع الحرم الذى يحرم صيده ومنه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة التوبة: ٧) وعهدهم إنما كان بالحديبية، وهى من الحرم وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (سورة التوبة: ٢٨) وقوله كذلك: ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٦) قال ابن عباس: إنه جميع الحرم. قال الماوردى: حيث ذكر الله المسجد الحرام فى كتابه فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) فإن المراد به الكعبة شرفها الله تعالى.

استطراد مفيد

فى الكلام على تعيين ليلة الإسراء[1] ويومها الذى أسفرت عنه
ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهر
من السنة ومكانها من السنين لأن الشىء بالشىء يذكر
وحيث ذكرت آية الإسراء رأيت أن أذكر ما يتعلق
بتاريخ الإسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو
المعتمد والمرجح فأقول

اعلم أن للعلماء فى تعيين ليلة الإسراء أقوالا كثيرة، فقيل: إنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة قاله إبراهيم الحربى ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريبًا.

---

(١) تناولت كتب السيرة والتاريخ والتفسير موضوع الإسراء بشىء من التفصيل.

وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا. وقال ابن إسحاق: اسرى به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. وقيل ليلة سبع وعشرين فى رجب قاله الغزالى فى الإحياء. وقال الحافظ مغلطاى بعد ذكر مقالة الحربى. وقيل فى رجب إجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك. وفى مسلم فى طريق شريك أنه قبل أن يوحى إليه.

قال العلامة المحقق المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكى رحمه الله: ولا يصح هذا بوجه إلا على القول بأنه منام كما وقع لعائشة ﵂ أنها قالت: إنه كان بالمدينة بعد الهجرة وأنه منام. وأصحها عندى ما قاله إبراهيم الحربى وقال ورجح القاضى عياض قول من قال إنه قبل الهجرة بخمس سنين. وقول ابن إسحاق على القول بأنه قبل الهجرة بسنة، وضعف هذا القول بأن خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا إلى أن خديجة ﵂ ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها ثلاث سنين، ومضافا إلى أن الصلاة لم تفرض إلا فى الإسراء.

وهذا عندى لا يلزم منه تخطئة القول بأنه قبل الهجرة بسنة لأن الصلاة التى صلتها خديجة معه ﷺ هى التى كان يصليها ﷺ قبل الإسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة، الا ترى أن مسلما ذكر فى حديث ابن حماد أنه ﷺ صلى ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء، فدل أن الصلاة كانت مشروعة فى الجملة وقد كان قيام الليل واجبًا عليه ﷺ باتفاق بل كانت الصلاة مشروعة فى الملل السالفة لكن على غير هذا التحديد.

فظهر أن لا حجة فى ذلك على القائل بما اخترناه، ثم الحجة لنا فى ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد، لأنه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم. وأما قول الحربى فإنه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم. وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القضية زائد على الإجمال الذى فى غيره فالمحيط علما بالتفصيل أحضر ذهنًا وأوعى قلبًا من الآخر.

فإن قلت: هل يمكن تعيين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من أيام الجمعة؟ قلت: يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين إن شاء الله تعالى، وذلك أننى استقرأته من

تاريخ الهجرة، وأصح قول فيها أنها كانت يوم الاثنين وثانى عشر شهر ربيع الأول أعنى وصوله ﷺ إلى المدينة قبل ضحى، وقيل عند استواء الشمس وإذا كان الثانى عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعًا وإذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الأول من السنة التى فيها الإسراء: إما السبت أو الأحد أو الاثنين لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين إما ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها أو رابعه أو سادسه.

وأعدل الاحتمالات الخامس، فالجمعة تعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة، وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب توالى التمامات فى الشهور أو النقصانات فبنى من هذه الاحتمالات الثلاثة على الأقل، فيكون أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين، ويكورن أول ربيع الآخر وهو شهر الإسراء الأربعاء لأنا فرضنا ربيعا الأول تاما وإذا كان أول شهر الإسراء كان السابع والعشرين منه يوم الاثنين وهو يوم الاثنين إن شاء الله تعالى الذى أسفرت عنه ليلة الإسراء.

وإنما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين، وكون المبعث يوم الاثنين، وكون الهجرة يوم الاثنين، وكون الوفاة كذلك. فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة وهجرة ومعراجًا ووفاة، فهذه خمسة أطوار اتفقوا على أربعة منها أنها يوم الاثنين فيقرب جدا أن يكون الخامس أسوتها، ويكون هذا اليوم فى حقه ﷺ كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام فيه خلق وفيه نزل إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات، وهذا نظر صحيح لا يحتاج إلا توفيقًا من القائل وإنصافا من السامع. وقد ثلج به الصدر إن شاء الله تعالى.

ويجوز أن تبنى أيضًا أن بين اليومين أربعة فيكون أول شهر ربيع الأول من سنة الإسراء الأحد، وأول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع والعشرون منه الأحد، فوقع الإسراء فى الليلة التى بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها، فيصح أنها الليلة التى كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الإسراء بيوم الاثنين.

ويدل على أن الليلة تتبع اليوم الـذى قبلها أن ليلة عرفة هى التى بعد يوم عـرفة ولهذا يجزئ الوقوف فيها إلى طلوع الفجـر ولا يجزئ فى الليلة التى قبلها بالإجماع، وقد ورد أن الإسراء كان ليلة الجمـعة وهذا نقل محض يطلب فيه الصحة ولم يعـضد بأصول تقربه من الحق بخلاف ما قدمناه، فقد بينا الأصول التى تقتضيه نقلا واستنباطًا.

وأمكن عندى على القول الذى اختـرناه أن يكون ليلة الجمعـة، وذلك بأن نفرض بين اليومين المـتقابلين خمسـة أيام فيكون الثانى سادس الأول. وقـد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الأربعـاء والوقفة التى قبلها الجـمعة، فجاءت هذه سادس تلـك، وإنما قلنا إنها ليلة الجمـعة على هذا التـقدير لأنه قد استـقر أن ربيـعا الأول سنة الهـجرة كان أوله الخـميس ونفرضـه ناقصًا ليكون ربيع الآخـر من سنة الهجرة الجـمعة، فـيكون أول ربيع الآخر من السنة التى قبلها وهى سنة الإسراء الأحد، فيكون السابع والعشرون منه الجمعة، وهى ليلة الإسراء وهو لائق بالإسراء لأجل فضيلة ليلة الجمعة.

(تنكيت لطيف) يرجع ما قـاله الحربى وذلك أن ليلة سبع وعشـرين تضاهى فى العدد اقعد الليالى بليلة القدر، وهى ليلة سبع وعشرين من رمضان.

(تنكيت ألطف من الأول) اعتبرت هذه الليالى الثلاث الفاضلات: ليلة نصف شعبان، وليلة سبع وعشرين من رمضان وهى ليلة القدر وليلة عـرفة. فوجدتها لا تزال متواخية إن كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمـعة وكذلك غير الجمعة من الأيام، وإن لم توافق ليلة عرفـة الليلتين المذكورتين فـلا بد أن يوافقهمـا يوم التروية. انتهى ما قـاله ابن المنير باختصار، فرحمه الله من إمام محقق حرى أن يكتب كلامه بماء الذهب والله أعلم.

استطراد ثان

(في الكلام على متن حديث الاسراء)

استحسنت الإتيان به عقيب آية الإسراء للمناسبة ولما سأذكره بعد من فوائد جليلة يعز وجودها ترجع إلى الحديث المذكور، وأولى ما يعتمد عليه حديث ثابت البنانى عن أنس لأنه سالم مما وقع فى ظاهر حديث غيره من التعارض فرأيت أن أذكره أولا باختصار ليكون أصلا، ثم أذكر ما سواه مما ورد من الطرق تبعًا له باختصار أيضًا فأقول

روى مسلم فى «صحيحه»[1] عن حَمّاد بـن سَلَمَة، عن ثابت البُنَانِىّ، عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: أُتِـيتُ بالْبُرَاقِ وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ فوق الحمـار ودون البغل، يضع حافره عند منتـهى طَرْفِه. قال: فركبـته حتى أتيت بيت المقدس فـربطته بالحَلْقَة التى تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيـه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطْرَةَ[2].

ثم عَرَجَ[3] بنا إلى السماء، فاستفتح جبريلُ فقيل: مَنْ أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

فَفُتِحَ لنـا فإذا أنا بآدم عليه السلام فرحـب بى ودَعَا لى بخير، ثم عَرَج بنـا إلى السماء الثانية فاستَفْتَح جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم، ففتح لهما فوجد رسول الله ﷺ ابْنى الخَالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا به ﷺ ودعوا له بخير.

ثم عَرَجَ كـذلك إلى السماء الثـالثة وقيل كـما تقدم، فوجـد ﷺ فيهـا يوسف عليه

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ج ١ ص ١٥٣.

(٢) الفطرة: الإسلام والاستقامة. (٣) عرج: أى صعد.

السلام وقد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فرحب به ﷺ ودعا له بخير. ثم عَرَجَ كذلك إلى السماء الرابعة وقيل كما تقدم، فوجد ﷺ فيها إدريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج به كذلك إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم.

فرأى ﷺ إبراهيم عليه السلام مُسْنِدًا ظهره إلى البيت المعمور. ثم ذهب به إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى[١] فأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، ففرض عليه خمسين صلاة، ثم أرصده موسى عليه السلام إلى الرجوع إلى ربه ولم يزل ﷺ يرجع بين موسى وربه إلى أن استقر الأمر على خمس صلوات كل يوم وليلة.

واخرج مسلم[٢] ايضًا عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وهو يلعب مع الغِلْمان، فأخذه فَصَرَعه، فشق عن قلبه، فاستخرجه ثم استخرج منه علقة وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ[٣] ثم أعاده إلى مكانه.

(وفي طريق) بينا أنا في المسجد الحرام. (وفي طريق) وأنا نائم. (وفي طريق) أنه كان بالحطيم بين النائم واليقظان. (وفي طريق) أنه أسرى به من بيت أم هانئ كما علمته آنفًا. (وفي طريق) فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري. (وفي بعض طرق الاسراء) وذلك قبل أن يوحى إليه. وفيما تقدم عن ثابت كما رأيت أنه أتى باللبن والخمر قبل العروج. (وفي بعض الطرق) أنه أتى بهما في الملأ الأعلى. (وفي طريق) أنه انتهى إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى ثم فارقه جبريل. (وفي طريق) فزج بي في النور وقال هانت وربك. وفي حديث ثابت، كما تقدم، أنه ﷺ صلى في بيت المقدس قبل العروج. (وفي بعض الطرق) أنه صلى بالأنبياء في السموات. (وفي طريق) فلم نزل على ظهره - يعني البراق - أنا وجبريل. (وفي طريق) أنه استصعب البراق فقال له جبريل عليه

---

(١) سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها احد إلا رسول الله ﷺ.

(٢) كتاب الإيمان ج ١ ص ١٥٥.

(٣) لأَمَهُ: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

السلام: أبمحمد تستصعب؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقًا. (وفى بعض الطرق) أنه رأى المعراج بصورة السلم كأحسن ما رأى. (وفى طريق) فانتهيت إلى سدرة المنتهى فغشيها ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرأيت جبريل يتضاءل كالصعوة فتخلف وقال: وما منا إلا له مقام معلوم، فجاوزت سبعين حجابًا، ثم احتملنى الرفرف إلى العرش فنوديت حي ربك، فقلت: سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إلى آخر ما هو مستوفى في محله، كإنكار قريش الإسراء، واستيصافهم بيت المقدس من النبى ﷺ فرفعه الله له فوصفه وذكر لهم قضية لقيه العبر قاصدين مكة وشربه ما كان فى القدح من الماء إلى غير ذلك فكان كل ذلك حقا وصدقا كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﷺ وشرف وكرم والله أعلم.

فوائد: تتعلق بحديث الاسراء وفواصله وأسراره وفضائله:

الأولى: يؤخذ من قوله تعالى ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ ما لا يؤخذ أن لو قيل بعث إلى عبده، لأن الباء تفيد المصاحبة أى صحبه فى سراه بالألطاف والعناية ويشهد لذلك قوله ﷺ: أنت الصاحب فى السفر، ويبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من قال: لله على أن أحج بفلان يلزمه أن يحج معه، بخلاف ما لو قال: لله على أن أحج فلانا فإنما يلزمه أن يجهزه للحج من ماله ،ولا يلزم الناذر أن يحج بنفسه، والفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة.

الثانية: تخصيص الإسراء بالليل فيه من التعظيم ما لا يخفى لأنه وقت خلوة واختصاص عرفا. وبين جليس الملك ليلا وجليسه نهارا فرق ظاهر والخصوصية بالليل.

الثالثة: لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب وليفتتن بالذين كفروا زيادة على فتنتهم، إذ الليل أخفى حالا من النهار ولعله لو عرج به نهار لفات المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب ولم يحصل ما قدر من الفتنة على من شقى وجحد.

الرابعة: إن قيل ما وجه استصعاب البراق عليه ﷺ بعد التسخير؟ أجيب بأن ذلك تنبيه على أنه لم يدلل قبل ذلك ولم يركبه أحد. وفى هذه النكتة خلاف، فمنهم من قال: ركبه الأنبياء قبل ذلك ومنهم من قال: لم يركبه أحد قبله. وحجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل: فما ركبك أحد أكرم على الله منه، ويمكن الاحتجاج أيضا بقوله فربطته

بالحلقة التى يربط بها الأنبياء. وأجيب عن الأول بأن معنى قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف يركبك أكرم من محمد. ويمكن أن يجاب عن الثانى بأنه ليس فى الحديث فربطته بالحلقة التى تربطه بها الأنبياء، وإنما قال يربط بها الأنبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل أن يكون غير البراق. ويحتمل أن يراد ارتباط الأنبياء أنفسهم بتلك الحلقة أى تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى.

الخامسة: يحتمل أن يكون استصعابه تيها وزهوا بركوب النبى ﷺ، وأراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب، استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وإنما تاه ولهذا قال: فارفض عرقا، فكأنه أجاب بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب.

السادسة: إن قيل كان فى قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون البراق خرقا للعادة، أجيب بأن فى صورة الركوب على المركوب المعتاد تأنيسًا فى هذا المقام العظيم بطرف من العادة.

السابعة: لعل فى الإسراء بالبراق إظهاراً للكرامة العرفية فإن الملك العظيم إذا استدعى خصيصا به بعث إليه بمركوب سنى ليصل عليه.

الثامنة: كون البراق بشكل البغل ولم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على أن المراد فى سلم وأمن لا حرب وخوف، أو لإظهار الآية فى الإسراع العجيب من دابة ما توصف بالإسراع كما فى الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه، أى يقطع ما انتهى إليه بصره فى خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الأرض إلى السماء فى خطوة واحدة لأن بصر من يكون فى الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات.

التاسعة: لقائل أن يقول قد ركب النبى ﷺ بغلته فى الحرب يوم حنين، أجيب بأن ذلك كان لتحقق نبوته ﷺ فى مواطن الحرب ولما خصه الله به من مزيد الشجاعة، وإلا فمعلوم أن البغال عادة من مراكب الطمأنينة. وليعلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس.

العاشرة: اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبى ﷺ على البراق أم لا؟ فقال بعضهم: ركب معه بظاهر قوله ﷺ: فما زلت على ظهره أنا وجبريل. قال ابن المنير رحمه الله: والأظهر عندى أنه ﷺ اختص بالركوب لأنه المخصوص بشرف

الإسراء. وفى قول جبريل أيضا أبمحمد تستصعب فما ركبك أكرم على الله منه، دليل على اختصاصه ﷺ بركوبه، وإنما كان جبريل هاهنا معه رسول بلاغ ودليل طريق ومستدعى حبيب. وقوله ﷺ : ما زلت على ظهره أنا وجبريل، يحتمل قوله: وجبريل على أنه استئناف كلام كأنه قال وجبريل سائر معى ونحوه ولا يريد راكبا معى على البراق، لأنه ليس فى الكلام ما يعين ذلك.

الفائدة الحادية عشرة: دل قوله ﷺ : فصليت ببيت المقدس ركعتين، على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض ومعدودة مثنى مثنى، وفرضت كذلك على ما عهدت كما قالت عائشة ﵂: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد صلاة الحضر.

الثانية عشرة: إن قيل ما الحكمة فى نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت ولم يدخل عليه من الباب مع قوله ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾؟ الجواب: أن الحكمة فى ذلك المبالغة فى المفاجأة والتنبيه على الكرامة والاستدعاء كان بديها على غير ميعاد.

الثالثة عشرة: يحتمل أن يكون فرج السقف توطئة وتمهيدا للفرج عن الصدر، فأراه جبريل بإخراجه عن السقف ثم التئامه على الفور كيفية ما يصنع به، وقرب له الأمر فى نفسه بالمثال المشاهد فى بيته لطفًا فى حقه وتثبيتًا لقلبه.

الرابعة عشرة: السر فى العناية بتطهير القلب وإفراغ الإيمان والحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة فى أن محل العقل ونحوه من أسباب الإدراكات كالنظر والفكر، إنما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة.

الخامسة عشرة: إنما خص الطست بالغسل فيه دون بقية الأوانى لأنه آلة للغسل عرفا، وإنما كان من ذهب لأنه أعلى أوانى الجنة ولأنه رأس الأثمان فهو إذا أصل الدنيا والإيمان أصل الدين، فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لأصل الدين وخادم له ووسيلة إليه.

السادسة عشرة: استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية ما يعظم شرعا بالذهب كالمصحف أو ما هو آلة لطاعة كالسيف الذى هو آلة للجهاد بحديث الإسراء واستعماله طست الذهب.

السابعة عشرة: يرد على ذلك بأن الذى اختص بالنبى ﷺ من طست الذهب إنما هو تفريغ ما فيه من الإيمان والحكمة فى قلبه ﷺ، والتفريغ ترك لا فعل، ولا خلاف أن آنية الذهب إذا حصل فيها طعام له حرمة شرعية، كان تفريغ ذلك منها مشروعا بخلاف وضعه فيها، ولا يعد التفريغ استعمالا. ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهى أن الحسن البصرى وفرقدًا السَبَخِى اجتمعا فى وليمة دعيا إليها، وكان الحسن عالما وفرقد عابدًا، وكان فى الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص، فأما الحسن فإنه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأكل. وأما فرقد فاعتزل ولم يأكل فالتفت إليه الحسن وقال: يا فريقد، هلاَّ صنعت هكذا؟ فرأى الحسن أن التفريغ ليس استعمالا بل تركا وإزالة للمنكر، فاجتمع له بفقهه إقامة سنة الوليمة بالأكل وجبر قلب الداعى وإزالة المنكر وتعليم الأحكام الخفية، ولهذا قال يا فريقد، فصغر اسمه فى النداء تعريضًا له بالإنكار إذ تصرف فى الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصد التى اجتمعت للحسن رضي الله عنه. وينبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من كان فى رمضان أو أراد الصيام فى غيره وطلع عليه الفجر وهو آكل فعلم بذلك وألقى الطعام من فيه لا شىء عليه، فهذا من جنس كون التفريغ ليس استعمالا ولا إشكال فى ذلك.

الثامنة عشرة: لقائل أن يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الإسراء، لأن العادة انخرقت فيه من حيث ما وعى فيه من الإيمان ومن أنه من الكون أو من الجنة، وإذا انخرقت العادة تغيرت الأحكام المنوطة بها.

التاسعة عشرة: يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الإسراء أن يثبت أنه كان بعد تحريم استعمال الذهب، ولا يقدر على ذلك، فإن النبى ﷺ تختم بالذهب ثم ألقى الخاتم فألقى الناس خواتمهم، وما كان النسخ والتحريم إلا بالمدينة. وقد تقدم أن الإسراء متقدم على الهجرة على المختار.

الفائدة العشرون: تقدم فى حديث ثابت أنه ﷺ قدم له الآنية، قبل العروج، وفى طريق آخر أنه بعد العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتين ويكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب، حيث اختار اللبن تأكيدًا للتحذير مما سواه.

الحادية والعشرون: إن قيل ما المراد بالفطرة فى قول جبريل اخترت الفطرة؟ فاعلم أن الفطرة تطلق تارة، ويراد بها الإسلام، وتطلق تارة على أصل الخلقة، فمن المعنى الأول: قوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. ومن المعنى الثانى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى مبتدئ خلقهما، فقول جبريل: اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه تثبت الخلقة، وهى نبت اللحم ونشر العظم.

أقول: فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب فتأمل انتهى. أو اخترته لأنه الحلال المستمر فى دين الإسلام، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر.

الثانية والعشرون: يحتمل أن يكون فى تقديم إناء اللبن إشارة إلى أنه شعار العلم فى التعبير، كما ورد أنه ﷺ قال: أريت كأنى أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الرى يخرج من أظفارى، ثم ناولت فضلى عمر. فقالوا: يا رسول الله، ما أولته؟ قال: العلم. والإسراء وإن كان يقظة إلا أنه ربما وقعت فى اليقظة إشارات على حكم الفأل تعبر كما يعبر المنام.

الثالثة والعشرون: فى استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء دليل على أنه صادف أبوابها مغلقة، مع أنه ﷺ كان قد استدعى، فلعل والله أعلم الحكمة فى ذلك التنويه بقدره، وأن السموات لم تفتح أبوابها إلا من أجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر أنها فتحت من أجله ولا بد.

الرابعة والعشرون: ينبغى للمستأذن إذا قيل له من هذا، أن لا يقول أنا، فإن جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وإنما سمى نفسه، وقد أنكر النبى ﷺ على الذى استأذن عليه، فقال ﷺ من هذا، فقال أنا، فجعل النبى ﷺ يكرر لفظة أنا إنكارا.

الخامسة والعشرون: إنما كرهت هذه الكلمة لوجهين:

أحدهما: أن فيها إشعارا بالعظمة، وفى الكلام السائر أن أول من قال أنا إبليس. فشقى حيث قال أنا خير منه، ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الأعلى.

الثانى: أنها مبهمة لافتقار الضمير إلى العود فهى غير كافية فى البيان.

فإن قيل: قد اتفق النحاة على أن المضمرات أعرف المعارف وأعرفها أنا. فهذه الكلمة فى الغاية القصوى فى التعريف، فكيف كان العلم أعرف منها، وإنما اختلف النحاة فى اسم الإشارة والعلم لا فى المضمر. **فالجواب** أن المضمر إذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حينئذ، والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة.

(حكاية لطيفة استطرادية): تنبه على رعاية الأدب مع الله تعالى جل وعلا: حكى أن سيبويه رحمه الله رئى فى المنام بعد وفاته، فقيل له ماذا لقيت؟ فقال خيرا كثيرا، فقال له بماذا؟ فقال: سئلت فى الدنيا عن أعرف المعارف، فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لى ذلك.

السادسة والعشرون: قول الخازن لجبريل، ومن معك؟ قال: محمد، فيه دليل على أن الإذن لواحد لا يتناول غيره، وإن كان فى صحبته ولهذا استفهم الخازن حتى يكون لمن معه إذن مستقل، وهو عرف الناس إذا أذن لأحد وكان فى صحبته غيره أن يقول ومن معى، فيستأنف الاستئذان لمن معه، وقوله وقد بعث إليه؟ أراد به الاستفهام فحذفت الهمزة للعلم بها، وأصل الكلام أوقد بعث إليه. والنحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع حيث لا دليل على المحذوف، وإلا فالحديث حجة عليهم.

السابعة والعشرون: لم يرد الخازن بقوله وقد بعث إليه أصل الرسالة، فإن الظاهر أنه كان معلوما عندهم، وأنما أراد البعث للمعراج.

الثامنة والعشرون: موقع قول الخازن أوقد بعث إليه، استنطاق جبريل بالسبب الموجب للإذن والفتح، لأنه مجرد قول جبريل عليه السلام معى محمد لا يوجب الإذن إلا بواسطة البعث من صاحب الإذن جل وعلا.

التاسعة والعشرون: إن قيل: لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا بك، وإنما أورد التحية بصيغة الغيبة؟ أجيب بأنه حياه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبى ﷺ خطاب، ولهذا قال الخازن لجبريل: ومن معك بصيغة الخطاب، لأن جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين.

الفائدة الثلاثون: يجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له، لأن هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب. والله أعلم.

انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى من إملاء العلامة ابن المنير رحمه الله، والله أعلم.

عدنا إلى المقصود: اعلم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى نحو خمسة عشر موضعًا فإذا تقرر هذا فقد اختلف فى المراد بالمسجد الحرام الذى تتعلق به المضاعفة فى قوله ﷺ فى حديث ابن الزبير السابق، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى. فقيل: جميع بقاع الحرم وقيل: المراد الكعبة وما فى الحجر من البيت ويؤيده ما أخرجه النسائى عن أبى هريرة ﷺ: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا الكعبة. وقيل المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووى، وقال إنه الظاهر. وقيل: المكان الذى يحرم على الجنب المكث فيه. ونقل عن الإمام تقى الدين ابن أبى الصيف اليمنى أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف لأنه المنصرف عند الإطلاق فى العرف، قال: ولا يضر رواية الكعبة. ولهذا قال الغزالى: لو نذر صلاة فى الكعبة فصلى فى أرجاء المسجد جاز. انتهى.

ورجح الطبرى رحمه الله أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة وقال: إنه يتأيد بقوله ﷺ: مسجدى هذا، لأن الإشارة فيه إلى مسجد الجماعة، فينبغى أن يكون المستثنى كذلك، فإنه قيل قد ورد عن ابن عباس ﷺ أن حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة ألف، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام فى حديث الاستثناء الحرم كله.

قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس أن حسنة الحرم مطلقًا بمائة ألف، لكن الصلاة فى مسجد الجماعة تزيد على ذلك، ولهذا قال: بمائة صلاة فى مسجدى ولم يقل حسنة، وصلاة فى مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر حسنات، فتكون الصلاة فى مسجده ﷺ بعشرة آلاف حسنة، وتكون فى المسجد الحرام بألف ألف حسنة، وعلى هذا يكون حسنة الحرم بمائة ألف وحسنة المسجد الحرام بألف ألف ويلحق بعض الحسنات ببعض أو يكون ذلك مختصا بالصلاة الخاصة فيها. والله أعلم. انتهى بنصه.

قال المجد رحمه الله: وحاصل هذه العبارات مع اختلافها يرجع إلى ترجيح هذا القول. ثم قال: وهذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد وتزيد الحسنات بصلاة المكتوبة فى جماعة على ما جاء أنها تعدل سبعا وعشرين درجة، وهذا فيما يرجع إلى الثواب ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لا خلاف فيه. انتهى.

وقد اختلف العلماء فى هذا الفضل، هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض؟ فمذهبنا ومشهور مذهب مالك أنه يختص بالفرض، والتعميم مذهب الشافعى ﷺ كما صرح به النووى رحمه الله تعالى.

فإن قيل لا عموم فى لفظ الحديث لما أنه نكرة فى سياق الإثبات ويؤيده أن النبى ﷺ قال: أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة، أجيب بأنه وإن كان نكرة فى سياق الإثبات فهو عام لأنه فى معرض الامتنان.

قال المجد رحمه الله: فإن قيل كيف يقال إن المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص الأصحاب ونص الحديث على أن فعل النافلة فى بيت الإنسان أفضل إلا ما استثنى كالعيد وركعتى الطواف؟ فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت إذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف، وفضيلتها فى البيت من حيثية أخرى تربو على التضعيف. انتهى.

أقول: هذا التفضيل بالنسبة إلى الرجال، وأما الإناث فالصلاة فى البيت مطلقًا لهن أفضل لا سيما فى هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوزًا أم شابة.

ونقل الشيخ ولى الدين العراقى فى «شرح تقريب الأسانيد» أن التضعيف فى المسجد الحرام لا يختص بالمسجد الذى كان فى زمن النبى ﷺ، بل يشمل جميع ما زيد فيه لأن المسجد الحرام يعم الكل. بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذى يحرم صيده كما صححه النووى.

وأما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد الذى كان فى زمنه ﷺ، ثم قال: لكن يشكل على هذا ما فى تاريخ المدينة أن عمر ﷺ لما فرغ من الزيادة فى مسجد النبى

ﷺ قال: لو انتهى إلى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ وفى رواية أخرى: لو مد إلى ذى الحليفة لكان منه.

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو زيد فى هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدى. وفى رواية أخرى أو بنى إلى صنعاء، وفى أخرى ما زيد فى مسجدى فهو منه ولو بلغ ما بلغ. فإن صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار.

فائدتان:

الأولى: قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة فى المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف، فبلغت صلاة واحدة فى المسجد الحرام عُمْر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة. وصلاة يوم وليلة، وهى خمس صلوات فى المسجد الحرام عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال[١]. انتهى كلامه.

الثانية: قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الإشارى: إن كل صلاة فى المسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد فى الحديث، وكل صلاة فيه جماعة بألفى ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف ألف صلاة وخمسمائة صلاة، وصلاة الرجل منفردًا فى وطنه غير المسجدين المعظمين، كل مائة سنة بمائة ألف وثمانين ألف صلاة، وكل ألف سنة بألف ألف صلاة وثمانى مائة ألف[٢].

فتلخص من هذا أن صلاة واحدة فى المسجد الحرام جماعة يَفْضُل ثوابُها على ثواب من صلى فى بلدة فُرَادى ، حتى بلغ عمر نوح النبى عليه السلام بنحو الضِّعف، وسلام على نوح فى العالمين. وهذه فائدة تساوى رحلة[٣] ثم قال: هذا إذا لم يُضِف إلى ذلك شيئًا آخر من أنواع العبادات، فإن صام يومًا وصلى الصلوات الخمس جماعة، وفعل فيه أنواعا من البر وقلنا بالمضاعفة، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه[٤] انتهى.

تكملة: قال بعض العلماء: إن السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات، وهو

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «دجلة».

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وقال به مجاهد أيضًا والإمام أحمد بن حنبل ولهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة، والصحيح عند جماهير أهل العلم عدم المضاعفة لكن السيئة فيه أعظم منها فى غيره بلا ريب. ثم على قول أن السيئة تتضاعف فقيل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم، وقيل بل كخارجه وحرر بعض العلماء النزاع فى هذه المسألة فقال القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها أى غلظها لا كميتها فى العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئة تتفاوت فالسيئة فى حرم الله وبلده على بساطه أكبر وأعظم منها فى غيره، وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه فى موضع بعيد عنه، فإنه قيل يرجع النزاع أيضًا إذ لا فرق بين أن تكون السيئة مغلظة وهى واحدة وبين أن تكون مائة ألف سيئة عددا. فالجواب أنه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته فى العدد دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته فى العدد دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته عددا كان من أهل الأعراف.

فصل فى ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام وتوسعته وذرعه وذكر شىء من أخباره

ذكر الأزرقى والإمام أبو الحسن الماوردى وغيرهما من الأئمة المعتمدين: أن المسجد الحرام كان فى عهد النبى ﷺ وأبى بكر الصديق رضي الله عنه وليس عليه جدار يحيط به، وكانت الدور محدقة به من كل جانب وبين الدور أبواب يدخل منها الناس، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى دورًا وهدمها ووسع بها المسجد، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع[1] من البيع فوضعت أثمانها فى خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك. وقال لهم عمر: أنتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة، إنما هو فناؤها. ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطًا به دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد جدارا[2].

فلما كان زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه وكثر الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد الحرام،

(١) فى د، والمطبوع: «وامتنع» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٨.

وأبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به، فقال لهم: إنما جرأكم على حلمى عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له[١].

ولم يذكر الأزرقى السنة التى وسع فيها عمر ﷺ المسجد الحرام وهى سنة سبع عشرة من الهجرة، ولا السنة التى وسع فيها عثمان ﷺ وهى سنة ست وعشرين من الهجرة.

ثم قال الأزرقى: فلما كان زمن عبد الله بن الزبير زاد فى المسجد زيادة كبيرة واشترى دورا من جملتها بعض دار الأزرقى جد الأزرقى صاحب «تاريخ مكة» واشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار، ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل فى رأس كل أسطوانة خمسين مثقالا[٢] ذهبًا.

ثم إن الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما، وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد من داخله بالرخام، وجعل له شرفًا، وجعل فى وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام[٣].

تنبيه: قول الأزرقى: الوليد أول من نقل إليه أساطين الرخام. قال الفاسى رحمه الله: قد نقل الأزرقى ما يفهم خلاف ذلك لأنه ذكر فى عمل عبد الملك أنه جعل فى رأس كل أسطوانه خمسين مثقالا من الذهب وهذا يقتضى وجود الأساطين قبل الوليد فتكون من عمل ابن الزبير أو عبد الملك. وعلى كلا الأمرين فهو مخالف لما ذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك[٤]. والله أعلم بالصواب. انتهى بمعناه.

أقول: يمكن الجمع بين كلامى الأزرقى وترتفع المخالفة التى ذكرها الفاسى، وذلك أن الأزرقى رحمه الله لم يذكر أن الأساطين التى فى رءوسها المثاقيل الذهب فى أيام عبد الملك كانت من رخام ليتجه ما قاله الفاسى، ولا خصوصية أيضًا لتسمية الأساطين بما كان من الرخام فيحتمل أنها كانت من آجر أو من حجارة أو من خشب ويؤيد ذلك ما تقدم فى

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٩.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٩ وما بعدها.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٧١.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٢.

الباب الأول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت الشريف، فيما أخرجه الفاكهى عن السهمى عند قوله فعابت أسطوانة. قال شيخ الإسلام ابن حجر: والأسطوانة من خشب وما سيأتى قريبًا من كلام الفاسى نفسه عند ذكره لما عمره القاضى محمد بن موسى من بناء الزيادة التى بدار الندوة فى قوله وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملابن ساج[١]. وفى قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربى وبعض الشامى من المسجد الحرام فى عام اثنين وثمانمائة ما صورته: إن الأساطين التى بالجانب الغربى حجارة منحوتة هذا كلامه. وأما الأساطين من الآجر فعمل منها كثير فى المساجد وغيرهما فإذا علم ذلك فقول الأزرقى رحمه الله إن الوليد أول من نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل والله الموفق.

ثم لما أفضت الخلافة إلى أبى جعفر العباسى ثانى خلفاء بنى العباس وسع المسجد الحرام من جانبه الشامى ومن جانبه الغربى ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا. وكان ابتداؤه فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة[٢].

وكان الذى زاده المنصور النصف مما كان عليه قبل ذلك.

ثم إن المهدى بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم، ما عدا الزيادتين فإنهما أحدثتا بعده[٣] كما سيأتى قريبًا إن شاء الله تعالى.

وكانت عمارة المهدى فى نوبتين: الأولى فى سنة إحدى وستين ومائة، وزاد فيما زاده أبوه رواقين. والثانية سنة سبع وستين وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة أربع وستين، ورأى الكعبة فى شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون متوسطة فى المسجد، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فقدروا ذلك، فإذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل، وقالوا: إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى إن حولنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا على ما نريد. فقال المهدى لا بد لى من سعة المسجد بحيث تكون

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) إخبار الكرام ص ١٨١.

(٣) إخبار الكرام ص ١٨١.

الكعبة فى وسط المسجد على كل حال ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال، وعظمت نيته في ذلك وقوى عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى إلى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى(١).

ثم خرج المهدى إلى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد، ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة ابنه موسى الهادى لمعاجلة المنية للمهدى(٢).

وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى وأنفق المهدى رحمه الله في ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع فى ذراع مكسر مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا، وثمن كل ذراع مكسر مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ونقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام من مصر وغيرها فى السفن حتى أنزلت بِجُدّة، وحملت منها على العجل إلى مكة(٣).

قال الأزرقى: ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى، وجعلوا الباب الذى بإزائه من أسفل المسجد يعنى من الجانب الغربى يستقبل خط الحزامية، يقال له باب البقالين وهو معروف. وقالوا: إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب(٤) انتهى بمعناه.

هذا عمل المهدى فى النوبة الثانية واستمر كذلك إلى يومنا هذا والله أعلم.

أقول: باب بنى هاشم الذى ذكره الأزرقى باب علىّ الآن نبه على ذلك الفاسى.

وباب البقالين لعله المعروف الآن بباب الحزورة، فإن الفاسى رحمه الله عرف باب الحزورة بأن الغالب عليه باب الحزامية، وقال: لأنه يلى خط الحزامية لا باب إبراهيم. لان الأزرقى لم يذكره وإنما حدث بعده. وأيضًا قول الأزرقى: وجعل الذى بإزائه، يؤيد أنه باب الحزورة لأنه بإزاء باب على بمعنى مقابله.

(١) إخبار الكرام ص ١٨٢.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠، إخبار الكرام ص ١٨٣.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠.

وأما باب إبراهيم فقد أدركته وهو واطئ جدا وإنما رفع وعمل له هذه الدرجة فى حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة فى دولة الأشرف الغورى على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار. وقد شاهدت عمارته وأنا إذ ذاك فى المكتب وكانت السيول إذا دخلت المسجد إنما تخرج منه، والآن كذلك إنما يخرج السيل من القبو الذى تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل. انتهى.

فصل فى ذكر الزيادتين وخبر عمارتهما وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد منائره وابوابه

اعلم أنه لم يزد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدى رحمه الله سوى هاتين الزيادين دار الندوة التى فى الجانب الشامى من المسجد، وزيادة باب إبراهيم فى الجانب الغربى منه.

أما زيادة دار الندوة فسببها كما نقله الفاسى عن إسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب إلى وزير الخليفة المعتضد العباسى يحثه[1] على جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول: إن هذه مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدى. فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمائم من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير، وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنى عشر بابا بعقود ستة كبار وبينهم ستة صغار، وجعل فى هذه الزيادة ثلاثة أبواب بابان طاقان طاقان: وباب طاق واحد شارعة إلى الطريق التى حولها، وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير، وبنى فيها منارة وشرفًا وفرغ من ذلك فى ثلاث سنين[2].

قال الفاسى رحمه الله: ولم يبيّن إسحاق الخزاعى السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة، ولعل ذلك كان فى سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ما ذكره إسحاق، من أن الكتابة إلى المعتضد بسبب إنشائها كانت فى سنة إحدى وثمانين[3] ومائتين.

ثم ذكر أن القاضى محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غيّر الطاقات التى كانت فى

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «تحية».
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٣.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٣.

جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج بعقود من الآجر والجص الأبيض، ووصله بالمسجد الكبير وصولا أحسن من الأول، حتى صار من فى دار الندوة من مصلٍّ ومستقبل يرى القبلة كلها، وكان ذلك فى سنة ست وثلاثمائة[١].

وأما الزيادة التى بالجانب الغربى المعروفة بزيادة باب إبراهيم، فنقل الفاسى رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجدا ويوصل بالمسجد بالكبير، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع[٢] الناس به وصلّوا فيه، وذلك فى سنة ست أو سبع وثلاثمائة. انتهى.

والسبيل الذى بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون، أنشأه فى حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة أو فى التى بعدها[٣].

وأما ما وقع فى المسجد من العمارة والتجديد فكثير، منها العمارة الكبيرة التى كانت فى سنة أربع وثمانمائة، وإنما ذكرتها دون ما كان قبلها وبعدها من العمائر لكونها أعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء، ولما ظهر من همة الأمير المباشر لذلك وقوة العزم. وسبب ذلك أن فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المصحف بباب عزورة بالجانب الغربى من المسجد الحرام، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربى وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعا، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب العجلة، فصار ما احترق أكواما عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف. ثم من الله تعالى بعمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى وكان قدومه لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة، فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع تلك الأكوام حتى فرغت، ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان، وكان الفراغ من عمارة ذلك فى أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة[٤].

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) لدى الفاسى: «فانتفع».

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٥.

وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة فى هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم فى مدة سنين باعتبار العادة فى العمارة، فسهل الله فراغها فى تلك المدة، وجعلت الأساطين التى فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ما خلا أساطين يسيرة فى مقدمه، فإنها رخام مكسر ملصق بالحديد، وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك إلا سقف الجانب الغربى لتعذر خشب الساج. ثم عمل ذلك من خشب العرعر فى أوائل سنة سبع وثمانمائة - بتقديم السين - على يد الأمير بيسق المذكور، وكانت العمارة المذكورة فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق[١].

ذكر منائر المسجد الحرام

فى المسجد الحرام الآن ست منائر: أربعة فى الأركان، والخامسة فى زيادة دار الندوة، والسادسة بمدرسة السلطان الأشرف قايتباى رحمه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل إلى المسجد عمرت فى حدود الثمانين والثمانمائة. والخمس المنائر قديمة، أما منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسى كما تقدم وأما الأربعة التى بالأركان، فالأولى تعرف بمنارة عزورة لأنها على باب عزورة، والثانية على باب على وتعرف بمنارة على، والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة، والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لأنها على باب السلام، ولم أقف على من أنشأ هذه الأربع المنائر[٢]. غير أن الفاسى رحمه الله ذكر أن المنصور عمر منارة باب العمرة، وعمر ابنه المهدى المنائر الثلاث التى على باب السلام والتى على باب علىّ، والتى على باب الحزورة. (أقول) المفهوم من كلام الفاسى بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة، وعمّر ابنه المهدى إلى آخره[٣]، أن مراده بذلك الترميم والتجديد لا الإنشاء بدليل قوله بعد ذلك: وعمر الجواد جمال الدين محمد بن على الأصفهانى وزير صاحب الموصل منائر المسجد. وكذا قوله: وعُمّرت منارة باب الحزورة فى زمن الأشرف شعبان صاحب مصر، وكانت سقطت فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وكذا قوله: وعمرت منارة باب بنى شيبة

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٦٦، إخبار الكرام ص ١٨٧.

(٢) إخبار الكرام ص ١٨٨.

(٣) شفاد الغرام ج ١ ص ٣٨٦.

في زمن الناصر فرج، وذلك بعد أن سقطت في سنة تسع وثمانمائة لأن السقوط يستدعي تقدم البناء قبل ذلك[١].

ولو وقف الفاسي على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دأبه في استيفاء الكلام وتبيين الأمور على أحسن الوجوه وأكملها. انتهى.

وكانت منائر أخر في غير المسجد الحرام على رءوس الجبال يؤذن فيها، نقله الفاسي عن الفاكهي. فمن ذلك على جبل أبي قبيس أربع منائر، وعلى رأس الجبل[٢] الأحمر المقابل له منارة، وعلى الجبل المشرف على شِعْب ابن عامر منارة ومن ذلك منارة تشرف على المجزرة، ومنارة على جبل تفاحة، ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكري، ومنارة على كُدَيّ بضم الكاف تشرف على وادي مكة. (فهذه المنائر) كلها تنسب إلى عبد الله بن مالك الخزاعي من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد. ولبغا مولى أمير المؤمنين عدة منائر أيضًا من ذلك منارة على رأس الفلق، ومنارة على الأحمر، ومنارة على جبل خليفة كما لعبد الله، ومنارة على جبل المقبرة، ومنارة على جبل الحزورة، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب ولعله المسمى بالنوبي، ومنارة على جبل الأنصار الذي يلي أجياد، ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصحاص، وسيأتي تعريفه وموضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومنارة على الجبل المشرف على الخرمانية، ومنارة مشرفة على الخضير أو بئر ميمون، ومنارة بمنى عند مسجد الكبش، فهذه كلها لبغا وكان لهذه المنائر فيما مضى أناس يؤذنون للصلاة تجري عليهم الأرزاق في كل شهر. ثم قطع ذلك لتغيير الأحوال وتطاول الأزمان. والله أعلم[٣].

ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين

نقل الأزرقي أن ذرع المسجد الحرام مكسرًا مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع[٤].
وأما طول المسجد الحرام وعرضه فقد حرره الفاسي رحمه الله بذراع الحديد، فكان طوله من وسط جداره الغربي الذي هو جدار رباط الخوزي ـ بضم الخاء المعجمة وبعدها واو ثم زاء معجمة ـ إلى وسط جداره الشرقي الذي عند باب الجنائز مع المرور في نفس الحِجر

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨٦.
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨٧ و ٣٨٨.
(٤) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٨١.

ـ بكسر الحاء ـ واللصوق بجدار الكعبة الشامى ثلاثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع المذكور، ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع. وكان عرضه من وسط جداره القديم الذى يدخل منه إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جدار المسجد اليمانى فيما بين بابى المسجد باب الصفا وباب أجياد مارا كذلك فيما بين مقام إبراهيم والكعبة وأنت إلى المقام أقرب مائتى ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد، ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع، وكان تحريره لذلك فى ليلة الخميس السابع والعشرين من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة[١].

فائدة: أخرج الأزرقى بسنده إلى أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: إنا لنجد فى كتاب الله تعالى أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى. وأخرج أيضًا بسنده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: أساس المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. ثم قال: والمهدىّ وضع المسجد على المسعى انتهى[٢].

ذكر ذرع زيادة دار الندوة

أما ذرعها طولا وذلك من جدار المسجد الكبير إلى الجدار المقابل له الشامى الذى عنده باب المنارة أربعة وسبعون ذراعا ـ بتقديم السين ـ إلا ربع ذراع بذراع الحديد، وذرع عرضها من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى سبعون ذراعا ونصف ـ بتقديم السين ـ وهذا ذرع الأروقة مع الصحن، وأما ذرع الصحن وحده فطوله من الأساطين التى فى مقدم الجانب الجنوبى مما يلى المسجد الكبير إلى الاساطين التى فى مقدم الجانب الشمالى سبعة وثلاثون ذراعا ـ بتقديم السين ـ وعرضه كذلك بزيادة سدس ذراع بذراع الحديد[٣].

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وثلاثمائة» وصوابه من د، والفاسى، وانظر الخبر لديه ج ١ ص ٣٦٩ و٣٧٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٢.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٧٢.

ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم

أما طولها وذلك من الأساطين التى تلى المسجد الكبير إلى العتبة التى فيها باب هذه الزيادة فسبعة وخمسون ذراعًا إلا سدس ذراع - بتقديم السين - وأما عرضها من جدار رباط الخوزى - بضم الخاء وكسر الزاى المعجمتين بينهما واو - إلى جدار رباط رامشت المقابل له فاثنان وخمسون ذراعًا وربع وذلك ذرع الأروقة من الصحن، وذرع الوسط وحده طولا من الأساطين الشرقية التى تلى المسجد الكبير إلى باب إبراهيم ستة وثلاثون ذراعا وربع وثمن. وذرعه عرضًا ثلاثة وثلاثون ذراعًا ونصف بالحديد. هذا تحرير الفاسى رحمه الله

أقول[1]: كان ذرع زيادة باب إبراهيم كما ذكره الفاسى، وأما فى وقتنا هذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة، بمقتضى تغيير الباب ورفعه، وما أحدثه الأمير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسى من البلاط والدرج البارزة إلى نفس المسجد وزوال تلك العتبة الأولى كما قدمته آنفا. انتهى والله الموفق.

ذكر كيفية المقامات
التى هى الآن فى زمننا موجودة بالمسجد الحرام
وبيان مواضعها وكيفية الصلاة فيها وما فى المسجد من القبب
والسقايات وغيرها

أما المقامات فأربع: مقام الشافعى، وصفته بترتان[2] عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة وخشبة معترضة للقناديل، وهو خلف مقام الخليل عليه السلام. وأما مقام الحنفى فكان قديمًا أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلاه مما يلى السماء مطلى بالنورة، وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخّم، وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى أواخر سنة إحدى وثمانمائة، وانتهى فى أوائل سنة اثنين وثمانمائة كذا ذكره الفاسى[3].

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) البتر: القوائم.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩١.

ثم قال وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكورى الشافعى، وألف فى ذلك تأليفًا حسنًا، والشيخ سراج الدين البلقينى وولده الإمام العلامة قاضى القضاء بالديار المصرية شيخ الإسلام جلال الدين، وكان إذ ذاك متوليًا وباقى القضاة، وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجوار بنائه على هذه الصفة، ورسم ولى الأمر بهدمه، فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر(١).

وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم انتهى(٢).

وسبب المعارضة أن جماعة من علماء الحنفية إذ ذاك أفتوا بجواز بقائه على هذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقى من البرد والمطر، وأن حكمه حكم الأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام. ثم فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الأمير سودون المحمدى سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان، ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء، ولم يكن هذا فيه قبل ذلك، ثم جدّد بعد ذلك مرارا آخرها فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة، وقد أدركته، وهو على هذه الصفة، واستمر كذلك إلى عام أربعة وعشرين وتسعمائة.

فلما حج الأمير مصلح الدين الرومى فى موسم سنة ثلاث وعشرين فى أول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له أن يهدمه، فهدمه فى أول عام أربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر عراض جدا بأربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عند أهل مكة بحجر الماء، يؤتى به من جهة الحديبية أحمر وأصفر منحوت، وزاد فى طوله وعرضه، وأراد إيصاله بالمطاف فعرف بأن ذلك يؤدى إلى قطع الصف الأول الذى يصلى خلف إمام الشافعية، فاقتصر وانتهى بمحرابه إلى إفريز حاشية المطاف، واستمر الأول متصلا، واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمس وعشرين سنة فلما كان فى عام تسعة وأربعين وتسعمائة برز أمر مولانا سلطان الإسلام بهدم هذه القبة لما أنهى إليه من شموخها وأخذها جانبا كبيرا من المسجد.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٢.

(٢) شفاء الغرام ج ـ ص ٣٩٢.

وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله، فإني سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور أنه كان يقول: لا بد أن تهدم هذه القبة، وكان كذلك وكرامات الولي حق. فلما برز الأمر بذلك بادر إلى هدمها الأمير خشقلدي، صاحب الهمم العالية، مزيل المنكرات، وموسع الطرقات، نقمة الله على أهل المفاسد، ناتب جدة المحروسة ومباشر العمائر السلطانية المأنوسة. أعزه الله تعالى، وكان له وأحسن إليه. فبادر إلى امتثال الأمر وحضر بنفسه على جاري عادته في علو الهمة وهدم القبة المذكورة وذلك في أوائل شهر رجب أحد شهور عام تسعة وأربعين وتسعمائة.

ثم شرع في بناء مقام عظيم في الشهر المذكور وصفته أربع بتر لطاف في الأركان من أنقاض القبة الأولى من حجر الماء وستة أعمدة من حجر الصوان شمنة كل عمود قطعة واحدة. فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين إلى جهة القبلة، وعمودان بين البترتين المؤخرتين، وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة، وعمرد بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وشقة ثلاثة منها إلى جهة القبلة وثلاثة منها إلى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الأولى وعقدان إلى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالسًا في المقام مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما إلى جهة باب السلام وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا السقف في يوم الخميس غرة شعبان أحد شهور العام المذكور آنفًا.

ثم جعل فوق هذا السقف ظلة للمبلغين بأربع بتر وستة أعمدة الطف، من الأعمدة التحتانية على حكم ما جعل أسفل، عليها سقف مزخرف بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص إلى جهة السماء لدفع المطر، وفي أرض السقف الأول طاقة في وسطه يرى المبلغ منها الإمام وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ إلى الظلة في وقت المكتوبات.

وكان ابتداء تركيب سقف الظلة في يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى بعد الترصيص في ثالث عشر رمضان من العام المذكور[١].

وأما مقام المالكي والحنبلي فكان قديمًا كمقام الشافعي المتقدم بترتان عليهما عقد،

(١) إخبار الكرام ص ١٩٥ و ١٩٦.

وفى أعلاه نحو ثلاث شراريف غير أن بين البترتين من أسفل جدارا لطيفا فيه محراب فى هذين المقامين فقط.

ونقل الفاسى رحمه الله فى كتابه «شفاء الغرام» أن ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هذه الصفة المذكورة كان فى سنة سبع وثمانمائة، ثم قال: وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب يعني به أصل «شفاء الغرام» ولم يوجد هذا الأصل بعد الفاسى ولا عثر عليه مطلقًا. فما كان من مقام الشافعى فهو كذلك إلى يومنا هذا.

وأمام مقام المالكي والحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تاليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا عليه في أيام مولانا الخُنْكار[1] الأعظم سلطان الإسلام خان أدام الله أيامه، ورفع بالنصر والتأييد أعلامه، وصفتهما الآن كل مقام بأربع أساطين مثمنة الشكل كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكى، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتثمين وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف وفوقه إلى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليها صفائح الرصاص لأجل المطر، وفى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين إلى جهة القبلة وهما كذلك إلى هذا التاريخ، وكان المباشر لذلك عبد الكريم البارجى الرومى والله أعلم.

ذكر كيفية صلاة الائمة

بهذه المقامات وبيان مواضعها من المسجد الحرام

أما كيفية الصلاة فإنهم فى زماننا هذا يصلون مرتبين، الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفى إمام الحنفية بعده فى مقام الحنفية، ثم إمام المالكية بعده فى مقامه المتعين له، ثم إمام الحنابلة بعده في مقامه، وهذا فى الأربع الفروض الفجر والظهر والعصر والعشاء وأما صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبًا يصلى الحنفى والشافعى معًا فى وقت واحد، فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك إلى مولانا السلطان سليمان، فبرز أمره بالنظر فى ذلك وإزالة هذا التخليط.

(١) الخنكار: بمعنى الموفق، وهى لقب لسلاطين الدولة العثمانية.

فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدة في الحطيم واقتضى رأيهم أن الحنفي يتقدم في صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعي وكان هذا في حدود إحدى وثلاثين وتسعمائة، واستمر ذلك إلى وقتنا هذا عام تسعة وأربعين وتسعمائة فجزى الله الساعي في ذلك خيرا، وأما المالكي والحنبلي فلا يصلون المغرب فيما أدركناه.

وأما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كما في الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكي كان يصلي قبل الحنفي مدة، ثم تقدم عليه الحنفي بعد التسعين - بتقديم التاء على السين - وسبعمائة ونقل الفاسي عن ابن جبير ما يقتضي أن كلا من الحنفي والحنبلي كان يصلي قبل الآخر، أما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعًا أعني الأربعة الأئمة في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين، فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولي الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسي صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأن الإمام الشافعي بالمسجد الحرام يصلي المغرب بمفرده فنفذ أمره بذلك[١].

واستمر الحال كذلك إلى أن تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر، فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك، فابتدأوا بذلك في ليلة السادس من ذي الحجة عام ستة عشر وثمانمائة[٢] واستمروا يصلون كذلك إلى . . .[٣].

وأما وقت حدوث صلاة الأئمة المذكورين على الكيفية المتقدمة، فقال الفاسي رحمه الله: لم أعرفه تحقيقًا، ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي في سنة سبع وتسعين - بتقديم السين، في الكلمة الأولى والتاء في الثانية - وأربعمائة وأن الحنبلي لم يكن موجودا في ذلك الوقت، وإنما كان إمام الزيدية. ثم قال: ووجدت ما يدل على أن إمام الحنابلة كان موجودا في عشر الأربعين وخمسمائة[٤] والله تعالى أعلم.

وأما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام:

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٣.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٤.
(٣) بياض بالأصلين.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٥.

فإن مقام الشافعى خلف مقام الخليل ولكن ما يصلى إمام الشافعية إلا فى مقام الخليل قديما وحديثا، ومقام الحنفى بين الركنين الشامى ويسمى العراقى أيضًا، والغربى عن يمين مقام الخليل فى جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذى فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف، ومقام المالكى بين الركنين الغربى، واليمانى قريب من الحاشية، ومقام الحنبلى تجاه الحجر الأسود وقربه من المطاف كقرب مقام الحنفى.

ذكر ما فى المسجد الحرام من القبب وغيرها

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا إلى جانب بئر زمزم من جهة المشرق: إحداهما وهى التى تلى زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف والربعات الموقوفة وحفظ الفوانيس والشمع والشمعدانات النحاس والمسارج النحاس والكراسى الخشب التى ترفع عليها الرباع، وما أشبه ذلك من الأشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام. ولم أقف على ابتداء عمارتها متى كانت (وقد) جددها الناصر العباسى، وكانت موجودة قبله[1].

وذكر الفاسى رحمه الله ما يدل على أنها قديمة لأنه نقل عن ابن عبد ربه أنه ذكرها فى «العقد»[2] وأن ابن عبد ربه توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ونقل أيضًا عن ابن جبير أنه ذكر هذه القبة فى أخبار «رحلته»[3] وذكر أنها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هذه النسبة.

(والقبة الثانية) هى سقاية العباس عمرت فى سنة ٨٠٧، وخلف سقاية العباس ملاصقًا لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الوقادة كالعيدان التى ينزل بها القناديل ويسرج بها، وكالقصب المجوف الذى يطفأ به المصابيح، وبعض شىء من الزيت الذى يحتاج إليه لوقيد الشهر، وبعض شىء من القناديل الزجاج والحراريق التى توقد على المقامات فى الليالى المباركة كليلة أول المحرم وليلة العشر منه وليلة النصف من شعبان وليلة أوائل الشهور وغير هذا.

ومنها: فى المسجد الحرام بئر زمزم، ومحلها تجاه الحجر الأسود فى محل مرخم عليه سقف وفوقه ظلة مسقفة بالخشب المزخرف، وفوقه جمالون بقبة فى الوسط مصفح بالرصاص وقد جدد ذلك فى عام ثمانية وأربعين وتسعمائة، على يد الأمير خشقلدى كان

(١) إخبار الكرام ص ١٨٩ وما بين حاصرتين منه.

(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٢٥٨.

(٣) رحلة ابن جبير ص ٧٦.

الله له، تجديدا حسنا، وفى هذه الظلة خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة، وإلى جانبها مزولة يعلم بها الماضى والباقى من النهار، وفى الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ويبلغ خلف إمام الشافعية فى الصلوات الخمس.

هذا وفى زيادة باب إبراهيم حاصلان مسقوفان باباهما فى نفس الزيادة معدان لحفظ أخشاب المسجد المنكسرة والمنائر الدائرة والرصاص المتقلع وغير ذلك من الأنقاض، عمرا فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة أو فى الذى قبله فى زمن السلطان الغورى على يد الأمير خاير بك العلائى المعروف بالمعمار. هذا ما فى المسجد الحرام مما أعد لمصالحه.

ومما أحدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران فى زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام أحدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة والرأى المستقيم الأمير خشقلدى أعز الله جنابه وأجزل أجره وثوابه، وكان مبدأ عمارتهما فى شهر رجب أيضًا عام تسعة وأربعين وتسعمائة، وكانت عمارتهما فى هذا المحل فى غاية الصواب لأن محلهما كان به دكة عالية وربما يحصل فيها أو قد حصل من المفاسد ما الله أعلم به، فانصان ذلك المحل بعمارة هذين الحاصلين وزال ما يتوقع من المفاسد ونقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الأول الذى كان خارج المسجد إلى أحد هذين الحاصلين، وصار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الأمير المذكور وحسن رأيه جزاه الله تعالى خيرا والله أعلم.

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام[1]
وأسمائها وبيان محلها من المسجد

للمسجد الحرام الآن من الأبواب تسعة عشر بابا بثمانية وثلاثين منفذا، فمن ذلك بالجانب الشرقى أربعة أبواب بأحد عشر منفذا:

الأول: باب السلام ويعرف قديمًا بباب بنى شيبة وهو ثلاثة منافذ.

الثانى: باب الجنائز، وسمى بذلك لأن الجنائز قديما كان يُخرج بها منه وهو منفذان.

(١) انظر فى عدد أبواب المسجد الحرام: شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨١، إخبار الكرام ص ١٩٨.

وعرفه الأزرقى بباب النبى ﷺ لأنه كان يخرج منه إلى منزله دار خديجة زوجته ويدخل منه.

الثالث: باب العباس بن عبد المطلب لأنه يقابل داره التى بالمسعى وهو ثلاثة منافذ.

الرابع: باب علىّ وهو ثلاثة منافذ أيضًا، وعرفه الأزرقى بباب بنى هاشم وبباب البطحاء أيضًا.

(ومن ذلك) بالجانب الشامى خمسة أبواب بستة منافذ:

الأول: باب الدريبة منفذ واحد على يمين الداخل إلى المسجد من باب السلام.

الثانى: باب سويقة فى صدر زيادة دار الندوة منفذان.

الثالث: باب الزيادة غربى الزيادة المذكورة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد.

الرابع: باب العجلة وسمى بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديمًا دار العجلة ولم أدر ما هذه العجلة وهو منفذ واحد.

الخامس: باب السدة لكونه سد ثم فتح. وعرفه الأزرقى بباب عمرو بن العاص ﷺ، وسكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب إلى المسجد الحرام بجوار المسجد فلله الحمد على اختصاصى بجوارين وهو منفذ واحد.

(ومن ذلك) بالجانب الغربى ثلاثة أبواب بأربعة منافذ:

الأول: باب العمرة لأن المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه فى الغالب وسماه الأزرقى باب بنى سهم وهو منفذ واحد.

الثانى: باب إبراهيم منفذ واحد كبير أكبر أبواب المسجد فى الزيادة التى بهذا الجانب. قال الفاسى: وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطا عنده على ما قيل كما ذكره البكرى فى كتاب «المسالك والممالك» وأن العوام نسبوه إليه، ووقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام، وهو بعيد لا وجه له. والله أعلم. انتهى.

الثالث: باب الحزورة المصحف الآن بعزورة ـ بالعين المهملة ـ وهو منفذان وعرفه الأزرقى بباب بنى حكيم بن حزام ـ بالحاء المهملة المكسورة والزاى المعجمة ـ وبباب بنى الزبير بن العوام أيضا ثم قال: والغالب عليه باب الحزامية لانه يلى خط الحزامية.

(ومن ذلك) بالجانب الجنوبى سبعة أبواب بسبعة عشر منفذا:

الأول: باب أم هانئ بنت أبى طالب وبذلك عرفه الأزرقى وهو منفذان.

وذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة، لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى فى زمنه. وعرفه الأقشهرى بباب الفرج ونسبته إلى أم هانئ هو الأشهر إلى يومنا هذا، لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر فى المسجد فى زيادة المهدى الثانية. فحفر المهدى عوضا بئر على باب البقالين فى حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الأزرقى.

أقول: لعل هذه البئر التى هى عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الأموات الطرحاء الفقراء الآن، فإنى لا أعلم هنا بئرا غيرها. وفى هذا دلالة على أن باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه. انتهى.

الثانى: باب مدرسة الشريف عجلان لأنها بجانبه، كذا عرفه الفاسى. وعرفه الأزرقى بباب بنى تيم[1] وهو منفدان.

الثالث: باب المجاهدية لأن عنده مدرسة المالك المجاهد صاحب اليمن، كذا عرفه الفاسى ويقال له باب الرحمة. وما عرفت سبب هذه التسمية. وذكر الأزرقى أنه من أبواب بنى مخزوم وهو منفذان.

الرابع: باب أجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير. وعرفه أيضا بباب الخلقيين[2] ولم أعرف ما المراد بذلك. وعرفه الأزرقى بباب بنى مخزوم.

الخامس: باب الصفا خمسة منافذ. وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٩٠.

(٢) فى المطبوع: «الحلقيين» وفى د: «الخليفتين» والمثبت رواية ابن جبير، والخبر لديه ص ٨١.

عرفه الأزرقى أيضًا وسبب تعريف هذه الأبواب ببنى مخزوم كونهم كانوا ساكنين فى تلك الجهة.

السادس: باب البغلة ـ بباء موحدة وغين معجمة ـ وهو منفذان كذا عرفه الفاسى ولم أدر ما سبب هذه الشهرة. وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان.

السابع: باب بازان كذا سماه الفاسي، وقال: لأن عين مكة المعروفة ببازان عنده وعرفه الأزرقى بباب بنى عائذ وهو منفذان.

أقول: فى عبارة الفاسى بعض تسامح، لأن بازان هو المحل الذى تمر فيه عين مكة ينزل إليه بدرج لا نفس العين الجارية، وكل محل ينزل إليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى بازان فى عرف أهل هذا الزمان. وفى مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج والظاهر أن درجة أزيلت فيحتمل أن عين مكة كانت تسمى فى ذلك الوقت بازان. وسمى هذا المحل باسم العين ويحتمل أن يكون من باب تسمية الحال باسم المحل. انتهى. فهذه عدة أبواب المسجد الحرام الموجودة الآن والله أعلم.

الباب الثامن

فى فضل أهل مكة واحترامهم

ومزيد شرفهم وإكرامهم وذكر شىء من فضل قريش

ونسبة النبى ﷺ وأصحابه العشرة

روى الأزرقى فى «تاريخه» عن وهب بن منبه، أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض استوحش لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره، فقال: يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى؟ فقال له: سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى، وسأجعل فيها بيوتا لذكرى ويسبحنى فيها خلقى، وسأبوئك فيها بيتا أختاره لنفسى وأختصه بكرامتى، وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمى فأسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وأجوزه بحرماتى، وأجعله أحق بيوت الأرض كلها وأولاها بذكرى، وأجعله فى البقعة التى اخترت لنفسى، فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض، وأجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا، أحرّم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله، فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرماتى، ومن أحله فقد أباح حرماتى، ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى، ومن أخافهم فقد أخفرنى فى ذمتى، ومن عظم شأنه عظم فى عينى، ومن تهاون به فقد صغر فى عينى، ولكل ملك حيازة مما حواليه، وبطن مكه خيرتى وحيازتى وجيران بيتى وعمارها وفدى وأضيافى فى كنفى ضامنون على فى ذمتى وجوارى، فأجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض يأتون أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجون بالتكبير عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا، وينتحبون بالبكاء نحيبا.

فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى ووفد إلى ونزل بى، ومن نزل بى فحقيق على أن أتحفه بكرامتى وحق على الكريم أن يكوم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته.

تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء أمة بعد أمة وقرن

بعد قرن ونبى بعـد نبى حتى ينتهى ذلك إلى نبى من ولدك وهو خاتم النبيـين، فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته وسقاته، يكون أمينى عليه ما كان حيا.

وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشـرفه لنبى من ولدك قبل هذا النبى وهو أبوه يقال له إبراهيم، أرفع له قواعده وأقـضى على يديه عمارته، وأنيط له سقايتـه، وأريه حله وحرمه ومواقفه، وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحـدة قانتا لى قائما بأمرى أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم، أستجيب له فى ولده وذريته من بعده.

وأشفـعه فيـهم فأجـعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحـماته وسقـاته وخدامـه وخزانه وحجابه حتى يبتدعوا ويغيروا.

فإذا فـعلوا ذلك فـأنا الله أقدر القـادرين على أن أستـبدل من أشـاء بمن أشاء أجـعل إبراهيم إمـام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشـريعة، يأتم به من حـضر تلك المـواطن من جميع الإنس والجن يطئون فيها آثاره ويتبعون فيها سننه ويقتدون فيها بهديه.

فمن فعل ذلك منهم أو فى نذره واستكمل نسكه ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه وأخطأ بغيته، فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا؟ فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين إلى ربهم الذى يعلم ما يبدون وما يكتمون.

وليس هذا الخلق وهذا الأمـر الذى قـصـصت عليك شأنـه يا آدم بزائد فى ملكى ولا عظمتى ولا سلطانى ولا شيء مـما عندى إلا كمـا زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبـعة أبحر، تمـدها من بعدها سبعـة أبحر لا تحصى بل القطرة أزيد فى البحـر من هذا الأمر فى شيء ممـا عندى ولو لم أخلقه لم ينتـقص شيء من ملكى ولا عظمتى ولا مـما عندى من الغنى والسـعة إلا كـما نقـصت الأرض ذرة وقعت فى جـبالهـا وترابها وحـصاها ورمالـها وأشجارها، بل الذرة أنقص للأرض من هذا الأمر لو لم أخلقـه لشيء مما عندى وبعد هذا من هذا مثلا للعزيز الحكيم. انتهى[١] بنصه.

وجاء فى الحديـث أن سفهاء مكة حَشْوُ الجنة، كذا نقل عن أبى العبـاس الميُورقى. ووقع بين عـالمين منازعـة فى الحرم المكى فى تأويل هذا الحـديث وسنده فكابر أحـدهما

---

(١) الخبر بطوله لدى الأزرقى ج ١ ص ٤٦ - ٤٨.

وطعن فى سند الحديث ومعناه، فأصبح وقد طُعِنَ أنفُه واعْوَجّ، وقيل له: إىْ والله سفهاء مكة من أهل الجنة، سفهاء مكة من أهل الجنة، سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثا. فأدركه رَوْع وخرج إلى الذى كان يكابره فى الحديث من علماء عصره، وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لم يحط به خُبْرا[١].

قال القاضى تقى الدين الفاسى رحمه الله: بلغنى أن الرجل المنكر للحديث هو الإمام تقى الدين محمد بن اسماعيل بن أبى الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها، وأنه كان يقول: إنما الحديث أسفاء مكة أى المحزونون فيها على تقصيرهم، والله أعلم. انتهى[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لمقبرة مكة: نعم المقبرة هذه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: وقف رسول الله ﷺ على المقبرة يعنى مقبرة مكة وليس فيها يومئذ مقبرة قال: يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفًا وجوههم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الغرباء. قال الجد رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث فى «منسكه»: وإنما ذكرت هذا الحديث فى فضل أهل الحرم، لأن الغرباء المدفونين فى الحرم صاروا من أهل الحرم فى الجملة، ويروى أن أهل مكة كانوا يلقبون فيما مضى بأهل الله، وهذا من أهل الله، ذكره الأزرقى وغيره.

أقول: المراد بأهل مكة قريش وبما مضى حال شركهم وكفرهم كما ذكره أهل السير، فبالأولى أن يقال لهم بعد أن أكرمهم الله بدين الإسلام وأعزهم بنبيه ﷺ، فطوبى لأهل مكة ثم طوبى. انتهى.

وعنه ﷺ، أنه سأل الله عما لأهل بقيع الغَرْقد؟ فقال لهم الجنة، فقال يا رب ما لأهل المَعْلاَة؟ قال: يا محمد سألتنى عن جوارك فلا تسألنى عن جوارى، والغرقد ـ بالغين المعجمة ـ.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بعث رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٩.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٩.

على مكة قال له: هل تدرى إلى من أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله. زاد الأزرقى: فاستوص بهم خيرا. يقولها ثلاثا(١).

وأخرج الأزرقى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعى لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى، واشتد غضبه عليه لذلك، ولم يسكن غضبه عن رافع إلا حين أخبر أن ابن أبزى قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض، وتواضع حينئذ عمر رضي الله عنه، وقال: لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يرفع بهذا الدين أقوامًا ويضع به آخرين، وفى رواية بهذا القرآن(٢).

أقول: ما تقرر من الفضل المذكور لأهل مكة، فهو على سبيل العموم للصالح منهم والطالح كما دل عليه سياق الكلام الذى هو فى مقام الامتنان. ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفًا سفهاء مكة حشو الجنة. وهذا مما لا يخفى على من له أدنى تأمل، وهذا الفضل لا يشاركهم فيه أحد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم فى أعظم الأمور، وهو الإسلام، وكذلك الحج. فإن الواحد منهم منذ سقط رأسه وإلى حين وفاته يحج هذا البيت إذا كان مقيما فإن أحرم عنه وليه فى كل عام إلى حين بلوغه، فلا ريب فى تسميته حاجًا وحصول ثواب الحج النفل، وإلا فقد شهد المشاعر العظام ولا يتهيأ هذا لغيرهم، وهذا حال أكثرهم فلله الحمد والمنة على ذلك.

فلو خصص الله أحدا منهم بزيادة خلة ـ بفتح الخاء ـ وهى الخصلة من خصال الخير، إما علم أو ورع أو زهد أو تقوى أو صلاح، فلا ريب حينئذ فى زيادة فضله وشرفه وعلو مقامه.

وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبخ بخ له، وأين ذاك، فإن كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من النعوت فلا كلام حينئذ فى زيادة شرفه لما أن كثرة الخصال الحميدة والأوصاف المجيدة مما يدل على شرف القائم بها وزيادة فضله، لا سيما إذا كان ثابت التوالد بمكة هو وأبوه وأجداده جاهلية وإسلامًا، وذلك لفضل قريش مطلقًا على جميع العرب ولما خصهم الله به من سنى المجد ورفيع النسب. انتهى والله الموفق.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥١.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥٢.

فصل

فيما ورد فى حق قريش من الآيات والأحاديث والآثار

قال الله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ السورة (سورة قريش) قال الكواشى: أصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرئ بضم الراء، وهى الجهة يرحل إليها، وأراد رحلتى الشتاء والصيف فافرد للعلم به لأن قريشًا كانت ترتحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء إلى اليمن لأنه أدفأ، ورحلة صيف إلى الشام يستعينون بهم على المقام بمكة. وقريش من ولد النضر بن كنانة، ومن لم يلده فليس بقرشى. انتهى. والأشهر أن كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشى، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى، وهو جماع قريش بأسرها، والدليل على صحة ذلك أنه لا يعلم قرشى من كتب النسب اليوم أن قريشا تنسب إلى أب فوق فهر، وفهر لقب له والذى سمته به أمه قريش.

وسيأتى آنفًا سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا إن شاء الله تعالى. قال صاحب «المدارك» وكانت قريش فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم. والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسيرهم. وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. انتهى ملخصا.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (سورة الزخرف: ٤٤) قيل فى تفسيرها يقال، ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب. فيقال: مِنْ أيهم؟ فيقال رجل من قريش.

وعن ابن عباس: وإنه لذكر لك ولقومك شرف لك ولقومك. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠) أى فيه شرفكم وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٤) المراد قريش، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أى كريم يعنى قريشا، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (سورة الشورى: ٢٣) أى لا أسالكم أجرا إلى ما أدعوكم

إليه إلا أن لا تؤذونى بقرابتى منكم وتخفظونى بهـا ولا تكذبونى قال ابن عباس ﷺ: كان رسول الله ﷺ أوسط النسب فى قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده.

ما ورد فى حق قريش من الأحاديث

وأما مـا ورد فى حقـهم من الأحاديث فكثيـرة من ذلك فى «صحـيح البخـارى» قوله ﷺ: الناس تبع لقريش. وفيه أيضًا: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهـه ما أقامـوا الدين، وفيـه لا يزال هذا الأمر فى قريش مـا بقى منهم اثنان. وفى «الفائق» بلفظ ما بقى فى الناس اثنان.

قال العـلامة السيوطى فى شـرح هذا الحديث: هو خبـر بمعنى الأمر وإلا فقـد خرج الأمر عنهم من أكـثر من مائـتى سنة، ويحتمل أن يكون على ظـاهره وأنه مقيـد بقوله فى الحديث الآخر: ما أقاموا الدين ولم يخرج عنهم إلا وقد انتهكوا حرماته انتهى.

وفى «الفائق» عنه ﷺ: أذق اللهم آخـر قريش نوالا كما أذقت أولهم وبـالا. وفيه عنه ﷺ: استقـيموا لقريش مـا استقامـوا لكم. وفيه عنه ﷺ: خير نسـاء صلح نساء قريش أحناهن على ولد وأرعاهن لزوج. وفيه عنه ﷺ: خيـار قريش خيار الناس. وفيه عنه ﷺ: دخلت الجنـة فرأيت قـصـرا من ذهب فـقلت لمن هذا؟ فـقـيل: لرجل من قريش. وفيه عنه ﷺ: ذروا فعل قريش وخذوا بقولهم.

أقول: يحـتمل أن هذا قاله ﷺ فى ابتـداء الأمر قبل إسـلام قريش وهو الظاهر من فحوى الكلام، وفيه من التنويه بشأنهم ما لا يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة وهم فى تلك الحـال المطبـوع على قلوبهم فـيهـا، ومع ذلك فقـد أمـر ﷺ بالأخذ بقـولهم ويحتمل أن ذلك بعد إسلامهم ويحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة ويحتمل أن يكون ذلك فى واقعة مخـصوصة اقتضاها الحال وهذا منى على سـبيل البحث وما أدى إليه الفهم وإلا لم أقف على كلام فى ذلك. انتهى.

وفيـه عنه ﷺ: شرار قـريش خير شـرار الناس. وفيه عـنه ﷺ: قريش أهل الله وخاصته. وفيه عنه ﷺ: أسـرع الناس فناء قريش. وفيه عنه ﷺ: قريش هم الأنصار ليس لهم دون الله ورسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام.

أقول: قوله فى آخر الحديث: قرت عين من أطعم الناس الطعام، يحتمل أن يكون الكلام راجعًا إلى قريش ويصير المعنى من أطعم أحدًا من قريش الطعام قرت عينه ويكون فيه حث على قراء الأضياف ومكارم الأخلاق، لأن العرب قديمًا وحديثًا يفتخرون بذلك ويتمادحون به وهذا هو الأشبه الذى سبق إليه الفهم، ويحتمل أن يرجع إلى غيرهم ممن يكرم قريشًا ويقريهم ويطعمهم. وعلى كلا التقديرين ففيه إشارة لهم ومدحة. انتهى.

وفيه عنه ﷺ: قدموا قريشًا ولا تتقدموهم. وفيه عنه ﷺ: من أهان قريشا أهانه الله وفيه عنه ﷺ: من يرد إهانة قريش يهنه الله.

فتأمل هذه الكرامة التى اكرمهم الله بها وأن بمجرد النية جوزى بالإهانة على حد قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الحج: ٢٥) فسبحان من فضل بعض الناس على بعض. وفيه عنه ﷺ: لا يبغض قريشا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر. وفيه عنه ﷺ قال: إنى امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئًا فقد نالنى رواه الزبير بن بكار. وعنه ﷺ أنه قال: صلب الناس قريش وهل يمشى الرجل بغير صلب. وعنه ﷺ أنه قال: قريش كالملح فهل يطيب طعام إلا به ولولا أن تطغى وفى رواية أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل. وعنه ﷺ: أمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس رواه أبو نعيم.

وعنه ﷺ: اللهم فقه قريشا فى الدين. وعنه ﷺ: لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما. قال بعض العلماء: إن هذا العالم هو الإمام الشافعى رضي الله عنه لأن علمه قد ظهر وانتشر فى البلاد وكتبت كتبه كما كتب المصاحف ودرسها المشايخ والشبان واستظهروا أقاويله وأجروها فى مجالس الحكام والقراء والأمراء، وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد إلا بالإمام الشافعى، إذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وإن كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ مبلغا يقع تأويل هذه الرواية عليه، وإلى مثل هذا التأويل ذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وعنه ﷺ أنه قال: لا تعلموا قريشا وتعلموا منها فإن أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة الاثنين من غيرهم. وللقريشى قوة الرجلين من غير قريش وعقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم. وعنه ﷺ أنه قال: إن قريشا أهل أمانة وصدق فمن بغى لهم

الغوائل - وفى رواية العوائر(١) - أكبه الله لوجهه فى النار يوم القيامة. وعنه ﷺ أنه قال: أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله تعالى. وعنه ﷺ أنه قال لأبى الدرداء: يا أبا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش. وعنه ﷺ أنه قال لعائشة إن أول من يهلك من الناس قومك. فقالت: فما بقاء الناس بعدهم؟ فقال ﷺ: هم صلب الناس إذا هلكوا هلك الناس. وفى رواية أنها قالت: فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ فقال ﷺ: دباء يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة. والدباء التى لم تنبت أجنحتها من الجراد.

وعنه ﷺ أنه قال: إن الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا بعدهم، فضلهم بأنى منهم وأن النبوة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لم يعبده فيها أحد غيرهم. وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها أحد غيرهم يعني ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾.

وروى أن رسول الله ﷺ لما جاء من بدر سمع رجلا من الأنصار وهو يقول: وهل لقينا إلا عجائز كالجزر المعلقة فنحرناها، فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال ﷺ: لا تقل ذاك يا بن أخى أولئك الملأ الأكبر من قريش، أما إنك لو رأيتهم فى مجالسهم بمكة هبتهم، فوالله لقد أتيت مكة فرأيتهم قعودا فى المسجد فى مجالسهم فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم.

وعنه ﷺ أنه قال: عبد مناف عز قريش، وأسد بن عبد العزى عضدها ورِكحها وزهرة الكبد، وتيم وعدى رئتها، ومخزوم فيها كالأراكة فى نضرتها وجمح وسهم جناحاها وعامر ليوثها وفرسانها، وكل تبع لولد قصى والناس تبع لقريش ورِكحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة. والأحاديث فى فضلهم كثيرة لا يحملها هذا التعليق، وفيما ذكرته مقنع.

ما ورد فى حق قريش من الآثار

وأما ورد فى حقهم من الآثار، فروى عن عروة بن الزبير أنه قال: كانت قريش فى أيام الجاهلية تدعى العالمية للعلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما أمر عثمان رضي الله عنه زيد ابن ثابت وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم

(١) فى المطبوع: «العوائر».

أن ينسخوا المصحف من الصحف التى جمع فيها القرآن فى خلافة الصديق ﷺ. قال لهم: إذا اختلفتهم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت ﷺ: التابوه بالهاء، وهى لغة الأوس والخزرج، فاختلفوا. فأمر عثمان أن يكتب بالتاء بلغة قريش قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (سورة إبراهيم: ٤) وعن هشام بن عروة بن الزبير أنه قال: كان لقريش فى ذلك ضابط كمملكة فارس، وليس لهم ملك، وإنما كان ذلك بأحلامهم، وكان كالسلطان الضابط وكان يقال لهم قطين الله. وذكر أن العربى من غير قريش كان فيما مضى لم يقدر على الخروج من دار قومه فى غير الأشهر الحرم إلا فى جماعة. وكان القرشى يخرج وحده حيث شاء وأنى شاء. فيقال رجل من أهل الله عز وجل، فلا يعرض له عارض، ولا يريبه أحد ولم يعهد أن الحرم غزى ولا سبيت قرشية فى جاهلية ولا إسلام قط.

ويروى أن كنانة بن خزيمة بن مدركة أتى فى منامه وهو فى الحجر، فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل والهدرة أو عمارة الجدار عز الدهر، فقال: كلا يا رب فصار كل هذا من قريش، وكانت قريش على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم مكة المكرمة، ومنع الملحد والباغى فيها وقمع الظالم ونصر المظلوم غير أن أوائلهم دخلت فيهم أحداث غيرت أصول الحنيفية دين إبراهيم وطال الدهر حتى أفضى بهم ذلك إلى الجهل بشعار الدين والضلال عن سنن التوحيد، فمحا الله عز وجل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الأنبياء ﷺ فأنقذهم به من الضلالة وهداهم من العماية والجهالة.

استطراد مهم

حيث ذكرت شيئًا من فضائل قريش رأيت أن أذكر نسب سيد قريش وصميمها وغلْصَمَتها[١] وعظيمها سيدنا محمدا خاتم النبيين وحبيب رب العالمين، ونسب أصحابه العشرة الكرام البررة وذكر شىء من مناقبهم وأحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم

(١) الغَلْصَمَة: رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ فى الحلق.

هذا المؤلف ويسطر ثواب ذلك فى صحائف المـؤلف، لما أن العشرة ﷺ كلهم من قريش ونسبهم متصل بنسبه ﷺ فأقول:-

أما نسبه[١] ﷺ فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) وسيأتى سبب تسميته بذلك قريبًا فى فضل زمزم إن شاء الله تعالى.

(ابن عبد المطلب): واسمه شيبة الحمد، وقيل عامر، وإنما قيل له شيبة الحمد لشيبة كانت فى ذؤابته ظاهرة، وكنيته أبو الحارث بابن له، وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فسمى عبد المطب لهذا، وقيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه، وهو بهيئة غير لائقة فسألوه عنه فقال: هو عبدى حياء أن يقول هو ابن أخى، وهو بتلك الحالة، فلما أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب، وقيل: إنه كان أسمر اللون فلما جاء به مردفه خلفه ظن الناس أنه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد، فلزمه ذلك.

(ابن هاشم) واسمه عمرو العلا، وإنما سمى هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه فى أيام الجدب والمجاعة، وفيه يقول القائل.

عمرو الذى هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مسنتون عجاف

وبلغ فى الكرم مبلغا عظيما حتى أنه كان يطعم الوحش والطير فينحر لهما فى رءوس الجبال، وإذا وقع القحط أطعم الناس، وأمر الموسرين من أهل مكة بالإنفاق على فقرائهم حتى يأتى الله بالغيث. ثم إنه وفد الشام على قيصر فأخذ كتابا بالأمان لقريش، وأرسل أخاه المطلب إلى اليمن فأخذ من ملوكهم كتابا أيضا ثم أمر بذلك تجار قريش برحلتى الشتاء والصيف، فكانوا يرحلون فى الصيف إلى الشام، وفى الشتاء إلى اليمن كما تقدم، فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة، وأنقذهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم.

(ابن عبد مناف) وكان يسمى قمر البطحاء لصباحته، وهو الذى قام مقام أبيه قصى بالسيادة وسقاية الحاج، وكان يسمى المغيرة على ما قيل، وكنيته أبو عبد شمس.

---

(١) انظر فى نسب الرسول ومن بعده من الصحابة كتب السير وكتب تراجم الصحابة وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وسير أعلام النبلاء للذهبى وغيرها.

(ابن قصى) واسمه زيد، وقيل يزيد، وإنما قيل له قصى لأنه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بنى عذرة ونشأ مع أخواله، وبعد عن مكة فسمى لذلك قصيًا مأخوذ من القاصى، وهو البعيد، وكان يدعى مجمعا لأنه لما كبر وعاد إلى مكة جمع قريشًا من البوادى، وردها إلى مكة بعد أن تفرقت، وأخرج خزاعة منها فلذا سمى مجمعا، وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبى لهب:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) واسمه قريش، وبه سميت قريش على أحد الأقوال، وقيل أول من سمى قريشا قصى، وهو ضعيف وسيأتى قريبا ما عليه الاعتماد فى ذلك إن شاء الله تعالى.

(ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو، وإنما سمى مدركة على ما قيل لأنه جرى خلف أرنب فأدركها فسماه أبوه مدركة.

(ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان): هذا هو المجمع عليه، وكان ﷺ إذا وصل إلى عدنان أمسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك. (وآباؤه ﷺ كلهم سادات ما منهم إلا من هو سيد قومه فى عصره) وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى:

فأولئك السادات لم تر مثلهم ... عين على متتابع الأحقاب
لم يعرفوا رد العفاة وطال ما ... ردوا عداتهم على الأعقاب
زهر الوجوه كريمة أحسابهم ... يعطون سائلهم بغير حساب
حلموا إلى أن لا تكاد تراهم ... يوما على ذى هفوة بغضاب
وتكرموا حتى أبوا أن يجعلوا ... بين العفاة وما لهم من باب
كانت تعيش الطير فى أكنافهم ... والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم أن النبى محمدا ... منهم فمدحهم بكل كتاب

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى

بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو ﷺ أصيل الطرفين كريم الأصلين زاده الله شرفا وكرما، حملت به فى شعب أبى طالب وولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج فى شعب بنى هاشم وسيأتى ذكرها ومحلها فى الخاتمة عند عد الأماكن المباركة التى تزار بمكة إن شاء الله تعالى.

وكانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثنى عشر من ربيع الأول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه. وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه. وقيل أول اثنين منه وذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما وكان قدوم الفيل على ما قيل يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الإسكندر ذى القرنين، ووافق يوم ولادته ﷺ يوم عشرين من شهر نيسان أحد شهور الروم. وكانت ولادته ﷺ بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة وثلاث وأربعين سنة فى ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشرة منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة وثمان وأربعين سنة. كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الأسيوطى الشافعى فى ورقات له.

وكان له ﷺ من الأولاد سبعة: ثلاثة ذكور وأربع إناث، فالذكور: القاسم وبه كان يكنى ﷺ، وعبد الله الطاهر ويقال الطيب أيضًا، وإبراهيم، والإناث: رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإن أمه مارية القبطية التى أهداها له المقوقس القبطى صاحب مصر.

وتوفى ﷺ يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة، ودفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء ﷺ وشرف وكرم.

(وأما نسب أبى بكر الصديق) رضي الله عنه فهو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة واسمه عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. ومن هنا يجتمع نسبه بالنبى ﷺ وينسب إلى تيم فيقول التيمى، وهو فى العدد إلى مرة مثل رسول الله ﷺ، لأن كل واحد بينه وبين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما فى النسب كما فى العمر على أصح الأقوال.

(أمه): أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه كذا ذكره جمهور أهل النسب أسلمت قديما فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وسيأتى تعريفها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وبايعت النبى ﷺ وماتت مسلمة. وكان اسم أبى بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبى ﷺ عبد الله، وقيل كان اسمه عتيقا لعتاقة وجهه وجماله. والعتق ـ بالتحريك ـ الجمال، وقيل بل لقبته به أمه لأنها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى فعاش فلزمه ذلك، وقيل له أخوان عتق وعتيق فسمى باسم أحدهما. وقيل: لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به. وقيل: لأنه قديم فى الخير والعتيق القديم. وقيل: لأن رسول الله ﷺ قال: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا فسمى عتيقًا لذلك.

واختلف فى تلقيبه بالصديق لأى معنى: قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه فى الجاهلية لأنه كان من رؤساء قريش، وكانت إليه الديات إذا تحمل دية قالت قريش صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإذا تحملها غيره لم يصدقوه. وقيل: لتصديقه النبى ﷺ فى خبر الإسراء. وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: إن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق.

(صفته) كان أبيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين وأحنى لا يستمسك إزاره معروق الوجه، ناتئ الجبهة عارى الأشاجع، وقيل أسمر، وأحنى ـ بالحاء المهملة غير مهموز ـ يعنى منحنيًا وأجنأ ـ بالجيم والهمز ـ بمعناه أيضا. يقال فلان أجنأ الظهر. ومعنى معروق الوجه أى قليل اللحم، والأشاجع جمع أشجع: وهى أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف، وكان يخضب بالحناء والكتم.

(خلافته) كانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

(سنه) كان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة كسن النبى ﷺ.

(أولاده) كان له من الأولاد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء.

(وفاته) قال أهل السير: توفى أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وقيل يوم الجمعة لتسع بقين من

الشهـر المذكـور. والأول أصح لما ورت عائشـة ﵂ أن الصديق لمـا ثقل قال: أى يوم هذا؟ قلنا له: يوم الاثنين، قال اليوم الذى قبض فيـه رسول الله ﷺ إنى أرجو فيما بينى وبين الليل، يعنى يرجو الموت، وكان كذلك.

(وأما نسب أمير الـمؤمنين عمر بن الخطاب ﵁) فهو عـمر بن الخطاب بن نفيل بن عبـد العزى بن رياح بن عبـد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كـعب يجتمع نسـبه بالنبى ﷺ فى كعب وينسب إلى عدى فيقال له العدوى.

(أمه): حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة بن عـبد الله بن عُمر بن مخزوم، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عمـر، وكناه النبى ﷺ بأبى حفص، وكان ذلك يوم بدر، وسماه الفاروق وسببه أنه قـال لرسول الله ﷺ بعد أن أسلم: ألسنا على الحق يا رسول الله إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى فقال عمر: ففـيم الاختفاء؟ والذى بعثك لنخرجن، فخرج رسول الله ﷺ فى صفين من المسلمين حمـزة فى أحدهما وعـمر فى الآخر، وله زفيـر حتى دخل المسجد فنظرت قريش إلى عُمر وحمزة وقـد أصابتهم كآبة، فسماه النبى ﷺ يومئذ الفاروق. وقيل: إن رجلا من المنافقين ويهوديًا اختصـما فقال اليهودى، ننطلق إلى محمد ابن عبـد الله، وقال المنافق بل إلى كـعب بن الأشرف، فـأبى اليهودى وجـاء النبى ﷺ فقضى لليهودى فلما خرجا قال المنافق ننطلق إلى عـمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيف فى يده فضرب عنق المنافق وقال: هكذا أقضى على من لم يرض بقـضاء النبى ﷺ فنزل جـبريل فـقال: إن عمـر فرق بين الحق والـباطل، فسمى الفاروق وقيل بل سماه الله تعالى بذلك فى السماء.

(صـفتـه): أبيض أمهـق وهو الذى لا يكون له دم ظاهر كـذا وصفـه أهل الحجـاز، ووصـفه الكوفـيون بأنه أسـمـر، وكان طوالا أصلع أجلح شـديد حـمرة العـينين خفـيف العارضين. واختلف هل كان يصبغ أم لا؟ قـولان. وكان ﵁ من رؤساء قريش وأشرافهم وإليه كانت السفارة فى الجاهلية وهى أن قريشًا كانوا إذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا.

(خلافته): قال ابن إسحاق: كانت مدة ولاية عمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وكان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين.

(سنه): اختلف أهل السير فى سن عمر فقيل ثلاث وستون سنة كسن النبى ﷺ وأبى بكر روى ذلك عن معاوية والشعبى وقيل خمس وخمسون سنة روى ذلك عن سالم ابن عبد الله بن عمر، وقال الزهرى أربع وخمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ أبو عمر والسلفى وغيرهما. وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بسنتين أو ثلاث: أنا ابن سبع أو ثمان وخمسين.

(عدة أولاده): قال أهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا تسعة بنين وأربع بنات بعضهم أشقاء وبعضهم من أمهات.

(وفاته): توفى عمر ﷺ مقتولا شهيدا لأربع بقين من الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقيل: بل طعن لأربع بقين. ومات فى آخر شهر ذى الحجة. واتفقوا على أنه أقام بعد ما طعن ثلاثًا. ثم مات وروى أن عثمان وعليّا استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب: إليكما عنى فقد وليت من أمركما أكثر من الصلاة عليه وأنا أصلى بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب. وروى أن ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر وهو يقول لملك آخر معه: هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شىء كأنه القبر، فقال له عمر: يا ملك الموت من تكون أنت خلفه هكذا يكون بيته.

(وأما نسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ) فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف وينسب إلى أمية فيقال الأموى.

(أمه) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية أسلمت أمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ شقيقة أبى طالب.

(صفته): كان رجلا ربع القد ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه بوجنتيه آثار جدرى أقنى رقيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جمة أسفل من أذنيه ولكثرة شعر رأسه ولحيته سماه أعداؤه نعثلا - بالنون ثم العين المهملة ثم تاء مثناة من فوق - ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين أصلع، وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب، وكان محببًا فى قريش، وفيه يقول قائلهم: أحبك الرحمن حب قريش عثمان.

(خلافتـه) كانت خلافته اثنتى عشـرة سنة إلا اثنى عشر يومًا قاله ابن إسـحاق. وقيل كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يومًا.

(سنه) اختلف أهل السير فى سن عثمان ﷺ فقيل ثمانون سنة وقيل وثمان وثمانون، وقيل اثنتان وثمانون، وقيل ست وثمانون، وقيل تسعون.

(عدة أولاده) كانت أولاده ستة عشر ولدا تسعة ذكور وسبع إناث.

(وفاته) قال ابن إسحاق: كان قتل عثمان يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذى الحجة، وقيل فى وسط أيام التشريق، وقيل مصدر الحاج سنة خمس وثلاثين، وروى أنه مكث مطروحا يومه إلى الليل، وقيل ثلاثة أيـام ثم دفن وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل المسـور بن مخرمة، وقيل حكيم بن حـزام، وقيل الزبيـر، وكان عثمـان ﷺ أوصى بالصلاة عليـه، وقيل بل صلى عليه ابنـه عمرو الذى كـان يكنى به، وشاهد الناس الملائكة وهـى تصلى عليه ﷺ وأرضـاه، ومن خصـائصـه أنه لا يحـاسب. روى عن على بن أبى طالب ﷺ أنه قـال يا رسول الله: من أول من يحاسب يوم القيامـة؟ قال: أبو بكر. فقال على: ثم من يا رسول الله؟ قال: ثـم عمـر ثم أنت يا على، قلت يا رسول الله: أين عـثمـان؟ قال: إنى سـألت عثمان حاجـة سرا فقـضاها سرا فسـألت الله أن لا يحاسـبه. كذا فى «الـرياض» للمحب الطبرى.

(وأما نسب سيدنا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه): فهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب أقرب العـشرة إلى رسـول الله ﷺ يجتمع نسـبه مع رسول الله ﷺ فى عـبد المطلب الجد الأول وبعده فى القرب إلى رسول الله ﷺ عثمان وينسب إلى هاشم فيقال القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ.

(أمه) فاطمـة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشـية الهاشمية أول هاشـمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمديـنة وصلى عليها النبى ﷺ وتولى دفنها وكانت ربت النبى ﷺ وكناه النبى ﷺ بأبى تراب لأنه نـام فى المسـجد فـسقط رداؤه عن ظهـره ومسـه التراب فرآه النبى ﷺ وهو بتلك الحال فمسح التراب عن ظهره وقال له: اجلس أبا تراب ويكنى بأبى الحسن وهو أشهر.

(صفتـه) ربع القامة أدعج العينين عظيـمهما حـسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس فى رأسه من الشعر إلا شىء يسيـر من خلفه كثير شعر اللحية. ومن خصـائصه كرم الله وجهه أنه أول من يقرع باب الجنة بـعد النبى ﷺ، وأول من يجثـو بين يدى الله عز وجل يوم القيامة للخصومة.

(خلافته) كانت خـلافته أربع سنين وثمانية أشهر، فمدة خـلافة الأربعة على الصحيح تسعـة وعشرون سنة وخمـسة أشهر وثـلاثة أيام، وقد قال ﷺ: الخلافـة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا فإمـا أن يكون أطلق على ذلك ثلاثين لقربه منهـا أو تكون مدة ولاية الحسن محسوبة منها وهى تكملتها.

أقول: يشكل ذلك بمـا رواه سهل بن أبـى حثـمة أنه ﷺ قـال بعد كـلام: ألا وإن الخلفاء بعـدى أربعة والخـلافة بعدى ثلاثون سنة نبـوة ورحمـة، ثم خلافة ورحـمة، ثم ملك، ثم جبرية وطواغـيت، ثم عدل وقسط ألا وإن خير هذه الأمة أولهـا وآخرها أخرجه أبو الخيـر القزوينى الحاكـمى. ووجه الإشكال: التـصريح بأن الخلفاء أربعـة بعده ﷺ فكيف تحسب مدة الحسن؟ ويمكن أن يجاب عنه بأن مدة الحـسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا، وإنما عد الأربعة لطول مدتهم ومـعظم خلافتهم هذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها وإلا فلا يرد الإشكال من أصله.

(عدة أولاده): ثلاثة وثلاثون ولدا: خمسة عشـر ذكرا، وثمانى عشرة أنثى وقيل: إن الذكور أربعة عشر.

(وفاته): كان قـتله فى صبيحة يوم سـبعة عشر فى رمـضان وقيل ليلة الجمـعة لثلاث عشرة منه، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت منه أو بـقيت، وقيل: لثمان عشرة ليلة منه سنة أربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا. واختلف هل قتل وهو فى الصلاة أو قبل الدخول فيـها أقوال. وهل استخلف من أتم الصلاة على القول بأنه قـتل وهو فيها أو أتمها هو، فالأكثر أنه استخلف جعـدة بن هبيرة وجهل موضع قبره، وكان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحـسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليـه ابنه الحسن. وروى أنه كان عنده مسك فاضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به ذكـره البغوى. ولما بلغ عائشـة موته قـالت: لتصنع العرب مـا شاءت فليـس لهـا أحد ينهـاها. وعن أنس ﷺ قال

سمعت رسـول الله ﷺ يقول: أخبرنى جبريـل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمـرنى أن آخذ تفاحة من الجنة فأعـصرها فى حلق آدم فعصـرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الأولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثـالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا. فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكـرمتهم؟ فقال الله تبارك وتعالى: هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندى من جميع خلقى. فلمـا عصى آدم ربه قال يا رب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت عليَّ فتاب الله عليه أخرجه الطبرى فى «الرياض» وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ «إن الله افترض عليكم حب أبـى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج» أخرجه الملا فى «سيرته».

(وأما نسب طلحة ﷺ): فـهو طلحة بن عبـيد الله بن عثمان بن عـمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ويكنى بأبى محمد يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى مرة بن كعب ومع أبى بكر فى عـمرو بن كعب بن سـعد بن تيم وينسب إليـه كأبى بكر فـيقـال القرشى التيـمى. أمه الصعبـة بنت عبد الله بن عبـاد بن ملك بن ربيعة الحضـرمى أخت العلاء بن الحضرمى أسلمت.

(صفته): أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان لا يصبغ شعره مربوعا إلى القصر أقرب. ومن خصائصه بروكه للنبى ﷺ حتى صـعد على ظهره إلى الصخرة فبشره ﷺ أن جبريل لا يراه فى القيامة فى مهم إلا انقذه منه.

(سنه): ستون سنة وقيل اثنتان وستون وقيل أربع وستون، وقيل غير ذلك.

(عدة أولاده): كان له من الأولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور وأربع إناث.

(وفاته): كان مقتل طلحة ﷺ يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(نسب الزبير ﷺ): هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى يجتـمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى قصى بن كلاب وينسب إلى أسـد بن عبد العزى فيقال القرشى الأسدى.

(أمه): صفـية بنت عبد المطلب عمـة رسول الله ﷺ أسلمت وهاجرت. روى عنه

أنه قال لابنه عبد الله: يا بنى كانت عندى أمك أسماء بنت أبى بكر وعند رسول الله ﷺ أختها عائشة خالتك وعمة أبى أم حبيبة بنت أسد جدته ﷺ، وأمى صفية عمته وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وأختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتى وخديجة بنت خويلد زوجته عمتى.

(صفته): ليس بالطويل ولا بالقصير، وقيل كان طويلا يخط رجلاه فى الأرض إذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر، وكان لا يغير شيبه، وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله فدعا له النبى ﷺ بالخير ودعا لسيفه.

(سنه): سبع وستون سنة، وقيل ست وستون، وقيل أربع وستون، وقيل ستون، وقيل واحد وستون، وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون.

(أولاده): كان أولاده عشرين ولدا أحد عشر ذكرا وتسع بنات.

(وفاته) قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(نسب سعد رضي الله عنه) هو سعد بن مالك بن أبى وقاص بن وَهْب وقيل وُهَيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى كلاب بن مرة. ويجتمع هو وعبد الرحمن بن عوف فى زهرة كما سيأتى، وينسب إلى زهرة بن كلاب فيقال القرشى الزهرى. ومن فضائله رضي الله عنه شهادة النبى ﷺ بنسبه. روى عنه أنه قال للنبى ﷺ: من أنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: أنت سعد بن مالك بن وُهَيب بن عبد مناف، بن زهرة، من قال غير ذلك، فعليه لعنة الله.

(أمه) حَمْنَةُ بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام سعدا، وكنيته أبو إسحاق.

(صفته) كان رجلا قصيرا غليظا ذا هامة، أسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد. وقيل: إنه كان طوالا، وهو أول من رمى سهما فى سبيل الله، وكان مجاب الدعوة لدعاء النبى ﷺ له بذلك حيث قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك. وقوله

ﷺ : اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبى ﷺ بين أبويه ولم يجمع لأحد غيره، وذلك أنه جعل يقول له يوم أحد ارم يا سعد فداك أبى وأمى.

(سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنة، وقيل بضع وسبعون، وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون.

(أولاده) كان له من الأولاد أربعة وثلاثون ولدا، سبعة عشر ذكرا، وسبع عشرة أنثى.

(وفاته) توفى رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة، وقيل أربع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين وكف بصره فى آخر عمره، وكان آخر العشرة موتا.

(نسب سيدنا سعيد) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عد العُزّى بن رِيَاح[1] بن عبد الله بن قُرْط بنْ رزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُوَيّ يجتمع نسبه بالنبى ﷺ فى كعب بن لؤى، ومع سيدنا عمر فى نفيل بن عبد العزى المتصل بكعب. وينسب إلى عدى فيقال القرشى العدوى وعمر بن الخطاب ﷺ ابن عم أبيه، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام سعيدا ويكنى بأبى الأعور.

(أمه) فاطمة بنت بعجة بن ملح الخزاعية.

(صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر.

(سنه) كان سنه بضعا وسبعين سنة بتقديم السين. قال أهل السير: كان له من الأولاد واحدًا وثلاثون ولدا، ثلاثة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى.

(وفاته) توفى رحمه الله بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو إحدى وخمسين فى أيام معاوية.

(نسب سيدنا عبد الرحمن) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى كلاب بن مرة ويجتمع هو وسعد فى زهرة وينسب إليه فيقال القرشى الزهرى.

(أمه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه، أسلمت وهاجرت كان

---

(١) تحرف فى د والمطبوع إلى: «رباح».

اسمه فى الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الحرب وقيل عبد الكعبة، فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن وكان يصفه بالصادق البار.

(كنيته): أبو محمد.

(صفته): كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة أبيض اللون مشربا بحمرة وكان لا يصبغ لحيته ضخم الكفين غليظ الأصابع أقنى جعد الشعر له جمة من أسفل أذنيه ساقط الثنيتين وبه عرج من جراحة أصيب بها يوم أحد، ومن خصائصه صلاة النبى ﷺ خلفه فى بعض الأحوال.

(سنه): كان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين وقيل اثنتين وسبعين. ودفن بالبقيع وقبره معروف. وصلى عليه عثمان بن عفان وكان أوصاه بذلك.

(أولاده): كان له من الأولاد ثمانية وعشرون ولدا عشرون ذكورا وثمان إناث.

(وفاته): قال أهل السير: توفى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سنة إحدى وثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنتين وثلاثين منها، وكان ذا مال عظيم ودنيا طائلة حتى روى أن إحدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين ألف دينار.

(نسب سيدنا عامر): هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن منبه بن الحارث بن فهر، وهو قرشى يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى فهر بن مالك الذى هو جماع قريش وينسب إلى فهر فيقال القرشى الفهرى وهو أبعد العشرة نسبا من رسول الله ﷺ.

(أمه) من بنى الحارث بن فهر أسلمت ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عامرا.

(وكنيته) أبو عبيدة.

(صفته) كان رجلا طويلا نحيفا أثرم الثنيتين خفيف اللحية يخضب بالحناء والكتم وسبب خروج ثنيتيه أنه انتزع سهمين من جبهة رسول الله ﷺ يوم أحد وقيل إن المنتزع حلقتا الدرع. قال الطبرى: ويجوز أن يكون السهمان أثبتا حلقتى الدرع فانتزع الجميع.

ونقل أنه مارئى أهتم كـان أحسن منه رضي الله عنه والأهتم والأثرم بمعنى واحد. ومن خـصائصه شهادة النبى ﷺ بأنه أمين هذه الأمة.

فائدة: قال العلماء: إذا شـهد الرسول ﷺ لبعض أصحابه بفـضيلة عليهم وجب القطع بأنه أفضل منهم فى تلك الفضيلة، فيـجب أن يقطع بأن أبا عبيدة أفضل من أبى بكر وعمر وغيرهمـا فى فضيلة الأمانة. وأن أبا ذر أفضل منهم جميعـا فى تحرى الصدق حيث قال فـيه ﷺ: أصدقكم لهـجة أبو ذر، وأن عليـا كرم الله وجهـه أقضاهم حـيث قال: أقضـاكم على، وأن معاذا أعلمـهم بالحلال والحرام حـيث وصفه بذلك والـفضل المطلق لأبى بكر الصديق بلا خلاف. انتهى.

(سنه): كان له من العمر يوم مات [ثمان وخمسين سنة[1]].

هذا تمام نسب العـشرة الكرام رضي الله عنهم فما خـرج أحد منهم عن قريش وكلهم نسـبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة أبيه ومن جهة أمه مـا عدا طلحة وسعيد بن زيد فإن أميهما غير قرشيتين لأن أم طلحة بنت الحضرمى وأم سعيد خزاعية كما تقدم.

ذكر وصف كل واحد من العشرة رضي الله عنهم بصفة حميدة

عن ابن عبـاس قال قال رسـول الله ﷺ: أرحم أمتى بأمتـى أبو بكر، وأقواهم فى دين الله عمر، وأشـدهم حياء عثمان، وأقضـاهم على بن أبى طالب، ولكل نبى حوارىٌ، وحوارىّ طلحة والزبير وحيث ما كان سعـد بن أبى وقاص كان الحق معه، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله، ولـكل نبى صاحب سر، وصاحب سـرى معاوية بن أبى سفـيان، فمن أحبهم فقد نجا، ومن أبغضهم فقد هلك.

(وعنه) ﷺ أنه قال: أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة إلى تمام العشرة. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسـول الله ﷺ: من أحسن القول فى أصحابى فـقد برئ من النفاق ومن

(١) مكان ما بين حاصرتين بياض بالأصلين، والتكملة عن الاستيعاب ج ٤ ص ١٧١١.

أساء القول فى أصحابى كان مخالفًا لسنتى ومأواه النار وبئس المصير: وهذا عام فى جميع الصحابة فحصل الفضل للعشرة خصوصًا وعموما.

وروى أن الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم وخلق من أنوار تلك الأرواح طائرا واحدا وهو فى الجنة. أخرجه الملا فى «سيرته» وغيره فانظر كيف جمع الله بينهم أرواحا قبل خلقهم أشباحا ثم جمع بينهم أشباحا وأرواحا فى النسب والصحبة والإخاء والتوادد والتراحم فى محبة رسول الله ﷺ ثم فى الجنة، فالسعيد من تولى جملتهم وجملة جميع الصحابة ولم يفرق بين أحد منهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم. والشقى من تعرض للخوض فيما شجر بينهم وأتبع نفسه هواها فى سب أحد منهم فلله الحمد والمنة والفضل أن أعاذنا من ذلك ونسأله تمام هذه المنة ودوامها إلى الممات مع حسن الخاتمة آمين. عدنا لما نحن بصدده.

(اعلم): أنه قد اختلف فى قريش لم سميت قريشا، فقيل: سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القِرْش تشبيها لهم بها لشدتهم ومنعتهم[1]، لأن هذه الدابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى. قال فى «المدارك» وهى دابة عظيمة تعبث بالسفن فلا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى، وفى شعر اللهبى:

وقريش هى التى تسكن البحـ
ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ
ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش
يأكلون البلاد أكلا قشيشا
ولهم آخر الزمان نبى
يكثر القتل فيهم والخموشا[2]

والقشيش مصدر قشت الحية، وهو صوتها من جلدها، وقيل سميت بقريش بن يخلد ابن غالب بن فهر، وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) الشعر لذى الأزرقى فى أخبار مكة ج ١ ص ١٠٩.

قريش. وقيل: إن قصيا قرشها أى جمعها من الأقطار وردها إلى مكة ولذلك سمى مجمعا كما تقدم في شعر الفضل بن عباس بن عتبة، ومن شعره أيضًا:

نحن كنا سكانها من قريش
وبنا سميت قريش قريشًا

وقيل: بل كان اسم قصى قريش فسميت به والأشهر أن اسمه زيد كما تقدم، وقيل: لأنهم كانوا يتقرشون في البياعات أى يتكسبون، والتقرش التكسب، وقيل: إن النضر كان يقال له القرشى فسموا باسمه، وقيل: لأنهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها، والتقريش: التفتيش ويدل لذلك قول الحارث بن حِلِّزَة[1] اليَشْكُرِىّ:

أيها الناطق المقرش عنا
عند عمرو فهل لنا إبقاء

أى المفتش. واعلم أن قريشا ثلاثة أصناف: صنف منهم قريش الأباطح ويسمون أيضا قريش البطاح، وصنف منهم قريش الظواهر، والصنف الثالث ليسوا من الأباطح ولا من الظواهر. أما قريش الاباطح: فبنو عبد مناف وأسد بن عبد العزى بن قصى، وزهرة وتيم، وبنو مخزوم وبنو سهم وجمح وعدى وبنو حسل[2] بن عامر بن لُؤَى، وبطنان من بنى الحارث بن فهر. وأما قريش الظواهر: فبنو الأدرم بن غالب، وبنو محارب، وبنو فهر الأبطنين، وبنو مَعيص[3] بن عامر بن لؤى. وأما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الأباطح ولا من الظواهر وذلك لأنهم خرجوا عن مكة فتنحوا عن البلاد. منهم سامة بن لؤى وقع بعمان، وجشم بن لؤى، وهو خزيمة وقع باليمامة فهم فى بنى هِزَّان من عَنَزة[4] وبنانة فى شيبان وهم بنو سعد بن لؤى، وهم فى شيبان، وبنو الحارث بن لؤى وهم أيضا فى بنى أبى ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان، وإنما سموا الأباطح لأن قصيا أدخلهم معه إلى بطن مكة وأقام الآخرون بالظواهر كذا فى «الغاية» للإتقانى، وعزاه إلى «شرح ديوان كثير» لمحمد بن حبيب.

---

(١) تحرف فى الأصل والمطبوع إلى: «خلدة» وصوابه فى المفضليات ١٣٢، الشعر والشعراء ج ١ ص ١٩٧.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «حنيبل».

(٣) تحرف فى الأصلين إلى «بنو معيض» وصوابه لدى ابن هشام ج ٢ ص ٥٩٢.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «عترة» وصوابه من: د وجمهرة ابن حزم ص ١٣.

ثم اعلم أن طبقات العرب: ست شعب وقبائل وعمارة وبطون وأفخاذ وفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عَمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة، وسميت شعوبا لأن القبائل تتشعب منها، والشّعب ـ بفتح الشين ـ والعمارة ـ بفتح العين المهملة ـ وفى «معالم التنزيل» قيل: إن الشعوب من العجم والقبائل من العرب، والأسباط من بنى إسرائيل انتهى. قال القرطبى فى «تفسيره» وقد نظمها بعضهم فقال:

قبيلة قبلها شعب وبعدهما

عمارة ثم بطن بعده فخذ

وليس يؤوى الفتى إلا فصيلته

ولا سداد لسهم ما له قذذ

انتهى. والقذذ بالذال المعجمة. قال فى «القاموس»: والفصائل هى العشائر واحدها عشيرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ أى عشيرته التى تضمه.

فرعان:

الأول: يعتبر التفاضل عندنا بين قريش فى حق الكفاءة لقوله ﷺ: قريش بعضهم أكفاء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قرشيا غير هاشمى صح عقدها، وإن تزوجت عربيا غير قرشى فللأولياء حق الرد إلا أن يكون الولى هو الأب أو الجد فإن لهما تزويج الصغيرة بغير كفء وبغبن فاحش فى المهر عند أبى حنيفة رضي الله عنه خلافا لصاحبيه، والتعليل من الطرفين مقرر فى محله. الا ترى رسول الله ﷺ زوج بنته رقية وأم كلثوم من عثمان ولهذا لقب بذى النورين، وكان امويا لا هاشميا، وزوج على ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب وكان عدويا لاهاشميا فثبت أن قريشا كلهم سواء فى حق الكفاءة.

الثانى: مذهب الإمام محمد بن الحسن من أصحابنا أن التفاضل إنما يعتبر فيما بين قريش إذا كان النسب مشهورا فى الحرمة كأهل بيت الخلافة، حتى لو تزوجت قرشية من بنات الخلفاء قرشيا ليس من أولاد الخلفاء يكون للأولياء حق الرد، وكأنه قال هذا لتسكين الفتنة وتعظيم أمر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الإتقانى فى «الغاية» والله تعالى أعلم.

الباب التاسع

في ذكر مبدأ بئر زمزم[١] وسبب حفر عبد المطلب لها وفضل مائها وأفضليته وبركته وخواصه وما ورد في ذلك

اعلم أن بئر زمزم تنسب إلى سيدنا إسماعيل صلوات الله عليه وسببه أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر بإسماعيل وأمه من الشام إلى مكة شرفها الله تعالى وكانت إذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة، وهي شجرة كبيرة وليس معهما إلا شنة فيها قليل ماء ولم يكن بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ثم ذهب راجعا إلى الشام فتبعته أم إسماعيل فقالت له: يا إبراهيم، إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس؟ وجعلت تردد ذلك مرارًا وإبراهيم لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيعنا، ثم رجعت عنه.

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا غاب عن البصر وقف واستقبل البيت ورفع يديه ودعا بالآيات ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ثم مضى سائرًا وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء وابنها يدر على صبيها إلى أن نفد فعطشت وعطش ابنها وصار يتلوى، وفي رواية يتلبط فانطلقت كراهة أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي ورفعت طرف درعها ثم سعت أي جرت ـ سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها ذلك سبب السعي بين الصفا والمروة.

فلما أشرفت على المروة آخرا ولم يكن في الوادي غيرها سمعت صوتا فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت، فإذا الصوت فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي

(١) انظر في بئر زمزم: أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٣٩ وما بعدها، شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٧ وما بعدها.

بالملك يعنى جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فصارت تحوطه بيدها وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد أن تغرف.

قال ابن عباس ﷺ قال النبى ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عينا معينا. فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها جبريل: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله كذا فى «صحيح البخارى».

فاستمرت زمزم كذلك إلى أن مرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طائرا يحوم على جبل أبى قبيس عائفًا فقالوا، إن هذا الطير ليدور على ماء وعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا رسولا فرأى الماء فأخبرهم فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لاحق لكم فى الماء، قالوا: نعم. فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل أبيات وأول سكان مكة، وشب إسماعيل عليه بالسلام وتعلم العربية منهم وزوجوه امرأة من نسائهم، ثم لم تلبث أم إسماعيل أن ماتت ولها من العمر تسعون سنة ولإسماعيل عشرون سنة، فدفنها فى الحجر.

واسمها هاجر، وقيل: آجر بالهمزة والمد القبطية وقيل الجرهمية، وكانت للجبار الذى يسكن عين النحر التى بقرب بعلبك، فوهبها لسارة امرأة إبراهيم فوهبتها لإبراهيم صلوات الله عليه.

فائدة استطرادية

قال فى «منهاج التائبين»: اختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ فقال قوم: هو إسحاق عليه السلام وإليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب ﷺ وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب ﷺ ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى بَزَّة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرى والسدى ورواه عكرمة وابن جبير عن ابن عباس.

وقال آخرون: هو إسماعيل وإلى هذا ذهب عبد الله بن عُمر، وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن

كعب القـرظى والكلبى ورواه عطاء بن أبى رباح وأبو الجوزاء ويوسـف بن ماهك عن ابن عباس، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت.

واحتج القائلون بأنه إسحاق من القرآن بأن الله تعالى أخبر عن خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجرًا إلى الشـام بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (سورة الصافات: ٩٩) أنه دعا إذ ذاك فـقال ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الصافات: ١٠٠) وكان ذلك قبل أن يعرف هاجر وقـبل أن تصير له، ثم اتبع ذلك الخبر عن إجابته ودعوته وتبشيره إياه بغلام حليم، ثم عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى، وليس فى القرآن أنه بشر بولد إلا بإسحاق.

وأما حجة القائلين بأنه إسماعيل من القرآن فهـو ما رواه محمد بن إسحاق عن محمد ابن كعب القرظى أنه كـان يقول إن الذى أمر الخليل عليه السلام بذبحه هـو إسماعيل لأن الله تعالى قـال حين فرغ من قصـة المذبوح ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الصافات: ١١٢) وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (سورة هود: ٧١) ابن وابن ابن، ولم يكن يأمره بـذبح إسحاق وله فيـه من الله الموعود، فلمـا لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحاق علم أن الذبيح إسماعيل.

أقول: فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليـفة إذ كنت معه بالشام فقال لى عمر وإنى لأراه كما قلت، ثم أرسل عمر إلى رجل كان يهـوديا بالشام وقد أسلم وحسن إسلامه فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال: الذبيح إسماعـيل وإن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون إسماعيل أباهم ويقولون: إنه إسحاق لأنه أبوهم انتهى قول صاحب «المنهاج».

(أقول): احتجـاج القرظى رحمه الله بهذه الآيات المذكورة فى كـون الذبيح إسماعيل عليـه السلام لا يتم إلا بأن تكون آية الـذبح متـقدمـة تلاوة ونزولا، أما لو تقـدمت تلاوة وتأخـرت عن آية البشـرى فى النزول احتـملت أن يكون إسحـاق هو الذبيح أيضا وسـقط الاستدلال بها. وأما قول القرظى: ولم يكن يأمره إلى آخره الذى فسر به الآية الأخرى من سورة هود لا ينافى كون الذبيـح إسحاق، لأنه لما سبق فى علم الله سـبحانه أنه لا يذبح،

ثم أمر خليله بذلك علم أن الأمر للامتحان كما هو شأن الله تعالى فى أنبيائه وأحبائه. فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما أمر به منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك وسلم ابنه له من الذبح ببركة التسليم وفدى بالذبح العظيم. وصحت البشرى وتم الموعد فى هذه الآية التى لم يتقدم قبلها قصة ذبح. انتهى.

عدنا إلى المقصود: ولم تزل زمزم كذلك إلى أن دفنتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش إساف ـ بكسر الهمزة ـ ونائلة، وقيل بل دفنتها السيول، فاستمرت مدفونة إلى أن نبه عبد المطلب وأمر بحفرها[١]. وله منقبتان عظيمتان: إهلاك أصحاب الفيل كما تقدم، وحفر بئر زمزم.

ذكر ابن إسحاق وغيره أن عبد المطلب بينما هو نائم إذ أتاه آت فقال له: احفر طيبة، فقال له: وما طيبة؟ فذهب عنه ثم جاءه مرة أخرى فقال له احفر المضنونة فقال له وما المضنونة؟ فذهب عنه ثم جاءه مرة ثالثة فقال له: احفر زمزم، فقال له عبد المطلب وما زمزم؟ قال لا تنزف أبدًا ولا تُذَمّ[٢] تسقى الحجيج الأعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل[٣].

وفى رواية احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهى تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدا ولا تُذَمّ إلى آخر ما تقدم.

فلما بين له شأنُهَا غَدَا بمعْوله ومعه ابنه الحارث وليس معه يومئذ غيره فحفرها، فلما بدا له أعلى البئر كبّر فحسدته بطون قريش وهموا أن يمنعوه وقالوا له: أشركنا معك، فقال لهم: ما أنا بفاعل شىء خصصت به دونكم، فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه فقالوا: كاهنة بنى سعد[٤].

فخرجوا إليها فعطشوا فى الطريق حتى أيقنوا بالهلاك، فقال عبد المطلب: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا بنا[٥].

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٨.

(٢) تحرف فى الأصلين إلى: «ولا تزم» وصوابه لدى ابن هشام، ولا تذم: أى لا توجد قليلة الماء.

(٣) ابن هشام ج ١ ص ١٤٣. (٤) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٤.

(٥) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٤.

وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب، فكبَّر عبد المطلب، وكبّر أصحابه وشربوا جميعا، وقالوا: قد قضى لك علينا الذى سقاك، فوالله لا نخاصمك فيها أبدا[١].

فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم، وكفاه الله شرهم، فنذر عند ذلك لئن رزق عشرة من الذكور يمنعونه ليتقرب إلى الله بذبح أحدهم. فلما تم له عشرة من الذكور أعلمهم بنذره، فقالوا له: أوف بنذرك واقض فينا أمرك، فأسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله أبى النبى ﷺ، فأراد أن يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بنى مخزوم لئلا يكون ذلك فيهم سنة، فتحاكموا إلى كاهن كان بالمدينة، وقيل كاهنة، فأفتاهم بأن يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الإبل، وكانت عندهم إذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك، فخرج السهم على عبد الله أيضا، فقال له الكاهن: زد عشرا أخرى فإن ربك لم يرض، فزاد فخرج السهم على عبد الله فأمره الكاهن بزيادة عشرة أخرى فزاد، وفى كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الإبل فخرج السهم حينئذ على الإبل، فقال له الكاهن: أعد القرعة، فأعادها فخرج على الإبل، ثم أعادها ثالثا، فخرج على الإبل، فقال له الكاهن: قد رضى ربك فانحرها فداء عن ابنك، ففعل فاستمرت الدية فى قريش مائة من الإبل من يومئذ[٢].

ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين، واستمرت زمزم لا يصد عنها أحد ولا يمنع إلى يومنا هذا كما ترى.

ويروى أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال: إن جرهما دفنتهما حين خرجوا من مكة، ووجد أسيافا وسلاحا، فأرادت قريش أن يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح، فخرج الغزالان للكعبة والسلاح لعبد المطلب، ولم يخرج لقريش شىء بل تخلف قدحاها فضرب الأسياف التى خرجت له مع أحد الغزالين على باب الكعبة، وجعل الغزال الآخر فى الجب الذى فى بطن الكعبة، فكان ذلك أول حلية للكعبة. أخرجه الأزرقى[٣].

---

(١) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٥.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج٢ ص ٤٧ وما بعدها.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٦.

وأما فضل ماء زمزم وبركته، فروى عن جابر رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: من طاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره» وغيره.

وروى الطبرانى وغيره أنه ﷺ جاء إلى زمزم فنزعوا له دلوًا فشرب ثم مج فى الدلو ثم صبه فى زمزم ثم قال: لو لا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

وفى رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها. وروى أن الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب. وروى الواقدى أنه نزعه لنفسه، وهو ضعيف جدا. وروى جابر عن النبى ﷺ أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، وقال العلامة بركة المتأخرين شيخ الإسلام السيوطى: هذا الحديث أخرجه ابن ماجه بسند جيد. وأخرجه الخطيب فى «التاريخ» بسند صححه الدمياطى والمنذرى. وضعفه النووى وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر. وورد من حديث ابن عباس وابن عمر مرفوعا.

وأخرج الديلمى: ماء زمزم شفاء من كل داء، وسنده ضعيف جدا. انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم أخرجه الطبرانى فى «معجمه» بسند رجاله ثقات وصححه ابن حبان. وعنه أيضًا أنه ﷺ قال. إن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين. وعنه أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم. وعنه أيضًا قال قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته لتقطع ظمئك قطعه هى هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل[1]. ويروى أن فى بعض كتب الله المنزلة: زمزم لا تنزف ولا تذم لا يعمد إليها امرؤ فيتضلع منها ريًا ابتغاء بركتها إلا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء، وأحدثت له شفاء، وما امتلأ جوف عبد من زمزم إلا ملأه الله علمًا وبرًا[2].

وعن وهب بن منبه أنه قال: والذى نفسى بيده إن زمزم لفى كتاب الله عز وجل مضنونة، وإنها لفى كتاب الله برة، وإنها لفى كتاب الله شراب الأبرار، وإنها لفى كتاب الله طعام طعم، وشفاء سقم[3].

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٠.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٠.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٩.

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: خير وَادِيَيْن فى الناس: وادى مكة وواد بالهند الذى هبط به آدم عليه السلام، ومنه يؤتى بهذا الطيب الذى يتطيب به الناس. وشر واديين في الناس: واد بالأحقاف، وواد بحضرموت يقال له برهوت. وخير بئر فى الناس زمزم، وشر بئر فى الناس برهوت، وإليها تجتمع أرواح الكفار[١]. كما سيأتى.

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم رواه أحمد وابن أبى شيبة وابن حبان، ورواه البخارى فى صحيحه على الشك فقال: فأبردوها بالماء أو بماء زمزم[٢].

وعنه ﷺ أنه قال: خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر فى زمزم وهى تحط الخطايا، والنظر فى وجه العالم رواه الدارقطنى.

فصل فى فضائل ماء زمزم

اعلم أن لماء زمزم فضائل كثيرة وعجائب شهيرة، فمن ذلك ما رواه ابن عباس ﷺ قال كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلا سبقوه ولا يصارعهم أحد إلا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم أخرجه أبو ذر.

ومنها ما أخرجه الأزرقى عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة فى جوف الليل عند زمزم جالس إذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها لشىء قط، فلما فرغوا صلوا قريبًا منى فالتفت بعضهم لأصحابه فقال: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، فقاموا ودخلوا زمزم، فقلت: لو دخلت على القوم فسألتهم، فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر[٣].

ومنها ما أخرجه أيضًا أن أبا ذر الصحابى ﷺ قال: لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يومًا بلياليها وما لى طعام ولا شراب إلا زمزم حتى تكسرت عكن بطنى، وما أجد على كبدى سخفة الجوع[٤]، يعنى رقته وهزاله. وقيل: هى الخفة التى تعترى الإنسان إذا جاع.

ومنها ما أخرجه أيضًا عن بعض الموالى أنه قال: كنت مع أهلى بالبادية فابتعت بمكة،

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٠.
(٢) القرى ص ٤٨٧.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥١.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٣.

ثم أعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئا آكله، فانطلقت إلى زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقي وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلا قليلا حتى أخرجت الدلو، فشربت فإذا أنا بصريف اللبن فقلت: لَعَلّي ناعس، فضربت بالماء على وجهي وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه[١]. ومعنى صريف اللبن: ساعة يصرف عن الضرع.

ومنها ما أخرجه أيضًا عن بعض الرعاة من العباد أنه كان إذا حصل له ظمأ وشرب من زمزم وجد الماء لبنًا، وإذا أراد أن يتوضأ وجده ماء[٢].

ومنها ما ذكره الفاسي عن الفاكهي أن رجلا شرب سويقًا وكان في السويق إبرة، فنزلت في حلق الرجل واعترضت، وصار لا يقدر يطبق فمه، فأتاه آت فقال له: اذهب إلى ماء زمزم، فاشرب منه واسأل الله الشفاء. فدخل إلى زمزم فشرب منه شيئًا وما أساغه إلا بعد جهد ومشقة من ألم تلك الإبرة ثم خرج وهو على تلك الحال، فانتهى إلى أسطوانة من أساطين المسجد واستند إليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه ولم يجد من ذلك الألم شيئا[٣].

ومنها أن الشيخ العلامة المفتي أبا بكر عمر الشهير بالشنيني - بشين معجمة ونون ثم مثناة من تحت ونون وياء النسبة - أحد بني العلماء المعتبرين ببلاد اليمن، حصل له استسقاء عظيم واشتد به فذهب إلى طبيب فلما رآه أعرض عنه، وقال لبعض أصحابه: هذا ما يمكث ثلاثة أيام فانكسر خاطره لذلك، وألقى الله بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملا بالحديث، فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع فأحس بانقطاع شيء في جوفه، فبادر حتى وصل إلى رباط السدرة الذي هو الآن مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله فأسهل إسهالا كثيرا ثم عاد إلى زمزم وشرب منها ثانيًا حتى امتلأ ريًا، ثم أسهل إسهالا بليغًا فشفاه الله من ذلك الاستسقاء. فبينما هو في بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه وإذا بالطبيب الذي أعرض عن ملاطفته قد رآه، فقال له: أنت صاحب تلك العلة؟ قال: نعم فقال له: بم تداويت؟ فقال: بماء زمزم، فقال الطبيب: لطف بك[٤].

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٣.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٤.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٩.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٠.

ومنها أن أحمد بن عبد الله المعروف بالشريفي الفراش بالحرم الشريف المكى حصل له عمى، فشرب من ماء زمزم بنية التداوى فشفى من ذلك العمى[١].

ومنها أن رجلا آخر عمى فشرب من ماء زمزم وصب فى عينيه منه بنية الشفاء فشفى فى أسرع وقت. وهذا من العجب فإن الأطباء ينهون عن إدخال الماء فى العين ويجعلونه من أسباب العمى.

ومنها ما ذكر الحافظ الذهبى فى «طبقات الحفاظ» أن الخطيب البغدادى لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات وسأل الله ثلاث حاجات: الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها، الثانية أن يملى الحديث بجامع المنصور، الثالثة أن يدفن عند بشر الحافى، فقضى الله له ذلك[٢].

ومنها أن الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفًا.

ومنها ما ذكره العلامة التاج السبكي فى «طبقاته» فى ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه قيل له: من أين أوتيت هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، وإنى لما شربته سألت الله علما نافعًا[٣].

ومنها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عن نفسه فقال: وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا فى بداية طلب الحديث أن يرزقنى الله حالة الذهبى فى حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدّة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة، فسألت رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك[٤].

ومنها ما نقل عن الإمام الشافعى ﷺ، أنه قال: شربت من ماء زمزم لثلاث: شربته للعلم، وشربته للرمى فكنت أصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة، وشربته للجنة وأرجوها.

ومنها ما أخرجه أبو الفرج فى «مثير الغرام» عن الشيخ أبى عبد الله الهروى أنه قال

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣٩.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١٠.

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٧٩.

لبعض أصحابه: دخلت المسجد فى السحر فجلست إلى زمزم وإذا بشيخ قد دخل إلى زمزم وثوبه مسدول على وجهه، فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه، ثم إلتفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت فى الليلة الثانية عند السحر فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل إلى زمزم فنزع الدلو فشرب فشربت فضلته، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه، ثم ذهب الشيخ فعدت فى الليلة الثالثة عند السحر فجلست عند زمزم، فإذا الشيخ قد أتى زمزم فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه، فأخذت مِلْحَفَتَه فَلَفَفْتُها على يدى، وقلت: يا شيخ، بحق هذه البَنِيَّة عليك، من أنت؟ قال: تكتم على حتى أموت؟ قلت: نعم، قال أنا سفيان بن سعيد الثورى[١].

ومنها ما أخرجه أبو الفرج أيضًا عن الحميدى أنه قال: كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث: ماء زمزم لما شرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال: يا أبا محمد، أليس الحديث الذى حدثتنا به عن زمزم صحيحا؟ فقال سفيان: نعم قال: فإنى قد شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدثنى بمائة حديث. فقال سفيان: اقعد فحدثه مائة حديث.

فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع أنه صحيح الإسناد كما سبق. ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكره هذا الحديث فى كتاب الموضوعات لكونه إما صحيحًا أو حسنًا.

ومنها كما نقله القاضى جمال بن عبد الله الشافعى الظهيرى فى مؤلفه «الجواهر المكنونة فى فضائل المضنونة» عن علماء الشافعية وغيرهم أن الدعاء يستجاب عند زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفى هذا القدر كفاية.

وأما أفضليته فنقل الجد تغمده الله برحمته عن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى أنه قال: ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر، لأن به غسل صدر النبى ﷺ ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه. انتهى.

قال الجد رحمه الله: وفيما استدل به وقفة، فقد يقال قوله: ولم يكن يغسل إلا

---

(١) انظر فى ذلك: القرى ص ٤٨٩.

بأفضل المياه مسلم. ولكن بأفضل مياه الدنيا. إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل فى دار الفناء، ولا يشكل بكون الطست الذى غسل فيه صدره ﷺ من الجنة، لأن استعمال هذا ليس فيه إذهاب عين بخلاف ذاك والله أعلم. انتهى.

وقد سئل شيخ الإسلام جلال الدين السيوطى تعاهده الله بالرحمة عن ذلك بما صورته:

يا غرة فى جبهة الدهر افتنا
لا زلت تفتى كل من جا[1] يسألُ
فى زمزمٍ أو ماء كوثر حشرنا
من منهما يا ذا المعالى أفضل
جوزيت بالإحسان عنا كلنا
وبجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته:

لله حمدى والصلاة على النبْـ
ـىِ محمد من للبرية يفضلُ
ما جاءنا خبر بذلك ثابت
فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطى راجيًا
من ربه التثبيت لمَّا يسألُ

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لماء زمزم وبئره خواص مباركة[2]، (ومنها): أنه يبرد الحمى وقد تقدم فى الحديث. (ومنها): أنه يذهب الصداع. (ومنها): أن جميع المياه العذبة التى فى الأرض ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا زمزم قالهما الضحاك. (ومنها): أنه يفضل مياه الأرض كلها طبًا وشرعًا ذكر عن الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصرى أنه قال: وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع، ثم اعتبرته

---

(١) فى المطبوع: «جاء» وهو غير صحيح عروضيا.

(٢) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٣.

بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الأرض كلها. (ومنها): أنه يحلو ليلة النصف من شعبان. ويطيب ويقال يقول أهل مكة إن عين السلوان تتصل بزمزم فى تلك الليلة. (ومنها): أنه يكثر فى ليلة نصف شعبان فى كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل، لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون. وممن شاهده كذلك الشيخ الصالح أبو الحسن المعروف بكرباج، وكان ذلك فى عام ست وسبعمائة. (ومنها): أن الاطلاع فى بئر زمزم يجلو البصر ويحط الخطايا.

(ومنها): كما أخرجه الفاسى عن الفاكهى أن شيخًا من أهل مكة أسر فى بلاد الروم، فقال له الملك: من أى بلد أنت؟ قال: من مكة، قال له: هل تعرف بمكة هَزْمة جبريل؟ قال نعم، قال: فهل تعرف برة؟ قال: نعم، قال فهل لها اسم غير هذا قال: نعم هى اليوم تعرف بزمزم قال: إنا نجد فى كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبدا[1].

(ومنها): أنه لا يجتمع هو ونار جهنم فى جوف عبد أبدا كما نقله المحب الطبرى.

(ومنها): أنه يقوى القلب ويسكن الروع، ولهذا قال الحافظ زين الدين العراقى: إن الحكمة فى غسل صدر النبى ﷺ بماء زمزم ليقوى به على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار.

(ومنها): اجتماع أرواح المؤمنين فى بئرها كما نقله فى «منهاج التائبين» قال روى عن مجاهد بن يحيى البلخى أنه قال كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان وكان كثير الطواف بالليل ويعكف على قراءة القرآن بالنهار وذلك منذ ستين سنة، وكان الناس يودعونه ودائعهم فجاء رجل من الصالحين وكان بينه وبين الخراسانى صداقة، فأودعه عشرة آلاف دينار ثم سافر، فلما قدم من سفره وجد الخراسانى قد مات، فسأل أهله وأولاده عن ماله، فقالوا ما لنا به علم لا ندرى ما نقول فقص أمره على فقهاء مكة يومئذ وأخبرهم بما قال له أهله وأولاده، فقالوا له: نحن نرجو أن يكون الخراسانى من أهل الجنة، فإذا مضى ثلث الليل أو نصفه ائت زمزم فاطلع فيها وناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد فأتى الفقهاء.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٣ و ٤١٤.

فأخبـرهم بذلك فقالوا: إنا لله وإنا إليـه راجعون. نخشى أن يكون صـاحبك من أهل النار، اذهب إلى اليمن فإن بها بئرا اسمها برهـوت يجتمع فيها أرواح المعذبين، وهى على فم جهنـم فاطلع فيـها إذا مـضى ثلث الليل أو نصفـه، وناد يا فلان بن فـلان أنا صاحب الوديعة قال: فمضيت إلى تلك البئر فاذا أنا بشخصين قد جاءا فنزل فيها وهما يبكيان، فقال أحدهمـا للآخر. من أنت؟ قال: أنا روح رجل ظالم كنت أضـمن المكوس وآكل الحرام، فرمانى ملك الموت إلى هذه البئر أعذب فـيها، وقال الآخر: أنا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصيًا ظالمًا وأنا أعـذب فى هذه البئر ثم سمعت لهما صراخًـا، فقامت كل شعرة فى بدنى من الفزع.

ثم تطلعت فى البئـر وناديت يا فلان، فأجـابنى من تحت العقوبة والضـرب، فقلت: ويحك يا أخى، مـا الذى أنزلك ها هنا؟ وبأى ذنب جئت إلى منازل الأشـقيـاء، وقد كنت صاحب خـير؟ قـال: بسبب أختى كانت صـعلوكة، وهى بأرض الـعجم فاشـتغلت عـنها بالمجاورة بمكة والعبادة وما كنت أفتقـدها بشىء ولا أسأل عنها، فلما مت حاسبنى الله عز وجل عنها، وقـال: نسيتهـا، تعرى وأنت تكتسى، وتجـوع وأنت شبعان مكتـفى. وعزتى وجلالى: إنى لا أرحم قاطع الرحم، اذهبوا به إلى بئر برهوت. فأنا معذب مع قطاع الرحم فى هذه البئر، فعـساك يا أخى تذهب إليها وتشرف على حالهـا وتطلب لى منها أن تجعلنى فى حل، فليس لى ذنب عند الله سوى هذا.

قال فقلت له: أين مـالى الذى أودعته عندك؟ فقال: هو علـى حاله وإنى لم أثق عليه أولادى ولا غيرهم، فدفـنته فى بيتى تحت العتبة فى المـوضع الفلانى فاذهب إلى أولادى وقل لهم يدخلوك دارى، فاحفر فإنك ستجد مالك.

قال فمـضيت إلى الموضع الذى قال لى عنه، فـحفرته فوجدت ذهبى على حـاله كما ربطته، فأخذته ومضيت إلى بلاد العجم، فسألت عن أختـه، واجتمعت بها وحدثتها حديثه فبكت وجعلته فى حل ثم شـكت إلىَّ القلة والضرورة فوهبتها شيـئا من الدنيا، وانصرفت راجعـا إلى مكة شرفـها الله تعـالى، فلما كـان نصف الليل جئت إلى زمـزم، وناديت: يا فلان، فقال: لبيك، جزاك الله عنى خيرا.

فصل فيما لزمزم من الأسماء

نقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى عن أشياخه من أهل مكة أن لزمزم عدة أسماء، وهى: زمزم، وهزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل، وبركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة أى ضن بها لبنى إسماعيل، لأنها أول ما أخرجت له عليه السلام، أخرجه الأزرقى[١] عن كعب. وعونة، وبشرى، وصافية، وبرّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومُغذّية بضم الميم والغين المعجمة من الغذاء، وطاهرة، وحرمية بالحاء المهملة لكونها والله أعلم بالحرم، ومُروية بضم الميم وتخفيف التحتية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم[١].

وذكر الفاكهى عن عثمان بن ساج أن من أسماء زمزم سابق. وذكر الفاسى رحمه الله أن لها أسماء أخر، من ذلك: ظبية بالظاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مثناة من تحت مفتوحة.

قال القاضى جمال الدين عبد الله بن ظهيرة تغمده الله برحمته سميت بها تشبيهًا بالظبية التى هى الخريطة لجمعها ماء فيها. ومن ذلك: تَكْتُم بتاءين مثناتين من فوق بينهما كاف ثم ميم فى الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الأولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية، وشباعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، وهزمة إسماعيل، وحفيرة العباس. وعزا هذا الأخير إلى «معجم البلدان» لياقوت، ونقرة الغراب هذا ما ذكره. ثم قال: وقد ذكرنا معانى بعض هذه الأسماء فى أصل هذا الكتاب يريد بذلك أصل كتابه «شفاء الغرام» ولم يوجد ولا عثر عليه أحد مطلقا.

وأخرج الأزرقى رحمه الله أن معنى تسميتها بنقرة الغراب، هو أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الأعصم كما تقدم، جاء إلى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات، فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٤.

الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت فى موضع زمزم فجزرت فى ذلك الموضع. فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك[١] انتهى.

ولم أدر ما قرية النمل التى بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها. والغراب الأعصم هو الذى فى جناحه ريشة بيضاء كذا فى «الصحاح» ومن أسماء زمزم على ما نقله السهيلى فى «روضه» همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى وقال: لأن جبريل همز بعقبه فنبع الماء، وزمازم حكاهما عن المطرز وفى بعض نسخ «الروض» ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاى الأولى ضمة وعلى الميم شدة وفتحة. وطيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلى.

ورأيت فى النسخة التى وقفت عليها من تاريخ الأزرقى كذلك بالطاء المهملة ويقال للماء زمزم وزمزوم وزمزام.

وقد اختلف فى سبب تسمية زمزم بزمزم فقيل: لكثرة مائها. قال ابن هشام: والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وقيل: لأنها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء كذا نقل عن ابن عباس.

وقيل: سميت بذلك لزمزمة الماء وهى صوته، قاله الحربى[٢]. وقيل: لأن الفرس كانت تحج فى الزمن الأول فتزمزم عليها[٣].

قال المسعودى: والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء. وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى البيت:

زَمْـزَمَـتِ الفُـرس على زَمْـزَمِ
وذاك فى سـالفـهـا الأقـدمِ[٤]

وقيل: إن زمزم غير مشتقة[٥]. والله تعالى أعلم

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٢.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.
(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٢.
(٤) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٢، شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.

فصل فى آداب الشرب من زمزم
وما ينبغى أن يقال عند ذلك

قال العلماء رحمهم الله: من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغى له أن يأخذ السقاء بيده اليمنى ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول: اللهم إنه بلغنى عن نبيك ﷺ أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، اللهم إنى أشربه لكذا ويذكر ما يريد ثم يشرب ويتنفس ثلاثا، ويسمى الله فى ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روى أن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءه رجل، فقال له: من أين جئت؟ قال: من زمزم قال: فشربتَ كما ينبغى؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: إذا شربت منها استقبل الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثا وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى فإن النبى ﷺ قال: آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم. رواه البيهقى من طرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء. قال العلماء: ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة[1].

وعن سويد بن سعيد قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: ماء زمزم لما شرب له، وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب.

فائدة: أخرج الأزرقى رحمه الله أن فى بئر زمزم ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبى قبيس والصفا، وعين حذاء المروة.

ونقل الفاكهى عن العباس بن المطلب عن كعب الأحبار أن العين التى تجرى من جهة الحجر الأسود هى أغزر العيون الثلاثة: قال الجد رحمه الله: إنها من عيون الجنة، والله أعلم.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٤.

فروع:

الأول: يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة إليه[١] كما صرح به أئمتنا من غير كراهة، وكذلك مذهب السادة الشافعية والمالكية والحنابلة. وفى «شرح المهذب» للنووى أن الجواز مذهب الجمهور.

الثاني: فى حكم الاستنجاء به أما عندنا فلم أقف على نقل فى ذلك والمنقول عن الماوردى والنووى من الشافعية أن ماء زمزم وان كان له حرمة فليست هى بحيث تمنع استعماله فى الاستنجاء. والمنقول عن الرويانى الكراهة فى ذلك.

قال ابن درياس من الشافعية: إن ماء زمزم وغيره فى ذلك سواء على المذهب ثم نقل فى «شرحه على المهذب» عن الصيمرى أنه قال: إن غيره من الماء أولى منه فى الاستنجاء. وجزم المحب الطبرى رحمه الله بتحريم إزالة النجاسة به وإن حصل به التطهير.

قال أكثرهم: وينبغى توقى إزالة النجاسة به لا سيما مع وجود غيره وخصوصًا فى الاستنجاء، فقد قيل إن بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور.

وقال ابن شعبان من المالكية: لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة[٢].

وأخرج الفاكهى أن أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركا به، وأن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما غسلت ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بماء زمزم[٣].

الثالث: يجوز نقل ماء زمزم إلى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الأربعة[٤]. بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكية، وكذلك يجوز عندنا إخراج اليسير من حجارة الحرم وترابه للتبرك ولم يجوزه الشافعى رحمه الله، والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده أن الماء إذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم. والدليل على جواز إخراج ماء زمزم إلى الحل أن عائشة

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٤.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.
(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.
(٤) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

ﷺ حملت من ماء زمزم فى قوارير وقالت: إن رسول الله ﷺ حمله فى الأداوى والقِرَب أخرجه الترمذى فى جامعه(١).

وعن ابن عباس أيضًا أن رسول الله ﷺ استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات(٢).

وروى أن كعب الأحبار حمل من ماء زمزم اثنتى عشر راوية إلى الشام. وجاء عنه ﷺ أنه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منه. وأنه ﷺ حنك به الحسن والحسين ﷺ مع تمر العجوة.

استطراد لطيف

فى ذكر ما ورد فى فضل السبطين وانهما سيدا شباب أهل الجنة وفضل الشيخين وانهما سيدا كهول أهل الجنة وفى معنى ذلك والمراد به

جاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله قال «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر ﷺ: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. رواه الترمذى وحسنه.

وتوفى أبو بكر وعمر والسبطان ﷺ وهم شيوخ كلهم. معنى الحديثين أن الحسن والحسين سيدا كل من مات شابا ودخل الجنة وإن أبا بكر وعمر سيدا كل من مات كهلا ودخل الجنة، فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين، ولكن لا يلزم كون السيد فى سن من يسودهم، فقد يكون أكبر منهم سنا وقد يكون أصغر، ولا يجوز أن يقال وقع الخطاب حين ماتا شابين أو كهلين، فإن هذا جهل ظاهر وغلط فاحش، لأن النبى ﷺ توفى والحسن والحسين دون ثمان سنين فلا يسميان شابين ولأبى بكر فوق الستين سنة ولعمر فوق خمسين، فكانا حال الخطاب شيخين فإن هذا الخطاب كان بالمدينة، وإنما

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

إقام رسول الله ﷺ بها عشر سنين، ولعل هذا الخطاب كان فى آخرها وينقضى سن الكهولة ببلوغ أربعين سنة ويدخل بالأربعين سن الشيخوخة، والله أعلم قاله النووى فى فتاويه.

وقوله: فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين يؤيده ما نقله الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى «البدور السافرة» فقال: أخرج الطبرانى عن المقداد بن الأسود سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس ما بين السقط والشيخ الفانى أبناء ثلاث وثلاثين فى خلق آدم وحسن يوسف وقلب أيوب مكحلين ذوى أفانين.

قال القرطبى رحمه الله: يكون الآدميات فى الجنة على سن واحد، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار، وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال أهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحى الا ما كان من موسى بن عمران عليه السلام فإن لحيته تضرب إلى صدره وأخرج هنا.

وعن أبى الدرداء أنه كان يأخذ لحيته ويقول: نزع الله اللحى متى الراحة منها، قيل له متى الراحة منها؟ قال: إذا أدخلنا الجنة.

وأخرج أبو الشيخ فى «العظمة» وابن عساكر عن جابر أن النبى ﷺ قال: ليس أحد يدخل الجنة إلا جرد مرد إلا موسى بن عمران عليه السلام، فإن لحيته تبلغ سرته، وليس أحد يكنى فى الجنة إلا آدم، فإنه يكنى أبا محمد.

وأخرج عن كعب رضي الله عنه قال: ليس أحد فى الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام له لحية سوداء إلى سرته، وذلك لأنه لم يكن له لحية فى الدنيا، وإنما كانت اللحى بعد آدم، وليس أحد يكنى فى الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد.

أقول: من المعلوم المقرر عند النحاة والأصوليين أن الاستثناء من النفى إثبات، وهو مفيد للحصر، فإذا كان كذلك، فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحية فى الجنة بآدم وموسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح، لأنه حيث ثبت الحصر فى حق آدم انتفى عن موسى أو فى حق موسى انتفى عن آدم، وإذا تعارض الخبران ولم يكن مرجح تساقطا. غير أنه يمكن الجمع بما ذكره من المصنف من كون لحية آدم سوداء،

فيجوز أن يكون لموسى لحية غير سوداء بأن تكون بيضاء أو شمطاء أو غير ذلك، لأن أحوال الآخرة لا تكيف ولا تقاس على أحوال الدنيا، ثم ما ذكره من العلة فى حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن له لحية فى الدنيا لما أن اللحى لم تظهر إلا بعده لا يصدق ذلك على موسى عليه السلام، إذ فى زمنه كانت اللحى قد ظهرت، ويشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن اخيه هارون معه: ﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ (سورة طه: ٩٤) فهذا صريح فى وجود اللحى زمن موسى فيحتمل أن يكون ذلك كرامة لسيدنا موسى اختصه الله بها أو غير ذلك مما الله أعلم به، فتأمل والله الموفق.

الرابع: إن قيل الحرمة الثابتة لماء زمزم هل هى لعينه أم لأجل البقعة؟ فالجواب أنها لعينه وإلا يلزم أنه لو حفرت بئر أخرى فى المسجد أن يثبت لها من الفضل ما ثبت لزمزم ولا قائل به، كذا فى «منسك الجد» رحمه الله.

الخامس: يستحب عندنا لكل من طاف طوافا بعده سعى أن يأتى زمزم بعد فراغه من ركعتى طوافه ويشرب منها ثم يعود إلى الحجر ويقبله ويخرج إلى الصفا، وكذلك يستحب للحاج إذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع أن يأتى إلى زمزم فيشرب منها، ويستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه ويغتسل منه إن أمكن.

ولنختم هذا الباب بذكر أبيات الشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصرى فى مدح ماء زمزم وهى:

شفيت يا زمزم داء السقيم
فأنت أصفى من تعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه
إليك بعد الشيب مثل الفطيم

وله أيضا:

يا زمزم[1] الطيبة المخبر
يا من علت غورا على المشترى

---

(١) فى المطبوع: «يا ماء زمزم» وهو غير صحيح عروضيا.

رضـــيع أخـــلاقك لا يشـــتـــهى
فـطامــــــــه إلا لـدى الـكوثـر

وله أيضا:

بالله قــــولوا لـنيـل مــــصـــــر
بـــأنـــنـــى عنـــه فـــى غـــنـــاء
بزمـــــــزم العــــذب عـند بـيت
مــــخلـق الـســـتـــر بـالوفـــاء

وله أيضا:

لزمـــزم نفـع فى المـــزاج وقـــوة
تزيد على مـاء الشـباب لذى فـتك
وزمـزم فـاقت كل مـاء بـطيـبـهـا
ولو أن ماء النيل يجرى على المسك

وليكن المسك ختام الباب، وإلى المرجع والمآب.

الباب العاشر

فى ذكر امراء مكة

من لدن عهد النبى ﷺ إلى تاريخ وقتنا هذا

وهو عام تسعة وأربعين وتسعمائة

وهذا المؤلف وإن كنت وضعته لبيان فضل مكة فقد يذكر الشيء بالشيء تكثيرا للفائدة، وهذا الفرع لم يتصد لجمعه أحد كما ينبغي سوى العلامة تقى الدين الفاسى رحمه الله، فأحببت أن أذكر ما ذكره وأزيد مَنْ حدث بعده من أمراء مكة إلى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعا مغنيا عن مطالعة غيره من المطولات، مع توسط العبارة وعدم الإخلال بأحد ممن عده الفاسى مع زيادة الإيضاح، والله ولى التوفيق والمعونة.

فأول أمير ولى مكة عتّاب بن أَسِيد - بفتح الهمزة - ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرَشِى الأموى، ولاه سيدنا رسول الله ﷺ عند مخرجه إلى عزورة حُنَيْن فى العُشْر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، قاله ابن إسحاق[١] وغيره ممن لا يحصى، وهو فى عامة كتب الحديث بل وغيرها.

وذكر ابن عقبة أن النبى ﷺ حين خرج إلى حنين استخلف مُعَاذَ بن جبل الأنصارى على أهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن، ويفقههم فى الدين[٢].

وذكر ابن عبد البر عن الطبرى أن رسول الله ﷺ لما سار إلى الطائف استخلف على مكة هُبَيْرة بن سبَل[٣] الثقفى، وهو أول مَنْ صَلّى بمكة جماعة بعد الفتح[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٤٠.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥١.

(٣) فى الإصابة بفتح المهملة والموحدة بعدها لام، ضبطه الخطيب عن خط ابن الفرات، وأما الدارقطنى فذكره بكسر المعجمة وسكون الموحدة.

(٤) الاستيعاب ص ١٥٤٨.

وقد جمع الفاسى رحمه الله بين هذه الأخبار بأن عتّابًا جعل أميرا على مكة ومعاذًا إماما وفقيها، واشترك هبيرة مع معاذ فى الإمامة[١].

ولا يعارض ذلك ما قيل فى ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة كما تقدم، لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر فى الناس ومعاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت، ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة وهذا أولى من جعل الأخبار متعارضة فى ولاية عتاب.

هذا معنى كلام الفاسى، وقد أجاد لأن ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر، ولم يزل عتاب أميرا على مكة إلى أن مات. وكانت وفاته يوم مات أبو بكر ﷺ، وقيل بل يوم جاء نعى الصديق إلى مكة[٢].

ونقل ابن عبد البر ما يقتضى أن الصديق عزل عتّابًا، وولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القُرَشىّ الهاشمى، وهو ضعيف[٣]. والمشهور دوام ولاية عتاب على مكة إلى أن مات فى التاريخ المتقدم آنفًا، ثم ولى مكة فى خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طرأ له المُحْرز بن حارثة بن رَبِيعة بن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى[٤].

ذكر من ولى مكة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وليها له جماعة أولهم المحرز بن حارثة المذكور وذلك فى أول خلافته ثم وليها قنفذ ابن عمر بن جُدْعان التيمى بعد عزل المحرز، ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخزاعى بعد عزل قنفذ، ووليها بعد عزل نافع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى، وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف، وعبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما خرج لملاقاة عمر ﷺ بعُسْفان، وأنكر عمر ذلك على نافع كما

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) الاستيعاب ص ٢٩١.

(٤) الاستيعاب ص ١٤٦١، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٤.

قد علمته فيما سبق فى الباب الثامن، والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القريشى الهاشمى(١). ونقل الذهبى أن الحارث هذا ولى مكة لأبى بكر(٢) وهو ضعيف.

ذكر من ولى مكة فى خلافة عثمان ﷺ

وليها جماعة، أولهم: على بن عَدِىّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى، ولاه عليها أول خلافته، ثم خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى المتقدم، وكذلك ولى عثمان الحارث بن نوفل السابق آنفًا، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى ابن أخى عتاب بن أسيد، وعبد الله بن عامر الحضرمى(٣).

وذكر ابن الأثير(٤) أنه كان على مكة فى سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان. ثم نافع ابن عبد الحارث الخزاعى السابق ذكره.

ذكر من ولى مكة فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وليها جماعة أولهم أبو قتادة الأنصارى فارس رسول الله ﷺ واسمه الحارث بن رِبْعِىّ، وقيل النعمان بن ربعى، وقيل غير ذلك(٥).

ثم قُثَم - بضم القاف وفتح المثلثة - ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ابن عم النبى ﷺ بعد عزل أبى قتادة الأنصارى، ولم يزل واليا عليها إلى أن قتل على ﷺ عَلَى الأشهر، ثم أخوه مَعْبَد بن العباس بن عبد المطلب على ما قيل، وقيل: إن المحرز بن حارثة ولى مكة لعلى قال الفاسى: وهو تصحيف(٦).

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٥.
(٢) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٦٣.
(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
(٤) الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٠٧.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٧.
(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

ذكر ولاة مكة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان(١)

وهم جماعة لا نعرف أولهم منهم أخوه عُتْبة بن أبى سفيان، وخالد بن العاص بن هشام المخزومى المتقدم، ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى أبو عبد الملك، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى يكنى أبا عثمان، وقيل أبا عبد الرحمن أحد أشراف مكة وأجوادها وفصحائها، وعمرو بن سعيد بن العاص القرشى الأشدق، وكذا سعيد المتقدم، وعبد الله ابن خالد بن أسيد بن أبى العيص القرشى ابن أخى عتاب السابق، وكانت ولايته سنة أربع وأربعين وفيها حج معاوية حجته الأولى.

ذكر ولاة مكة فى خلافة يزيد بن معاوية(٢)

وهم جماعة: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق السابق فى ولاية معاوية، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب القرشى ابن عم يزيد، وعثمان بن محمد بن أبى سفيان بن حرب القرشى ابن عم يزيد أيضا الأمويون، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى المتقدم ذكر والده خالد، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى ابن أخى عمر بن الخطاب ﷺ، ويحيى بن حكيم بن عمرو بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمحى. وفى ترتيب ولايتهم اختلاف إلا عمرو بن سعيد فإنه أولهم ثم الوليد بعده.

خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ(٣)

ثم ولى مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقى فى ذلك بلاء شديدا من الحُصَين بن نُمَير المقدم على عسكر يزيد، وكان وصول الحصين إلى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين، وتقاتل هو وابن الزبير مدة.

---

(١) انظر فى ولاة مكة فى خلافة معاوية: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) انظر فى ولاة مكة فى خلافة يزيد: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها.

(٣) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٣.

ثم فرج الله على ابن الزبير وصول نعى يزيد فى ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعًا إلى الشام، وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين، ثم بويع بها فى العراق واليمن وغيرهما من البلاد، وساد أمره ودامت ولايته على مكة إلى أن حاربه الحجاج وقتله وكان من أمره ما ليس هذا محل ذكره.

ذكر ولاة مكة فى خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة، وهم ابنه مَسْلَمة، والحجاج بن يوسف، والحارث بن خالد المخزومى السابق ذكره، وخالد بن عبد الله القَسْرِىّ، وعبد الله بن سفيان المخزومى، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص الأموى، ونافع بن عَلْقَمَة الكِنَانى، ويحيى بن الحكَم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى(١).

وأولهم فى الولاية الحجاج والباقون لا يعرف ترتيبهم، وممن ولى لعبد الملك كما قيل: هاشم بن إسماعيل المخزومى، وأبان بن عثمان بن عفان(٢).

ذكر ولاة مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك

وأما ولاة مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك فاثنان: الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشى الأموى ﷺ وولاه المدينة الشريفة أيضًا ثم خالد بن عبد الله القَسْرِى(٣).

وأما ولاتها فى خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة أنفار: خالد بن عبد الله القَسْرِىّ، ثم طلحة بن داود الحَضْرَمِىّ ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص الأموى(٤).

وأما ولاتها فى خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ فخمسة رجال: عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد المذكور، ومحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، وعروَة بن عياض بن عَدِىّ بن الخِيَار(٥) بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشى

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٦.
(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.
(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٠.
(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١.
(٥) بكسر المعجمة وتخفيف التحتانية قيده ابن حجر فى التقريب، وتحرف فى الأصلين إلى: «الحيان» وهو تحريف قبيح.

النوفلى كذا ترجمه الذهبى[(١)] وغيره، وعبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب القرشى، وعثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى[(٢)].

وذكر ابن جرير[(٣)] أن عبد العزيز بن خالد هو الذى كان واليًا على مكة مدة خلافة عمر جميعها.

وجمع الفاسى رحمه الله فقال: ولعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد وُلُّوا لعمر فى زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبد الملك فى المدّة التى كان فيها بالمدينة فإنها كانت فى ولايته أيضًا[(٤)].

وأما ولاتها فى خلافة يزيد بن عبد الملك فجماعة أولهم: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور، ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشى الفهرى مع ولايته للمدينة أيضًا، وولايته لمكة فى سنة ثلاث ومائة، وللمدينة فى سنة إحدى ومائة، ثم عبد الواحد بن عبد الله النَّصرى ـ بالنون ـ من بنى نصر بن معاوية بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك فى سنة أربع ومائة مع المدينة أيضًا[(٥)].

وأما ولاتها فى خلافة هشام بن عبد الملك فجماعة أيضًا أولهم: عبد الواحد المذكور، ومدة ولايته لذلك فى خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر على ما ذكره ابن الأثير[(٦)].

ثم بعده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك فى سنة ست ومائة، وولى مع ذلك المدينة أيضًا، ودامت ولايته على مكة إلى سنة ثلاث عشرة، وقيل أربع عشرة ومائة[(٧)].

ثم بعد إبراهيم المذكور أخوه محمد بن هشام بن إسماعيل، ودامت ولايته على ما

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٦٩.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣) تاريخ الرسل ج ٦ ص ٥٥٤ و ٥٨٩.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٣.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٣.

(٦) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٠٥ و ١٢٦ و ١٣٣.

(٧) الكامل ج ٥ ص ١٣٣ و ١٧٩.

قيل إلى سنة خمس وعشرين ومائة[1] . وذكر الفاكهى أن ممن ولى لهشام مكة نافع بن علقمة الكنانى السابق ذكره، فى خلافة أبيه عبد الملك[2].

وممن وليها على الشك فى خلافة[3] عبد الملك بن مروان أو فى خلافة أحد أولاده الأربعة، أو خلافة عمر بن عبد العزيز: أبو جراب محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر الأموى ذكره الفاكهى وذكر ما يقتضى أنه كان على مكة زمن عطاد بن أبى رَباح[4].

وأما ولاتها فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفى مع المدينة والطائف فى سنة خمس وعشرين ومائة، وذلك بعد عزل[5] محمد بن هشام خال الوليد المذكور، ودامت ولايته إلى انقضاء دولة الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة[6].

وأما ولاتها فى خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان على ما قيل[7].

وأما ولاتها فى خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموى ـ المعروف بالحمار ـ خاتمة خلفاء بنى أمية: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان المذكور آنفا، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس فى سنة ثمان وعشرين ومائة[8].

ثم بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وولى مع ذلك المدينة، واستمر متوليا إلى أن حج بالناس فى سنة تسع وعشرين ومائة[9] . ثم ولى مكة بعده بالتغلب أبو حمزة الخارجى الأباضى واسمه المختار بن عوف، وسببه أن عبد الله بن يحيى الأعور الكِنْدى المسمّى طالب الحق بعد أن ملك حَضْرَمَوْت[10] وصنعاء وتغلب عليهما، طرد عامل مروان: القاسم بن عمر الثقفى عنهما، وبعث أبا حمزة المذكور إلى مكة فى عشرة آلاف

(١) الكامل ج ٥ ص ١٧٩ و ٢٧٥، تاريخ خليفة ٣٥٧.
(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.
(٣) فى المطبوع: «فى خلافته».
(٤) اخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ١٧٧.
(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «عزم» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.
(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.
(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.
(٨) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٥.
(٩) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٥.
(١٠) حضر موت: مخلاف من اليمن.

من العسكر، فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر الأول من منى، وقصد المدينة وجهز جيشا من المدينة إلى أبى حمزة فخرج أبو حمزة قاصدا المدينة، فلقيه جيش عبد الواحد بقُدَيْد[١]. فكان الظفر لأبى حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة، وبلغ خبره مروان فجهز إليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فالتقى هو وأبو حمزة بمكة بالأبطح، فقتل أبو حمزة، وكان عسكره خمسة عشر ألفا وظفر عبد الملك[٢].

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن عبد الملك سار إلى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره، وأنه ظفر بطالب الحق وقتله وأرسل برأسه إلى مروان.

وممن ولى مكة لمروان: الوليد بن عُرْوة السعدى ابن أخى عبد الملك المذكور، وأنه كان عليها فى سنة إحدى وثلاثين ومائة، ويقال: إن محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة فى سنة ثلاثين ومائة، وأنه حج بالناس فيها، والله أعلم[٣].

ذكر ولاة مكة فى أيام بنى العباس

أما ولاتها فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بنى العباس وتلقب بالسفاح: فداود بن على بن عبد الله بن العباس عم السفاح وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة[٤].

ثم بعده زياد بن عبيد[٥] الله الحارثى خال السفاح مع المدينة واليمامة أيضا، ودامت ولايته إلى سنة ست وثلاثين ومائة على ما يقتضيه كلام ابن الأثير[٦].

(١) قُديد بالتصغير: مكان معروف فى طريق مكة المدينة، وهو إلى مكة أقرب، وما زال معروفا بهذا الاسم إلى الآن.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٥. (٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٧.

(٤) اليمامة: منطقة فى نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام، وبها كانت منازل طسم وجديس، وبها كانت دعوة مسيلمة الكذاب، وفتحها خالد بن الوليد فى زمن أبى بكر الصديق، وبها قُتل مسيلمة الكذاب وعادت إلى الإسلام، ويقال: إنها كانت من مخاليف مكة، أى محلقاتها، وكان يضمّ إلى حكام مكة حكم اليمامة أحيانا (شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨ هامش ١).

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد الله» وصوابه لدى الفاسى فى شفاء الغرام الذى ينقل عنه المصنف، وابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٣٠٩.

(٦) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٤٤٩ و ٤٦٢.

ثم ولى بعد زياد: العباس بن عبيد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى فى سنة ست وثلاثين ومائة، واستمر عليها إلى موت السفاح قاله ابن الأثير[١].

وممن ولى مكة للسفاح على ما ذكر ابن حزم فى «الجمهرة»[٢] عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى، وهذا يخالف ما تقدم عن ابن الأثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة إلى موت السفاح، والله أعلم بحقائق الأمور[٣].

وأما ولاتها فى خلافة المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أخى السفاح فجماعة، أولهم: العباس بن عبد الله بن معبد المذكور آنفا، وذلك سنة سبع - بتقديم السين - وثلاثين ومائة ثم مات بعد انقضاء الموسم[٤].

ثم ولى بعده زياد بن عُبيد الله الحارثى المتقدم ودامت ولايته إلى سنة إحدى وأربعين ومائة، وهو الذى تولى عمارة ما زاده المنصور فى المسجد الحرام[٥].

ثم ولى بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى فى سنة إحدى وأربعين ومائة، واستمر إلى سنة ثلاث وأربعين.

ثم ولى بعد عزله: السَّرِىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب واستمر إلى سنة خمس وأربعين[٦].

ثم ولى بعده بالتغلّب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى الجعفرى من قِبَل - بكسر القاف وفتح الموحدة - محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية، لأنه لما تغلب على المدينة النبوية، وخرج على المنصور فى سنة خمس وأربعين أمر على مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور، فسار إلى مكة فخرج إليه السرى بن عبد الله أمير مكة من قبل المنصور، فتحاربا فانهزم السرى ودخل محمد مكة، ثم أنفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد ابن عبد الله، فقتل كذا ينقله ابن الأثير[٧].

---

(١) الكامل ج ٥ ص ٤٦٣.
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٨.
(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨.
(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٩.
(٦) انظر فى ولاية السرى ومن بعده: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها.
(٧) الكامل ج ٥ ص ٥٤٢.

وذكر الزبير بن بكار ما يقتضى أن الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور، والله أعلم بالصواب.

ثم عاد السرى على ولاية مكة من قبل المنصور، واستمر إلى سنة ست وأربعين ومائة.

ثم ولى بعده عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى عم المنصور والسفاح، واستمر إلى سنة تسع وأربعين - بتقديم المثناة الفوقية - وقيل: إلى سنة خمس، وقيل: إنه كان على مكة فى سنة سبع وخمسين بتقديم السين.

ثم ولى بعد عبد الصمد: محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ومكث إلى سنة ثمان وخمسين.

وأما ولاتها فى خلافة المهدى أمير المؤمنين محمد بن المنصور العباسى فجماعة. أولهم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، بوصية من المنصور.

ثم جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان على ذلك فى سنة إحدى وستين، وثلاث وستين.

ثم عبيد الله بن قثم - بضم القاف وفتح المثلثة - ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متوليا لذلك فى سنة ست وستين.

وممن ولى للمهدى أيضًا محمد بن إبراهيم الإمام العباسى المتقدم. ذكره الفاكهى.

وممن ولى مكة على الشك فى خلافة المهدى وابنه الهادى: قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والد عبيد الله المتقدم والله أعلم بذلك.

وأما ولاتها فى خلافة الهادى موسى بن المهدى العباسى: فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم، وذلك فى سنة تسع وستين - بتقديم المثناة -.

ثم وليها بالتغلب فى أيام الهادى: الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب الحَسَنى، لأنه خرج عن طاعة الهادى وفتك بمن فى المدينة من جماعة الهادى ونهب بيت المال الذى بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه، وخرج

بجماعته إلى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين، وبلغ الهادى خبره فكتب إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأمره بمحاربة الحسين المذكور، وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة المذكورة للحج فى جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح فلما دخل من عمرته عسكر بذى طوى، وانضم إليه من حج من جماعتهم وقوادهم، والتقواع الحسين وأصحابه وكان القتال فى يوم التروية، فقتل الحسين فى أزيد من مائة من أصحابه بفَخ[1] بظاهر مكة عند الزاهر ودفن هنالك.

قال الفاسى: وقبره معروف إلى وقتنا هذا فى قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى جهة وادى مر، وحُمل رأسه إلى الهادى فلم يحمد ذلك. وكان الحسين هذا شجاعًا كريما، يحكى أنه قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها فى الناس ببغداد والكوفة، وخرج لا يملك ما يلبسه إلا فروة ليس تحتها قميص. رحمه الله وغفر له[2].

وممن ولى مكة فى خلافة الهادى وأخيه الرشيد[3] محمد بن عبد الرحمن السفيانى، كان على إمارتها وقضائها واستمر إلى أن صرفه المأمون إلى قضاء بغداد.

وأما ولاتها فى خلافة هارون الرشيد بن المهدى فجماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية وهم: أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، وحمّاد البربرى، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وأخوه على بن موسى بن عيسى، والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام، وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى، وعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق، وعبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، والفضل بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ومحمد بن إبراهيم الإمام، ومحمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «بفيح» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف
(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٣.
(٣) لدى الفاسى: «وفى خلافة الهادى أو خلافة الرشيد».

العثمانى[١] وموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على والد العباس وعلى المتقدم ذكرهما.

وأما ولاتها فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسى: فداود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين - بتقديم المثناة على السين - واستمر إلى انقضاء خلافة الأمين فى سنة ست وتسعين وهو الذى تولى خلع الأمين بمكة فيها.

وأما ولاتها فى خلافة المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد فداود المذكور أيضًا، ولاه المأمون بعد خلع الأمين، واستمر إلى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة - بتقديم المثناة الفوقية - ثم فارق مكة متخوفًا من الحسين بن الحسن بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بالأفطس وسببه أن أبا السرايا السرى بن منصور الشيبانى داعية ابن طباطبا لما تغلب واستولى على العراق ولى مكة الحسين بن الحسن الأفطس فسار إلى أن وصل إلى وادى سَرِف[٢] المعروف فى وقتنا هذا بالنّوارية - بتشديد النون - على مرحلة لطيفة من مكة إلى جهة مر الظهران، فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى ثم مضى إلى عرفة فوقف بها ليلا ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم دفع إلى منى، فلما انقضى الحج عاد إلى مكة فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التى كانت عليها من قبل العباسيين، ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور من قَزّ رقيق، إحدهما صفراء والأخرى بيضاء، ثم عمد الأفطس إلى خزانة الكعبة وأخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه، وهرب الناس من مكة لأنه كان يأخذ أموال الناس ويزعم أنها ودائع بنى العباس عندهم.

ولم يزل كذلك على ظلمه إلى أن بلغه قتل مرسله أبى السرايا فى سنة مائتين، فلما علم بذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال جاء هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين

(١) فى المطبوع: «العفانى» والمثبت رواية الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) سرف: موضع معروف بقرب مكة، وبه قبر السيدة ميمونة زوجة النبى ﷺ.

ابن على بن أبى طالب الحسينى الملقب بالديباجة لجمال وجهه، وسألوه فى المبايعة بالخلافة، فكره محمد ذلك، فاستعان الأفطس عليه بولده على، ولم يزالوا به حتى بايعه بالخلافة وذلك فى ربيع الأول سنة مائتين.

وجمعوا الناس على بيعة محمد بن جعفر طوعا وكرها ولقبوه بأمير المؤمنين، وبقى شهورًا وليس له من الأمر شىء وإنما ذلك لابنه على وللأفطس وهما على أقبح سيرة مع الناس، فلم يكن إلا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون فيهم الجُلودى وورقاء بن جميل، وقد انضم إلى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية، فالتقى الفريقان فانهزم محمد وأصحابه، وطلب الديباجة من الجلودى الأمان فأجلوه ثلاثا، ثم خرج من مكة ودخل الجلودى بعسكره إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة مائتين[١].

وتوجه الديباجة إلى جهة بلاد جُهَيْنَة فجمع منها جيشا وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب ، فانهزم الديباجة بعد أن فُقِئَت عينه بنشّابة، وقتل من عسكره خلق كثير[٢].

ثم عاد إلى مكة وطلب الأمان من الجلودى، فأمنه فدخل مكة فى أواخر الحجة سنة مائتين وصعد المنبر معتذرًا بأنه إنما وافق على المبايعة لأنه بلغه موت المأمون، ثم قدم على المأمون واعتذر واستغفر فقبل عذره وأكرمه وعفا عنه، فلم يمكث إلا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل فى لحده وقال: هذه رَحِمٌ قُطِعت من سنين وكان موته فى شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته على ما قيل أنه جامع وافتصد ودخل الحمام فى يوم واحد[٣].

ثم وليها بعد هزيمة الديباجة فى خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجُلُودى، ووليها له نيابة ابنه محمد، ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى.

ثم وليها بعد عزل الجلودى هارون بن السيب.

ووليها للمأمون أيضًا حمدون بن على بن عيسى بن ماهان، وإبراهيم بن موسى بن

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، وحج بالناس سنة اثنتين ومائتين كذا نقله الفاسى عن العتيقى[(١)].

وذكر الأزرقى أن حنظلة كان واليا على مكة فى سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون بن على[(٢)].

وجمع الفاسى بين ذلك بأنه يمكن أن يكون حمدون كان واليا فى أول سنة اثنتين ومائتين، واستناب حنظلة المذكور وإبراهيم كان واليا فى آخر هذه السنة[(٣)].

وعُبيد الله بن الحَسن[(٤)] ابن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب مع المدينة، وذلك فى سنة أربع ومائتين، واستمر إلى سنة ست، وقيل إلى سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية[(٥)].

وصالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وذلك فى سنة عشرٍ ومائتين، واستمر إلى أن حج بالناس سنة اثنتى عشرة ومائتين.

ثم وليها بعده على الأشهر سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس مع المدينة.

وولى أيضًا للمأمون محمد بن سليمان المتقدم ذكر والده، وذلك فى سنة ست عشرة ومائتين كما يقتضيه كلام الفاسى[(٦)].

وعُبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب.

وممن ولى مكة للمأمون من غير مباشرة: الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل، لأن المأمون بعد قتل أخيه الأمين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق والأهواز وفارس والحجاز واليمن، وذلك فى سنة ثمان وتسعين ومائة[(٧)].

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٩.
(٢) اخبار مكة وللأزرقى ج ١ ص ٢٦٦.
(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.
(٤) فى المطبوع: «الحسين» والمثبت رواية د، و مصعب فى نسب قريس ص ٧٩، وابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٤٠٨.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.
(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.
(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

وأما ولاتها فى خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد[١]:

فصالح بن العباس المتقدم ذكره آنفا وكان فى سنة تسع عشرة - بتقديم المثناة - ومائتين[٢].

ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بتُرُنجه، وذلك فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ويقال: إن ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل[٣].

وولى للمعتصم أيضًا: أشناس التركى وهو من كبار قواده، وذلك أنه لما أراد الحج فى سنة ست وعشرين ومائتين فوض إليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها، فلما دخل مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائبا عنه على الحج بالناس، ودعا لأشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التى دخلها[٤].

وأما ولاتها فى خلافة الواثق هارون بن المعتصم: فعلى بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور، وذلك سنة ثمان وثلاثين، واستمر إلى أن توفى سنة تسع وثلاثين.

ثم ولى بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى المتقدم ذكر والده فى خلافة المعتصم واستمر إلى سنة إحدى وقيل اثنتين وأربعين ومائتين.

ثم ولى بعده عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس سنة اثنتين وأربعين.

ثم ولى بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام المعروف بالزينبى.

وممن عقد له على مكة ولم يباشر فى خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذى ولى الخلافة بعد أبيه المتوكل.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «فى خلافة المعتصم فمحمد بن هارون الرشيد» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

وممن ولى على ما قيل في خلافة المتوكل إيتاج[١] - بهمزة وبعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فألف فجيم - الخُوزى - بضم الخاء المعجمة وكسر الزاء المعجمة - مولى المعتصم، وكان من كبار قواد المتوكل، والله أعلم بذلك.

وأما ولاتها فى خلافة المنتصر محمد بن المتوكل: فمحمد بن سليمان الزينبى المتقدم آنفًا.

وأما ولاتها فى خلافة المستعين أبى العباس أحمد بن المعتصم العباسى: فعبد الصمد ابن موسى الإمام المتقدم ذكره، وذلك فى سنه تسع وأربعين بتقديم المثناة.

ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات، وكانت ولايته فى سنة خمسين ومائتين، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد شاشات بالتغلب إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات، وقتل الجند الذى بمكة وجماعة من أهل مكة، ونهب منزل شاشات وغيره، وأخذ من الناس نحو مائتى ألف دينار، وعمد إلى الكعبة الشريفة فأخذ كسوتها، وأخذ ما فى خزائنها من الأموال وما كان حمل من المال لإصلاح العين، ونهب مكة، وأحرق بعضها، ثم خرج منها فى شهر ربيع الأول بعد إقامته فيها خمسين يوما، وقصد المدينة الشريفة فتوارى عنه عاملها، فرجع إلى مكة فى رجب، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعا وعطشًا، وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم، ولقى أهل مكة منه بلاء شديدا، ثم سار إلى جُدَّة فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها، وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة، ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف بعرفة أحد لا ليلا ولا نهاراً سوى إسماعيل وعسكره، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع إلى جُدّة ثانيا، وأفنى أموالها، وفعل أمورا قبيحة. ليس هذا محل ذكرها هذا كله فى خلافة المستعين[٢].

(١) ولدى الفاسى الذى ينقل عنه المؤلف: «إيتاخ» بالخاء المعجمة، ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٤٣٢.

(٢) الخبر بطوله لدى الفاسى فى شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٤.

وممن عقد له على مكة ولم يباشر فى خلافة المستعين اثنان: ابنه العباس ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين.

وأما ولاتها فى خلافة المعتز واسمه محمد، وقيل «الملحة»، وقيل الزبير بن المتوكل العباسى: فعيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبى عمرو[١] بن حفص بن المغيرة المخزومى. وذكر الفاكهى ما يقتضى أنه ولى مكة مرتين.

ومن ولاتها فى خلافة المعتز أو خلافة المهتدى، أو خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسى الملقب كعب البقر وولايته، لا تخرج على أحد هؤلاء الثلاثة[٢].

وأما ولاتها فى خلافة المهتدى، واسمه محمد بن الواثق العباسى: فعلى بن الحسن الهاشمى ذكره الفاكهى، ولم يزد على اسمه واسم أبيه وذكر أن ولايته فى سنة ست وخمسين ومائتين[٣]. وأنه أول من فرق بين الرجال والنساء فى جلوسهم فى المسجد الحرام، أمر بحبال تربط بين الأساطين التى تقعد عندها النساء تفصل بينهن وبين الرجال[٤].

وأما ولاتها فى خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى فجماعة: أخوه أبو أحمد الموفق، واسمه طلحة، وقيل محمد بن المتوكل، وذلك فى سنة سبع وخمسين - بتقديم السين على الموحدة - ومائتين على ما اقتضاه كلام ابن الأثير[٥].

وابراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الملقب بزيه - بباء موحدة ثم زاى معجمة ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف -[٦] وكانت ولايته فى حدود تسع وخمسين - بتقديم المثناة الفوقية - ومائتين إلى إحدى وستين ومائتين[٧].

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ابن عَمرو» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف، ومثله لدي ابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٦.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ج ١ ص ٤٧٧.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ج ٣ ص ٢٤٢.

(٥) الكامل فى التاريخ ج ٧ ص ٢٤١.

(٦) وفى حواشى نزهة الألباب فى الألقاب ص ١٢١: «وبُرَيْه - بالراء المهملة - مصغر: إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى أمير مكة».

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٧.

وأبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي ولد عيسى بن محمد المتقدم ذكره في خلافة المعتز آنفا، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين كما تقتضيه عبارة الفاسي والفاكهي[١].

وذكر ابن الأثير ما يدل أنه وليها نائبًا لصاحب الزّنج في سنة خمس وستين[٢]، واستمر إلى سنة ثمان وستين ومائتين.

وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، وكانت ولايته في سنة تسع وستين - بتقديم المثناة الفوقية - ومائتين، كما دل عليه كلام ابن جرير وابن الأثير.

وأحمد بن طولون صاحب مصر، أقول كذا عده الفاسي مع أنه لم يباشر ذلك، ولولا ما قدمته أول هذا الباب بأني لم أخل بأحد ممن عده الفاسي لما ذكرته، ولعل سبب ذكر الفاسي لأحمد المذكور - والله أعلم - ما نقله عن ابن جرير[٣] أن في عام تسع وستين ومائتين أرسل ابن طولون هذا قائدين من مصر في أربعمائة وتسعين فارسا - بتقديم المثناة الفوقية على السين -[٤] وألفَي راجل، فوافوا مكة لليلتين بقيتا من ذي القعدة، وأعطوا الجزارين والحناطين بمكة دينارين لكل رجل ولغيرهم سبعة دنانير، وكان هارون بن محمد المتقدم آنفًا يومئذ أميرًا على مكة، ومعه مائة وعشرون فارسا ومائتا عبد من السودان، فوافاه جعفر بن الباغمردي[٥] لثلاث خلون من ذي الحجة في نحو مائتي فارس فقوي بهم هارون فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون فانهزم عسكر ابن طولون، وقتل منهم بمكة نحو مائتي رجل، وأخذت دوابهم وأموالهم، وأمَّن جعفر الباغمردي المصريين والحناطين والجزارين وسَلِم الناسُ، وأموالُ التجار، ولعن أحمد بن طولون في المسجد الحرام[٦] وبهذا لا يثبت لابن طولون ولاية على مكة، وكان عدم ذكره أولى، والله أعلم. انتهى.

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) الكامل ج ٧ ص ٣٢٨.

(٣) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٦٥٢.

(٤) الذي لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف: «في أربعمائة وسبعين فارسا» ومثله لدى الطبري.

(٥) في الأصلين: «الباعمرون» وهو خطأ صوابه لدى الطبري ج ٩ ص ٦٥٢، والفاسي في شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٨.

(٦) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٦٥٢، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٨، غاية المرام ج ١ ص ٤٥٤.

ومحمد بن أبى الساج وأخوه يوسف بن أبى الساج، فأما محمد ففى كلام ابن جرير[(١)] ما يدل على أنه لم يباشر، وإنما عقد له على الحرمين.

وأما ولاية أخيه يوسف فذكر ابن الأثير أنها فى سنة إحدى وسبعين[(٢)] ـ بتقديم السين على الموحدة ـ ومائتين.

والفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن العباس، وكان متوليا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين، كذا نقله الفاكهى [(٣)].

أقول: وفيه نظر، لأنه قد تقدم أن أبا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة فى هذه السنة، ويمكن الجمع بأن الفضل لعله كان واليا فى أول السنة، ثم ولى بعده أبو المغيرة فى أثنائها أو آخرها، والله أعلم بذلك، ولم ينبه الفاسى على ذلك.

وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى، ذكر ولايته عن المعتمد ابن حزم ولم يذكر لها تاريخا، لكنه نقل أن أبا عيسى عزل بأبى المغيرة المخزومى المتقدم[(٤)]، فيحتمل أن تكون ولايته تقريبًا من ثلاث وستين إلى ثمان وستين ومائتين لأن أبا المغيرة كان واليا فى هذه الحدود على اختلاف الأقوال المتقدمة فى تاريخ ولايته. انتهى.

ونقل الفاكهى ما يقتضى أن أبا عيسى هذا ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفا.

وجمع الفاسى بين ما ذكره ابن حزم والفاكهى فقال: ولا مانع لأنه يجوز أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل نيابة عن المعتمد استقلالا. انتهى[(٥)].

وأما ولاتها فى خلافة المعتضد أبى العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل العباسى ثم فى خلافة أولاده المكتفى أبى محمد على والمقتدر أبى الفضل جعفر والقاهر أبى منصور محمد ثم فى خلافة الراضى أبى العباس أحمد بن المقتدر، ثم فى خلافة

---

(١) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٥٤٩.
(٢) الكامل ج ٧ ص ٤١٧.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ج ١ ص ٤٨٢.
(٤) جمهرة أنساب العرب ص ١٤٩.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٠.

المتقى أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر، ثم فى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد، ثم فى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى فجماعة كثيرة، لم يعرف منهم ويذكر سوى عَجّ ـ بالعين المهملة والجيم ـ ابن حاج، ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت، غير أن إسحاق الخزاعى ذكر أنه كان واليا على مكة فى سنة إحدى وثمانين ومائتين.

وذكر ابن الأثير ما يدل على أنه كان واليا فى عام خمس وتسعين ـ بتقديم المثناة الفوقية ـ ومائتين[1] فيحتمل أنه استمر من عام واحد وثمانين إلى التاريخ ذكره ابن الأثير، أو تولى غيره ثم أعيد هو والله أعلم.

ومؤنس المظفَّر وذلك فى سنة ثلاثمائة حسبما ذكره ابن الأثير[2] وكان أميرًا على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة.

وابن ملاحظ لأن النسابة[3] أبا محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ[4].

قال العلامة الفاسى: وما عرفت اسم ابن ملاحظ ولا متى كانت ولايته، غير أنى أظن أنه كان عليها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها بقليل. انتهى[5].

وابن محلب[6] وقيل ابن محارب والأول أصوب، ولم يعلم أول ولايته، غير أن ابن الأثير لما ذكر ما فعله أبو طاهر القرمطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة ـ بتقديم المهملة على الموحدة ـ وثلاثمائة، قال ما صورته: فخرج إليه ابن محلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أبو طاهر أجمعين[7]. انتهى.

فاستفيد من كلامه أن ابن محلب كان والى مكة فى تلك السنة.

---

(١) الكامل ج ٨ ص ١١ و ١٢.
(٢) الكامل ج ٨ ص ٧٥.
(٣) فى المطبوع: «النابه».
(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٣.
(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٤.
(٦) كذا فى الأصلين، ومثله لدى ابن الأثير فى الكامل ج ٨ ص ٢٠٧ ولدى الفاسى فى شفاء الغرام: «ابن مخلب».
(٧) الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٢٠٧.

ومحمد بن طعج ـ بالطاء والعين المهملتين ثم بالجيم[١] ـ المعروف بالإخشيد، وابناه أبو القاسم أونجور ـ بالنون والجيم ـ ومعنى أونجور: محمود، وأبو الحسن علي. وكان مبدأ ذلك في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، كما دل عليه كلام المؤرخين بأن الخليفة التقى العباسى ولى محمداً المذكور مصر والشام والحرمين فى السنة المذكورة، وعقد لولديه أبى القاسم وعلى أبى الحسن من بعد أبيهما على البلد المذكورة على أن يكفلهما خادمه كافور الخصى المعروف بالإخشيدى. وهذه الولاية بالعقد عن غير مباشرة، ودليله أن الفاسى رحمه الله قال بعد استيفاء كلام المؤرخين فى عقد المتقى لمحمد وولديه ما صورته: وما عرفت من كان يباشر لهم ولاية مكة ولا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر[٢]. انتهى. والله أعلم.

وممن ولى مكة القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى، ذكر ذلك بعض مؤرخى مصر، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه باشر ذلك لأبى الحسن على بن الإخشيد[٣]، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى زمن الإخشيدية بالتغلُّب: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحَسَنِىّ، كذا ذكره ابن حزم[٤]، ثم قال وولده إلى اليوم ولاة مكة يعنى فى زمنه.

قال العلامة الفاسى: ولعل ولاية جعفر المذكور بعد موت كافور الإخشيدى، وقيل أخذ العُبَيْديين مصر من الإخشيدية، ويصدق على ذلك أنها الإخشيدية، ويبعد أن يلى جعفر مكة فى أيام كافور لعظم أمره، وقد رأيت فى بعض التواريخ ما يدل على أنه كان يدعى لكافور على المنابر بمكة، وكان موت كافور فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة فى

(١) كذا ضبطها ابن ظهيرة، ولدى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢: «طغج: بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم ـ وتفسيره: عبد الرحمن» ومثله فى سائر المصادر.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٥.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٥.

(٤) جهرة أنساب العرب ص ٤٧.

جمادى الأولى، وقيل: فى سنة سبع وخمسين، فتكون ولاية جعفر فى إحدى هاتين السنتين، أو فى سنة ثمان وخمسين، ولا تخرج ولايته عن هذا. انتهى[١].

ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر، ودامت ولايته إلى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[٢].

ولم يتعرض الفاسى لموت أبيه جعفر متى كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى، وإنما أفاد ولاية عيسى بعد أبيه لا غير.

ثم ولى بعد عيسى أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحَسَنِىّ، ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة، إلا أن الحاكم العبيدى صاحب مصر كان قد ولَّى مكة لابن عم أبى الفتوح أبى الطيب فى المدة التى خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم، ثم أعاده إلى مكة بعد أن راجع طاعته.

وقيل: إن أخا لأبى الفتوح كان خرج عليه بمكة فى زمن عصيانه، والله أعلم بحقائق الأمور، وكان عصيان أبى الفتوح فى سنة إحدى وأربعمائة وقيل فى سنة اثنتين.

وذكر ابن خلدون أن أبا الفتوح ولى المدينة الشريفة أيضا وأزال عنها إمرة بنى المهنا الحُسَيْنِيين[٣]، وذلك فى سنة تسعين بتقديم المثناة وثلاثمائة.

ثم ولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه شُكْر بن أبى الفتوح واستمرت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ونقل ابن خلدون أنه ملك المدينة وجمع بين الحرمين[٤]، ويقال: إنه ملك ثلاثا وعشرين سنة، ومات ولم يعقب ولا ولد له قط، وإنما صار أمر مكة بعده إلى عبد كان له، كذا ذكره ابن حزم[٥].

ونقل صاحب «المرآة» ما يقتضى أن شكرا كانت له ابنة، والله أعلم.

ثم ولى مكة بعد شكر بنو أبى الطيب الحَسَنيون، وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر، ولم يذكر الفاسى عدتهم.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) فى المطبوع: «الحسنيين».

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ١٠٢.

(٥) انظر الجمهرة ص ٤٧.

ثم ولى مكة على بن محمد الصُّلَيْحى صاحب اليمن، وذلك فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى شهر ذى الحجة، وأظهر العدل بهـا واستعمل الجميل مع أهلها، وكثر الأمن وطابت به قلوب الناس، ورخصت الأسعار فى أيامه، وكثـرت له الأدعية، وكَسَا البيت ثوبا أبيض، ورد إلى البيت الحلى الذى أخـذه بنو أبى الطيب الحَسَنيون لمـا ملكوا بعد شكر، وأقـام بمكة إلى يوم عـاشوراء، وقـيل: إلى ربيع الأول سنة ست وخـمـسين، وعـاد إلى اليمن[1].

ثم ولى بعده نائبـا أبو هاشم محمـد بن جعفر بن مـحمد بن عـبد الله بن أبزى هاشم محمـد بن الحسين بن محمـد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عـبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحـسنى، وسببه أن الصليحى لمـا دخل مكة كان الأشراف بنو أبى الطيب قد أبعدوا عن مكة، وجمعوا عليه، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة ويؤمر بها من يختاره منهم، وكان قد وقع فى عسكره الوباء فمـات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق معه إلا نفر يسير، فاخـتار محمدا هذا ابن جعفر بن أبى هاشم وأقـامه نائبا عنه وأمره على مكة واستخدم له عـساكر وأعطاه مالا وسلاحا وخـمسين فرسا، ثم سار إلى اليمن فجاء الأشراف بنو سليمان ومعهم حمزة بن أبى وهاس، وحاربوا مـحمد بن جعفر فحاربهم، ولم يكن له بهم طاقة فخرج هاربا من مكة فتبعوه فـكر راجعا وضرب واحدا منهم ضربة قطع بها درعه وفرسه وجسـده ووصل إلى الأض فـرجعوا عنه، وكان تحته فرس يـقال لها دنانير لا تكلّ ولا تمل[2].

ومحمد بن جعـفر هذا هو أحد أمراء مكة المعروفين بالهواشـم، وقيل: إنه كان صهر شكر بن أبى الفتوح على ابنته والله أعلم بذلك.

ثم عاد محـمد بن جعفـر إلى مكة بعد خروجه، واسـتمر متوليًـا إلى أن مات فى سنة سبع وثمانين ـ بتقديم السين ـ وأربعمائة، وهـو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد أن قطعت نحـو مائة سنة، وقـد بالغ ابن الأثير فى ذمـه، فقـال: لما أن ذكـر وفاته مـا له ما يُمْدح[3] به. انتهى.

---

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩. (٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١.

(٣) الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩.

قال الفاسى رحمه الله: ولعل ذلك لنهبه الحاج، وقتله منهم خلقا كثيرا فى سنة ست وثمانين، ولأخذه حلية الكعبة فى سنة اثنتين وستين والله أعلم. انتهى[١].

وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة والله أعلم.

ثم ولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم مدة يسيرة، ثم وليها أصبهبذ[٢] بن سارتكين[٣] بسين مهملة ثم ألف ثم راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون، وكان استيلاؤه عنوة فى أوائل سنة سبع وثمانين - بتقديم المهملة - فهرب منها قاسم بن محمد وأقام أصبهبذ بمكة إلى شوال فجمع قاسم عسكراً وكبس أصبهبذ بعُسفان، فانهزم أصبهبذ إلى الشام، ودخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة[٤].

وذكر ابن خلدون أن إمرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب.

ثم ولى مكة بعده ابنه فليتة، وقيل: أبو فليتة، واستمرت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسمائة[٥].

ثم ولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليتة، واستمر متوليا إلى أن مات فى سنة تسع وأربعين - بتقديم المثناة الفوقية - وخمسمائة، وقيل فى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين، ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته[٦].

ثم ولى بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليتة، واستمر إلى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى، وذلك وقت الموسم لإساءته السيرة فى مكة.

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) فى المطبوع: «أصيهبد» وفى د: «أصبهبد» والمثبت رواية ابن الأثير فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩، والفاسى فى شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٣) والذى لدى ابن الأثير فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩: «ساوتكين» ولدى ابن فهد فى إتحاف الورى ج ٢ ص ٤٨٧: «سرتكين».

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

ثم ولى مكة بعده عمه عيسى بن فليتة، ثم عاد قاسم إلى مكة واستولى عليها فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين ـ بتقديم السين على الموحدة ـ أقام بها أياما يسيرة، ثم قتل(١).

واستقر الأمر بعده لعمه عيسى ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة سبعين ـ بتقديم السين ـ وخمسمائة(٢).

ثم ولى بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليتة بعهد من أبيه واستمر إلى ليلة النصف من رجب [سنة] إحدى وسبعين(٣).

ثم وليها أخوه مُكثر بن عيسى، واستمر إلى موسم هذه السنة، ثم عزل وجرى بينه وبين أمير الركب العراقى حرب شديد فى ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاشتكين(٤).

ثم ولى مكة فى الموسم المذكور الأمير قاسم بن مهنا الحسينى بعد عزل مُكثر، وأقام متوليا نحو ثلاثة أيام، ثم إنه رأى من نفسه العجز عن القيام بإمرة مكة فأعاد أمير الحاج داود بن عيسى المذكور آنفًا إلى إمرة مكة، وشرط عليه أن يسقط جميع المكُوس، ولم تعلم ولايته هذه إلى متى استمرت غير أنه بعدها كان يتداول هو وأخوه مُكثر إمرة مكة، ثم انفرد بها مُكْثر عشر سنين متوالية، آخرها سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وتسعين ـ بتقديم المثناة الفوقية ـ وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم(٥).

غير أن فى ولايته أو فى ولاية أخيه داود على الشك كان ممن ولى مكة سيف الإسلام طغتكين ـ بطاء مهملة ثم غين معجمة ثم مثناة فوقية ـ ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وذلك فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، لأنه قدم مكة فى هذه السنة، ومنع من الأذان [فى الحرم] بحى على خير العمل، وقتل جماعة من العبيد المفسدين، وهرب منه أمير مكة إلى قلعته بأبى قُبَيْس، وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج، وضرب طغتكين الدراهم والدنانير بمكة باسم أخيه السلطان صلاح الدين(٦).

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣. (٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٤ وما بين حاصرتين منه.

(٤) فى المطبوع: «الطاستكين» والمثبت رواية ابن الأثير فى الكامل ج١١ ص ٤٣٢، ومثلها لدي الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٤.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ض ٣١٤ وما بين حاصرتين منه.

ثم ولى مكة بعد مُكْثِر: أبو عزيز قَتَادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى ابن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى، وذلك فى سنة سبع - بتقديم السين - وتسعين - بتقديم المثناة - وخمسمائة، وقيل: فى سنة ثمان وتسعين، وقيل فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة سبع عشرة - بتقديم السين - وقيل فى سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة أو ما يقاربها للاختلاف فى مبدأ ولايته، وكانت ولايته ممتدة إلى ينبُع[١] وإلى حلى[٢]، وكان يحارب صاحب المدينة الشريفة، ويغلب كل منهما الآخر حينا، وكان ممن ولى مكة بالعقد لا بالمباشرة فى أيام قتادة: آقباش بن عبد الله الناصرى فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسى، لأن مولاه عقد له على الحرمين وإمرة الحج لعظم مكانته عنده[٣].

ثم بولى مكة بعده ابنه حسن بن قتادة، وقتل بعض عسكره آقباش المتقدم آنفا لأنهم اتهموه أنه واطأ راجح بن قتَادة على أن يوليه عوضًا عن أخيه حسن، واستمر حسن المذكور إلى سنة تسع عشرة - بتقديم المثناة - وقيل إلى سنة عشرين وستمائة[٤].

ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب أقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن، لأنه صار إلى مكة وتحارب هو وحسن بن قتادة بالمسعى فانهزم حسن وهرب من مكة ونهبها عسكر الملك المسعود إلى وقت العصر، ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ست وعشرين وستمائة[٥].

وكان ممن ولى مكة نيابة للملك المسعود رجلان: الأول نور الدين عمر بن على بن

---

(١) ينبع: بلد حجازى على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربى لمكة المكرمة، ويقال لها ينبع البحر، وقريب منها فى الداخل بلد يقال لها ينبع النخل، وهى قرية غنّاء ذات عيون ومزارع وقد كانت عامرة، وقال يا قوت فى معجمه: قال الشريف بن مسلمة بن عياش الينبعى: عددت بها مائة وسبعين عينا.

(٢) حلى: بلد حجازى على ساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب الغربى لمكة.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٥.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٥.

(٥) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ص ٣٦٥.

رسول الذى ولى السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك، فقصده حسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبُع، فتحاربا فانكسر حسن.

والثانى الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودى، وذلك فى سنة خمس وعشرين وستمائة.

ثم ولى مكة بعد الملك المسعود والده الملك الكامل، واستمر إلى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين ـ بتقديم المثناة الفوقية ـ وستمائة.

ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول بعد أن بويع بالسلطنة فى بلاد اليمن، وذلك أنه بعث جيشا إلى مكة ومعهم راجح بن قتادة الحسنى أخو حسن المتقدم فأخرجوا متوليها الأمير طغتكين نائب الملك الكامل، فهرب إلى ينبع، فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز إلى طغتكين جيشا كثيفًا مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ علَى ما قيل، فوصل إلى طغتكين ودخل إلى مكة مع الجيش فأخرجوا منها راجحا ومن معه من أهل اليمن، واستولى طغتكين على مكة وقتل خلقا كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له فى النوبة الأولى، وكان استيلاؤه [على مكة] فى رمضان سنة تسع وعشرين ـ بتقديم المثناة ـ وستمائة[١].

ثم وليها مع راجح بن قتادة، عسكر صاحب اليمن بغير قتال، وذلك فى صفر سنة ثلاثين وستمائة[٢].

أقول: لم يبين الفاسى من هو صاحب اليمن، والذى يظهر أنه الرسولى لأن الكلام الآتى يدل على ذلك. انتهى.

ثم وليها فى آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل، وكان المقدَّم عليه أميرًا يعرف بالزاهد، وأقام أميرًا بمكة يعرف بابن مجلى بميم ثم جيم[٣].

ثم وليها فى سنة إحدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، مع راجح بن قتادة[٤].

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٦ وما بين حاصرتين منه.
(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.
(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.
(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

أقول: لم يبين الفاسى من هو الملك المنصور، وهو عمر الرسولى، لأنه بعد أن بويع بالسلطنة لقب بالمنصور. انتهى.

ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفريل[١] - بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مثناة تحتية ثم لام - وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكرا كبيرا فيه ألف فارس، وقيل تسعمائة، وقيل خمسمائة وخمسة أمراء مقدمهم جفريل المذكور، واستمرت ولاية جفريل على مكة إلى سنة خمس وثلاثين وستمائة[٢].

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن فى هذه السنة وسار إليها بنفسه ودخلها فى رجب، بعد أن هرب جفريل ومن معه، وكان مع المنصور ألف فارس، ودامت ولايته إلى سنة سبع وثلاثين - بتقديم السين - ورتب بمكة مائة وخمسين فارسا، وجعل عليهم أميرين: ابن الوليد وابن التِّعِزى[٣].

ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر، لأنه جهز إليها جيشا ألف فارس معهم الشريف شِيحه - بشين معجمة مكسورة ثم مثناة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الوقف - صاحب المدينة الشريفة، فاستولوا على مكة بغير قتال. وذلك فى سنة سبع وثلاثين[٤].

ثم وليها عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، ولما قدم العسكر المذكور هرب الشريف شيحه ومن معه.

ثم وليها ثانيا عسكر الملك الصالح صاحب مصر فى سنة ثمان وثلاثين.

وكان ممن وليها للملك الصالح الأمير شهاب الدين أحمد بن التركمانى.

---

(١) والذى فى السلوك للمقريزى ١/ ١/ ٢٥٠ و ١/ ٢/ ٢٧٤: «جَغْريل» ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٦٠٢.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

(٣) وكذا لدى الخزرجى فى العقود اللؤلؤية ج١ ص٦٢ ومثله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ج ٣ ص ٥٥، وغاية المرام ج١ ص٦٠٣. وفى د: «ابن التغرى» ومثله لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٨.

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن، وذلك في سنة تسع وثلاثين، وسار بنفسه ودخل مكة في رمضان بعد أن فارقها عسكر الملك الصالح خوفا منه، ودامت ولايته إلى أن مات، وأمر على مكة في هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشلّاح[1]، وابن فيزور، وجعل الشريف أبا سعد بن علي بن قتادة الحسني بالوادي مساعداً لعسكره بعد أن استدعاه من ينبع وأحسن إليه، واستمر مملوكه الشلاح على نيابة مكة إلى سنة ست وأربعين وستمائة[2].

ثم ولي فيها ابن المسيب وعزل الشلّاح.

ثم ولي مكة الشريف أبو سعد [حسن] بن علي بن قتادة، بعد أن قبض على ابن المسيب في ذي القعدة، وقيل في شوال سنة سبع وأربعين - بتقديم السين - واستمر على مكة إلى أن قتل في أوائل شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة، وقيل في رمضان[3].

ثم وليها بعد قتله جماز بن حسن بن قتادة، وهو أحد قتلة أبي سعد، ودامت ولايته آخر يوم من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الذي كان يليها مع عسكر صاحب اليمن، واستمر متوليا إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة[4].

ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح واستمر إلى شوال من السنة المذكورة.

ثم وليها عمه إدريس بن قتادة وأبو نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة، واستمرت ولايتهما[5] إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين.

ثم وليها المبارز علي بن الحسن بن بِرْطَاس - بموحدة ثم راء وطاء مهملتين فألف وسين مهملة - من قِبَل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن، لأنه جهز ابن بِرْطَاس

---

(١) في المطبوع: «السلاح» بالسين المهملة، والمثبت رواية الفاسي الذي ينقل عنه المصنف، ومثلها لدى ابن فهد في غاية المرام ج ١ ص ٦٠٥.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٨.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩ وما بين حاصرتين منه.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٥) في المطبوع: «ولايتها»

المذكـور إلى مكة فى عسكر ومائتى فـارس فتحـارب هو وإدريس وأبو نمى ومن معهـما، فكان الظفر لابن برطاس، فـاستمـر على مكة إلى يوم السبت لأربع بقين من المـحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة[١].

فـوقع الحرب بين ابن بـرطّاس والأميـر ابن ادريس وأبى[٢] نمى فى الشهـر المذكور وسفكت الدماء بالحِجْر من المسجد الحرام وأسر ابن برطاس ففدى نفسه ثم خرج بمن معه من مكة واستمر الشريفان على مكة[٣].

ثم انفرد أبو نمى بالولاية فى سنة أربع وخمسـين لذهاب عمه ادريس إلى أخيه راجح ابن قتادة، ثم عاد إدريس لمشاركة أبى نمى[٤].

ثم ولى مكة أولاد حسن بن قتادة وأقاموا ستة أيام، وقبضوا على إدريس، ثم جاء أبو نمى وأخرجه منها ولم يقتل منهم أحـدا، واستمر أبو نمى وإدريس شريكين فى الإمرة إلى سبع وستين ـ بتقديم السين ـ وستمائة[٥].

ثم انفرد أبو نمى بالإمرة مدة يسيرة فى هذه الـسنة، ثم عاد شريكا لإدريس فى سنتهما هذه، واستـمرت ولايتـهمـا إلى ربيع الأول سنة تسع وستـين وسـتمائة ـ بتـقـديم المـثناة الفوقية.

ثم انفرد فيـها إدريس نحو أربعين يوما ثم قتـل فى السنة المذكورة بخُلَيْص[٦]. فوليها أبو نمى، واستمر إلى سنة سبعين وستمائة بتقديم السين[٧].

ثم وليها فى هذه الـسنة فى صفر الشريف جمـاز بن شيحه صاحب الـمدينة وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد أبو نمى إلى ولايتها بعد أربعين يوما من سنة سبعين.

أقول: مقتـضى هذا الكلام أن ولاية جماز وغانم الـمذكورين إنما هى أيام يسـيرة، إما

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «ابن».

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

(٦) خليص: قرية قريبة من مكة فى طريق المدينة المنورة.

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

عشرة أو أقل، لأن أبا نمى كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة، وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير أنها عشرة أيام أول يوم من صفر سنة سبعين، وإلا كانت أقل ويكون عود أبى نمى فى الحادى عشر من صفر من السنة لأنه بعد أربعين يوما والله الموفق.

واستمر أبو نمى على مكة فى عودة هذا بعد أن أخرج جمارا وغانما إلى سنة سبع وثمانين وستمائة ـ بتقديم السين ـ ثم عاد جماز بن شيحه المذكور إلى ولاية مكة فى أواخر هذه السنة وأقام مدة يسيرة ثم عاد أبو نمى واستمر إلى قبل وفاته بيومين. فعهد إلى ابنيه حميضة ورميثة بالإمرة بعده، وكانت وفاته فى يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة فكانت إمرته على مكة شريكا ومستقلا نحو خمسين سنة، واستقلاله بالإمرة يزيد على ثلاثين سنة شيئًا يسيرا.

وكان ممن ولى مكة فى ولاية أبى نمى وإدريس من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر، أمير يقال له شمس الدين مروان، وذلك بسؤال أبى نمى وعمه فى ذلك ليرجع أمرهما إليه، وكان ذلك فى سنة سبع وستين وستمائة[(١)].

وفيها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك فى سنة ثمان وستين وستمائة.

ثم وليها بعد موت أبى نمى ابناه حميضة ورميثة المذكوران وذلك فى سنة إحدى وسبعمائة فى صفر منها، واستمر إلى موسمها فقبض عليهما.

ثم وليها عوضهما أخواهما أبو الغيث وعُطَيفة وقيل بل محمد بن إدريس بن قتادة عوض عطيفة، وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس الجاشنكير ـ بجيم ثم ألف ثم شين معجمة فنون ثم كاف ومثناة تحتية وراء مهملة ـ الذى ولى السلطنة بعد ذلك بمصر فى سنة ثمان وسبعمائة. وكان فعله هذا تأديبًا لحميضة ورميثة لإساءتهما إلى أخويهما أبى الغيث وعطيفة.

ثم عاد حُمَيْضة ورُمَيْثة إلى إمرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة وقيل فى التى بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمرا متوليين إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة[(٢)].

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٢.

ثم وليها أبو الغيث بن أبى نُمَىّ من قِبَل الملك الناصر أيضًا فحاربه حميضة فظفر بأبى الغيث فقتله واستمر على مكة إلى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة[١].

ثم وليها رُمَيْثة فى السنة المذكورة من الناصر، واستمر إلى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول ثمان عشرة[٢].

ثم وليها حُمَيْضة واستمر إلى أوائل سنة تسع عشرة.

ثم وليها عُطَيْفة بن أبى نَمَىّ من قِبَل الملك الناصر، ودامت ولايته على مكة إلى أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، غير أن أخاه رميثة فى بعض السنين المذكورة شاركه فى الإمرة، ثم انفرد رميثة بالإمرة وذلك فى ربيع الآخر أو جمادى من سنة إحدى وثلاثين، واستمر إلى سنة أربع وثلاثين، ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال، ثم انفرد رميثة أيضا بالإمرة فى سنة أربع وثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر إلى موسم سنة خمس وثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته فى هذا التاريخ واستمر إلى أثناء سنة ست وثلاثين، فحصلت بينهما منافرة، فانفرد عطيفة بمكة وأقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا فى سنة سبع وثلاثين بتقديم بالسين.

ثم انفرد رميثة فى هذه السنة بالإمرة واستمر إلى سنة ست وأربعين وسبعمائة.

ثم وليها عجلان بن رُمَيْثة بمفرده من قِبَل الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم من أخيه الكامل شعبان، وذلك بعد وصول عجلان إلى القاهرة، فعاد متوليا فى شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين فى حياة أبيه، ثم مات أبوه فى ذى القعدة من هذه السنة واستمر إلى سنة ثمان وأربعين[٣].

ثم وليها معه أخوه ثقبة[٤] ودامت ولايتهما إلى سنة خمسين وسبعمائة.

ثم استقل ثقبة بالإمرة فى سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر.

ثم وليها عجلان فى خامس شوال سنة خمسين، واستمر إلى موسم سنة اثنتين وخمسين.

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٢.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٤.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «ثنية».

ثم وليها ثقبة بمفرده فى هذه السنة فلم يمكنه عجلان، ثم اتفقا على المشاركة، ثم استقل ثقبة بالإمرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد أن قبض على أخيه عجلان واستمر إلى أن قبض عليه فى موسم سنة أربع وخمسين.

ثم وليها أخوه عجلان بمفرده واستمر إلى تاسع عشر المحرم من سنة سبع وخمسين بتقديم السين.

ثم انفرد ثقبة بالإمرة فى ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة، ثم اشتركا فى الإمرة فى موسم سنة ثمان وخمسين واستمرا إلى أن عزلا فى أثناء سنة ستين وسبعمائة.

ثم وليها أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبى نمى، وكان محمد بمصر فوصل بعسكره إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة ستين، واستمر إلى سنة إحدى وستين وسبعمائة، فزالت ولاية محمد بن عطيفة.

ثم اشترك ثقبة مع أخيه سند فى الإمرة إلى أن كان شهر شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

ثم ولى مكة فى هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر، فأطلق وأخوه ثقبة بسؤال السيد عجلان له فى ذلك، ثم خرج عجلان من مصر وكان ثقبة مريضا، فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات ثقبة فى شهر شوال سنة اثنتين وستين، فاشترك معه ابنه أحمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه فى خاصة نفسه، وعلى عجلان كفاية العسكر. ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابنه أحمد إلى سنة أربع وسبعين.

ثم انفرد أحمد بن عجلان بالإمرة بسؤال أبيه عجلان له بشروط شرطهما عليه أبوه، منها: أن لا يقطع[1] اسمه فى الخطبة والدعاء على زمزم إلى غير ذلك فوفى له أحمد بذلك[2].

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى سنة ثمانين وسبعمائة، ثم وليها معه ابنه محمد بن

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أن لا يقع».
(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٦.

أحمد بسؤال أبيه ولم يظهر لولايته أثر لصغـره واستبداد والده بالأمر، واستمرا إلى أن مات أحمد بن عجلان فى حادى عشرى شعبان سنة ثمان وثمانين[١].

ثم استـقل محمـد بالإمرة إلى أن فاز بالشـهادة فى مسـتهل شهر ذى الحـجة من هذه السنة، وسببه أنه حضر لخدمة المحمل فى يوم العرضة على العادة، وكان عمه كبيش أشار إليه بعدم الحضور لأنه كان مدبر أموره فلم يسمع منه فقتل، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ثم وليهـا بعد قتل محـمد: عنان بن مغامس بن رُمَـيْثة بن أبى نُمَى، وأشرك مـعه فى الإمرة بنى عمـه: أحمد بن ثقبـة وعقيل بن مبارك بن رُمَـيْثة، وأخاه على بن مـبارك وكان يُدْعَى لهؤلاء الثلاثة معـه على زمزم، واستمر عنان وشركاؤه إلى شهر شـعبان تسع وثمانين وسبعـمائة فبلغ السلطان ما حصل من الفـتن وعدم الأمن بسبب تخبـيط كبيش على عنان، فعزل عنانا فى هذا التاريخ[٢].

ثم وليهـا بعد عزله على بن عـجلان، فلم يمكنه عنان من مكة، فـاجتمع آل عـجلان ومعـهم كبيش واقتـتلوا، فقتل كبـيش وغيره، وانهـزم على بن عجلان وتوجه إلى مـصر، ودخل عنان مكة واستولى عليها إلى موسم سنة تسع وثمانين.

ثم عاد على بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل، فلم يحضـره خشيـة من آل عجـلان، ثم سافر إلى مـصر فى أثناء سنة تسـعين فانـفرد على بن عجـلان بالامـرة إلى أثناء سنة اثنتين وتسـعين، ثم شـاركه عـنان بولاية من الملك الظاهر برقوق، وكان الشرفاء مع على والقواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغى، واستمرا كذلك إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ثم انفرد بـها على بن عجـلان، ثم استـدعاه السلطان هو وعنانا للحـضور إلى مـصر فتوجه عنان أولا ثم لحقه على وترك على مكة عوضه أخاه محمد بن عجلان، ثم عاد على إلى مكة فى موسم سنة أربع وتسعين منفردا بولاية مكة واسـتمر إلى أن استشهد فى تاسع شوال سنة سبـع ـ بتقديم السين ـ وتسعـين، وكان فى غالب ولايته مـقلوبا مع الأشراف، وأفضى الحال إلى أن قل الأمان بمكة ونواحيـها وهربت التجار إلى ينبع، ولحق أهل مكة

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٧.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٧.

بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد واستمر إلى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة.

ثم ولى مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصر سنة سبع وتسعين، فاعتقله السلطان، فلما قتل أخوه أطلقه وأنعم عليه بولاية مكة فقدم مكة فى السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد، وأخذ بثار أخيه على من الأشراف فى الحرب الذى كان بالزَّبَّارَة[1] بوادى مَرّ فى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال من السنة المتقدمة، وكان عدة من قتل من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا، ولم يُقتل من جماعة السيد حسن إلا واحد أو اثنان[2].

واستمر السيد حسن منفردا بالولاية إلى سنة تسع - بتقديم المثناة - وثمانمائة، ثم أشرك معه فى الإمرة ابنه السيد بركات، واستمر إلى أثناء سنة إحدى عشرة وثمانمائة، ثم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن فى أن يكون شريكا لأخيه السيد بركات وتكون الإمرة بينهما فأجيب إلى ذلك.

وولى السيد حسن نيابه السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وصار يدعى له فى الخطبة بمكة وعلى زمزم، ودامت ولايتهم إلى أثناء صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة.

ثم ولى ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة، ولم يصل إلى مكة إلا فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة، واستمر متوليا إلى ثامن رمضان سنة تسع عشرة.

ثم عاد السيد حسن بن عجلان لإمرة مكة بمفرده دون ولديه، فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن، وكان الظفر لعسكر السيد حسن، واستمر السيد حسن متوليا إلى أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

---

(١) الزبارة: قرية لبنى عميسر فى واد مر. تقع بعد التقاء النخلتين، وعندهما أخذ الوادى اسمها. وقد تحرف فى المطبوع إلى «الزيارة» بالياء، وهو تحريف قبيح. صوابه من: د وغاية المرام ج٢ ص٢٥٣.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٩.

ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد صاحب مصر، ودامت ولايتهما إلى أوائل سبع - بتقديم السين - وعشرين وثمانمائة.

ثم ولى مكة السيد على بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسنى بمفرده، بولاية من قبل الملك الأشرف برسباى، وكان بمصر فقدم مكة صحبة العسكر الأشرفى واستمر متوليا إلى أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين[١].

ثم أعاد الأشرف برسباى: السيد حسن إلى إمرة مكة ورضى عنه، وتوجه السيد حسن بعد انقضاء الحج إلى مصر، فنال من السلطان إكراما كثيرا وأقره على إمرة مكة، واستمر بمصر إلى أن مرض بها وتوفى فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان تجهز للسفر إلى مكة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته[٢].

ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد وفاة أبيه، وكان السلطان قد استدعاه إلى مصر، فقدم عليه فى ثالث رمضان، ففوض إليه إمرة مكة عوضًا عن أبيه فى السادس والعشرين من رمضان المذكور واستمر أخوه السيد إبراهيم نائبًا عنه، ولبس خلعة النيابة بمصر ثم توجه السيد بركات إلى مكة فوصلها فى أوائل العشر الأوسط من ذى القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسى فى شأن أمراء مكة.

ثم قال رحمه الله ما صورته: هذا ما علمناه من خبر ولاة مكة فى الإسلام، وقد أتعبنا فى تحصيل ذلك الاجتهاد، وما ذكرناه من ذلك غير واف بكل المراد، لأنه خفى علينا جماعة من ولاة مكة، وخصوصًا ولاتها من زمن المعتضد إلى ابتداء ولاية الأشراف فى آخر خلافة المطيع العباسى وخفى علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها، ومع ذلك فهذا الذى ذكرناه من ولاة مكة ليس له فى كتاب نظير، والذى لم نذكره من الولاة هو اليسير، وسبب الإقلال[٣] فى ذلك والتقصير، أنّا لم نر مؤلفا فى هذا المعنى فنستضىء به لعدم العناية بتدوين ذلك[٤]. انتهى كلامه.

---

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٤.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) فى الأصلين: «الإخلال» والمثبت رواية الفاسى.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٥.

واستمر السيد بركات بعد موت الفاسى على ولاية مكة إلى أثناء سنة خمس وأربعين وثمانمائة، فعزل عن ذلك.

ثم وليها أخوه السيد على بن حسن[١]، وكان بالقاهرة، فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان، واستمر متوليا إلى رابع شوال سنة ست وأربعين، فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم.

ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن، فقدم من مصر متوليا، ودخل مكة فى يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة، واستمر على ولايته إلى أوائل سنة خمسين، فعزل.

ثم أعيد السيد بركات بن حسن إلى ولاية مكة، ودامت ولايته إلى أن مرض وتوعك بدنه وذلك سنة تسع وخمسين ـ بتقديم المثناة الفوقية ـ وثمانمائة، فسأل نائب جدة الأمير جَانِبَك الظَّاهرى[٢] بأن يرسل إلى السلطان يسأله فى ولاية إمرة مكة لولده السيد محمد عوضًا عن أبيه، فأجاب السلطان إلى ذلك، فقبل وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين بأرض خالد بوادى مر، وحمل على أعناق الرجال إلى مكة، ودفن بها فى صبح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان.

فلما كان عصر اليوم المذكور، وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد إمرة مكة، فدعى له على زمزم بعد المغرب من ليلة الأربعاء حادى عشر شعبان.

ثم وصل السيد محمد إلى مكة ليلة الجمعة سابع رمضان، وقرئ مرسومه فى صبحها.

ثم كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل إلى السيد محمد كتاب من السلطان بالعزاء فى والده، وتوقيع باستمراره فى الإمرة مؤرخ بشهر رمضان، واستمر السيد محمد رحمه الله على ولاية مكة، ودانت له البلاد، وأطاعه العباد، وأظهر العدل والإحسان

---

(١) انظر فى السيد على بن حسن: غاية المرام ج ٢ ص ٤٨٧.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «الطاهرى» بالطاء المهملة. وصوابه من: د وابن فهد فى غاية المرام.

والشفقة والرأفة على الرعية والالتفات فى أمور المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته وطابت سريرته، وكانت مدة ولايته ثلاثًا وأربعين سنة ونصف سنة إلا خمسة أيام أو نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على عوائدهم، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى فى الحادى والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الابهار، وحمل إلى مكة ودفن بها.

ثم وليها بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى رابع ربيع الآخر من سنة ثلاث، واستمر على ولايتها إلى أن كان موسم سنة ست وتسعمائة.

فوليها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه وبين أخيه السيد بركات فى الموسم المذكور بمحل يقال له وادى الجموم[١] بمر الظهران، فانهزم السيد بركات، ودخل السيد هزاع مكة وحج بالناس، ثم خرج منها بعد انقضاء الحج إلى ينبع خوفا من أخيه بركات لقلة عسكره، فعاد السيد بركات إلى مكة، واستمر بها إلى جمادى الثانية عام سبع - بتقديم السين - وتسعمائة، فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم وتحارب هو وأخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقاء[٢] فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد هزاع ثانيا، واستمر إلى خامس عشر رجب ثم توفى إلى رحمة الله تعالى[٣].

ثم عاد السيد بركات إلى مكة، واستمرت الفتن والشرور بينه وبين أخيه السيد أحمد جازان وتحاربا مرارا، وكان ابتداء ذلك من أواخر ذى الحجة عام سبع وتسعمائة، إلى أن كان يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال عام ثمان وتسعمائة، فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى إبراهيم وغيرهم، ووقع الحرب بينه وبين أخيه السيد بركات، فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد جازان ودخل مكة فى يوم السبت المذكور، ونهب عسكره مكة وفعلوا أفعالا قبيحة، وانتهكوا حرمة البيت، وجرى منهم على مكة وأهلها أمور شنيعة ليس هذا

---

(١) منائح الكرام ج ٣ ص ١٠٥.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «البرفاء» بالفاء، وصوابه من: د، و منائح الكرم ج ٣ ص ١١٠.

(٣) منائح الكرم ج ٣ ص ١١٠ - ١١١.

محل ذكرها ولا نحن بصددها، واستمر السيد جازان بمكة إلى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة، فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغورى، وباشتها الأمير الكبير المعروف بِقِيتْ الرَّجَبِىّ - بالجيم ثم الموحدة - بسبب ما فعله السيد جازان من نهب مكة، ونهب الحاج الشامى والمصرى، فخرج من مكة هاربا.

فعاد السيد بركات إلى مكة وواجه أمير التجريدة، فقبض عليه وتوجه به إلى القاهرة فى أوائل سنة تسع وتسعمائة.

ثم عاد السيد جازان إلى مكة، واستمر بها إلى يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع، فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف.

ثم وليها بعده السيد حميضة بن محمد، واستمر إلى أواخر المحرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة، فعزل.

ثم وليها أخوه السيد قايتباى بن محمد بإشارة من أخيه السيد بركات، واستمر متوليا موافقا لأخيه السيد بركات مستضيئًا برأيه إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى يوم الأحد الحادى والعشرين من صفر عام ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادى مر، وحمل إلى مكة ودفن بها.

ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة إلى شهر شعبان من هذه السنة. ثم أرسل ولده مولانا السيد أبا نمى بن بركات إلى الديار المصرية، فوصلها وقابل السلطان قانصوه الغورى، فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بإمرة مكة، ثم عاد إليها شريكا لأبيه، وكان وصوله فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدى الحاج من السنة المذكورة، واستمر كذلك إلى أن كان عام ثلاث وعشرين فاستولى مولانا الخنكار[1] الأعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين، وجهز قاصدًا إلى مكة للسيد بركات والسيد أبى نمى باستقرارهما على إمرة مكة، فتجهز حينئذ مولانا السيد أبو نمى وسافر إلى القاهرة، وقابل السلطان فأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على إمرة مكة.

ثم عاد إلى مكة، واستمر شريكا لأبيه إلى أن أذن الله بوفاة مولانا السيد بركات فى

(١) الخنكار: أحد ألقاب السلطان العثمانى، وتعنى: مبدع العالم.

أثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام عام أحد وثلاثين وتسعمائة رحمه الله وأسكنه جنته.

ثم وليها بعده ابنه السيد أبو نمى أدام الله أيامه بمفرده، ووصلت الأحكام الخنكارية السليمانية بولايته لإمرة مكة فى أواخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، فاطمأنت به الخواطر، وقرت النواظر، واستمر أدامه الله ومتع المسلمين بحياته منفردا بالولاية إلى عام ست وأربعين وتسعمائة.

ثم وليها ابنه مولانا السيد أحمد شريكا لوالده فى هذا العام بعد وصوله إلى الديار الرومية ومقابلته لمولانا الخنكار الأعظم والخاقان الأكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه وأدام أيامه، فقوبل بالإكرام والرعاية والاحترام، وعاد إلى مكة فى أول ربيع الأول عام سبع وأربعين وتسعمائه، واستمر شريكا لوالده مولانا السيد أبى نمى إلى عامنا هذا، وهو عام خمسين وتسعمائة، متع الله بحياتهما وأدام أيامهما وخلدهما خلود الدهر وأمدهما بالتأييد والنصر آمين.

هذا ما وقفت عليه فى ذكر أمراء مكة من عهد النبى ﷺ إلى يومنا هذا والله تعالى أعلم.

الخاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

فى ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة

التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وحرمها

وضواحيها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك

أما المواليد فمنها وهو أجلها: مولد سيدنا رسول الله ﷺ فنبدأ به وهو بمكة فى المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبى ﷺ[1].

وكان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه زمن الهجرة، وفيه وفى غيره أشار ﷺ بقوله فى حجة الوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل، ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج، فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء، ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى الهادى العباسى وأخيه هارون الرشيد، فأخرجته وجعلته مسجدا يصلى فيه[2].

وكون هذا المكان مولده ﷺ مشهور متوارث يأثره الخلف عن السلف، وجرت العادة بمكة فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول فى كل عام أن قاضى مكة الشافعى يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب فى جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء، وذوى البيوت بفوانيس كثيرة، وشموع عظيمة وزحام عظيم، ويدعى فيه للسلطان ولأمير مكة، وللقاضى الشافعى بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام، ثم يعود منه إلى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة الفراشين، ويدعو الداعى لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء، ثم يصلون العشاء وينصرفون.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣١.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٩٨، شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣١.

ولم أقف على أول من سن ذلك، وسألت مؤرخي العصر فلم أجد عندهم علما بذلك.

ومن فضائل هذا المحل المبارك ما نقله الأزرقي عمن كان ساكنا به قبل أن تخرجه الخيزران أنه قال: والله لم يصبنا فيه منذ سكناه لا جائحة ولا حاجة حتى خرجنا منه فاشتد علينا الزمان(١). انتهى بمعناه.

وقد ذكر السهيلي أنه ﷺ ولد بالشّعب، وقيل بالدار التي عند الصفا التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت(٢). انتهى. وهو غريب.

ونقل مغلطاي في «سيرته» ما ذكره السهيلي، ثم قال ويقال ولد بالردم، ويقال بعُسْفان. انتهى بمعناه(٣). وهو أغرب.

والمراد بالردم: ردم بني جمح لا الذي بأعلى مكة لأن ذلك لم يكن إلا في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. ويعرف الآن بالمدعى ونسبة الأول لبني جمح هو أنهم قتلوا وردم عليهم التراب هنالك(٤). ولم أقف على تعيين محله بمكة ولا رأيت من ذكره، والمعروف المشهور في مولده ﷺ هو الأول الذي بسوق الليل، ولا اختلاف فيه عند أهل مكة.

ومنها: مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله ﷺ ورضي عنها، وهو في دار أمها خديجة رضي الله عنها بمكة في الزقاق المعروف بزقاق الحِجْر. وسماها الطبري دار خزيمة بمعجمتين(٥).

قال الأزرقي: وهذه الدار كان يسكنها رسول الله ﷺ مع خديجة، وفيها ابتنى بها، وولدت جميع أولادها، وتوفيت بها، ولم يزل النبي ﷺ ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة، فاستولى عليها عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ١٨٤.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى ورقة ٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٢، الزهور المقتطفة ص ١٥٦.

(٥) القرى لقاصد أم القُرى ص ٦٦٤.

مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبيه أبى سفيان التى قال فيها ﷺ يوم الفتح: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن(١) . انتهى.

وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة، وموضع مسقط رأسها معروف فيها، قال الفاسى رحمه الله: ولا ريب فى كون فاطمة رضي الله عنها ولدت فى هذه الدار(٢) . انتهى.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لها قبة الوحى وإلى جنبها موضع يزوره الناس يسمى المختبأ زعموا أن النبى ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك.

قال الأزرقى: سألت جدى ويوسف بن محمد بن إبراهيم وغيرهما من أهل العلم بمكة عن ذلك فأنكروه. انتهى. ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، قاله المحب الطبرى(٣) .

ومنها: مولد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وهو بالمحل المعروف بشعب على وهو مقابل لمولد النبى ﷺ من أعلاه مما يلى الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلى بابه حجر مكتوب عليه: هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وفى هذا المحل تربى رسول الله ﷺ(٤) . وفى هذا المحل موضع كالتنور يقال إنه مسقط رأسه رضي الله عنه. ونقل الجد عن سعد الدين الإسفراينى أن فى جدار هذا المحل بالزاوية حجراً يقال إنه كان يكلم النبى ﷺ ، وقيل: إن مولد سيدنا على رضي الله عنه فى جوف الكعبة. وضعفه النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات».

ومنها: فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ، وهو بأسفل مكة على طريق الذاهب إلى بركة الماجن بالنون وأهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ. قال الفاسى رحمه الله: ولم أر شيئًا يدل بصحة ذلك، بل فى صحته نظر، لأن هذا الموضع ليس محلا لبنى هاشم والله أعلم(٥) . انتهى.

ومنها: غار لطيف فى أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير بن يس

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٩٩ .
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٤.
(٣) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٤.
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٥.

الحضرمي المعروف عند أهل مكة بجبل النوبى أسفل مكة ويسمى ثبير الزنج. كما سيأتى. يقال: إن سيدنا عمر بن الخطاب ولد به. قال الفاسى: ولا أعلم فى ذلك شيئًا يستأنس فيه إلاّ أنّ جَدّى لأمّى[١] القاضى أبا الفضل النويرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول فى كل سنة فى الغالب. والله أعلم بحقيقة ذلك[٢].

ومنها: موضع بالدار المعروفة بدار أبى سعيد وتعرف أيضًا بدار الدقوقى ـ بقافين بينهما واو ـ بالقرب من دار العجلة، يقال له مولد جعفر الصادق. ونقل الفاسى رحمه الله: أن على بابه حجرا مكتوبا عليه: هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبى ﷺ ثم قال: ويقال له: جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه، والله أعلم بحقيقة ذلك[٣]. انتهى.

ذكر الدور المباركة

ومنها: دار أبى بكر الصديق رضي الله عنه وهى بزقاق الحجر معروف عند أهل مكة، وعلى بابها حجر مكتوب فيه: هذه دار صاحب رسول الله ﷺ فى الغار ورفيقه فى الأسفار أبى بكر الصديق[٤].

وتسمى أيضًا بدكان أبى بكر، يقال: إنه كان يبيع فيه الخز، وأسلم فيه جمع من الصحابة، منهم: على وعثمان وطلحة والزبير. وفى جدار هذا المكان أثر مرفق النبى ﷺ ولهذا يسمى بزقاق المرفق أيضًا.

ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس بلمسه، يقال: إنه كان يسلم على النبى ﷺ كلما اجتاز عليه. قال الفاسى رحمه الله: وهذا الحجر إن صح سلامه على النبى ﷺ، فلعله المعنى بقوله ﷺ: إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ ليالى بُعثت[٥].

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «لاقى» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٥.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٦.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٨.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٩، والحديث أخرجه مسلم رقم ٢٢٧٧ فى كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

وفى «الشفاء» قيل: إنه الحجر الأسود، واستبعده المحب الطبرى.

ومنها: دار خديجة زوج النبى ﷺ، وهى التى يقال لها مولد فاطمة. وقد تقدم الكلام عليها آنفًا وبيان محلها مستوفى، وإنما ذكرتها هنا ليعلم أنها من جملة الدور المباركة، وإنما غلب عليها اسم المولد واشتهرت به.

ومنها: دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا، والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها، لأن النبى ﷺ كان مستترا فيه فى مبدأ الإسلام، وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما. ومنه ظهر الإسلام، وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير. وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدى العباسى المتقدمة آنفًا[1].

أقول: ولعله لهذا السبب نسبت الدار إليها والله أعلم. انتهى.

ومنها: دار العباس بن عبد المطلب ؓ التى هى الآن رباط للفقراء بالمسعى المعظم، وفى جدارها أحد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى[2].

ومنها: الموضع المعروف برباط الموفق، واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة لسكناهم به، وهو أسفل مكة عند سوق باب إبراهيم. قال الفاسى رحمه الله: وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبا عبد الله بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول: ما وضعت يدى فى حلقة هذا الرباط إلا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده فى هذه الحلقة. ثم قال: وبلغنى أن الشيخ خليلا المالكى كان يقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر إتيانه للدعاء[3]. والله أعلم انتهى.

ومنها: الموضع الذى يقال له معبد الجنيد بِلِحْفِ الجبل الذى يقال له الأحمر، أحد أخشبى مكة. قال الفاسى رحمه الله: ويقال له الآن قعيقعان[4] وجبل أبى الحارث[5] أيضًا. انتهى.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠. (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠ و ٤٤١.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «تعيقان» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١.

وهو الآن مشهور عند أهل مكة بجبل جزل. ونقل الجد أنه معبد إبراهيم بن أدهم على ما قيل، والله أعلم.

ذكر المساجد

وهي كثيرة، ذكرها من المتقدمين الأزرقي وغيره، وتبعه من المتأخرين الطبري والفاسي وغيرهما. منها ما هو موجود معروف إلى يومنا هذا. ومنها ما هو داثر لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الأزرقي ثم تبعه الطبري والفاسي ولم يبينا أمرها فيتوهم أنها موجودة.

ومنها: ما ذكره الأزرقي والفاسي منفردا عن المساجد التي تقصد بالزيارة.

وقد رأيت أن أذكر أولا المساجد المعروفة إلى وقتنا هذا المستحب زيارتها، ثم أعقبها بالداثرة ثم أنبه على ما ذكره منفردا، ثم أذكر ما لم يذكره الأزرقي والفاسي فأقول:

أما المساجد المعروفة فمنها مسجد بأعلى مكة عند الردم وهو المدعى، عرفه الطبري بمسجد الراية[١]، ويعرف بذلك إلى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة أبي شامة، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه كما نقله الأزرقي، وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بناه[٢].

ومنها: مسجد بقرب المجزرة الكبيرة عند المدعى على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها ويقال: إن النبي ﷺ صلى فيه المغرب، كما هو مكتوب بحجرين هنا.

ومنها: مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبي ﷺ يقال له المختبأ يزوره الناس كثيرا في شهر ربيع الأول كغيره من المحال التي تزار، قال الفاسي: ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئًا من خبره[٣].

ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان، وأن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الكفار وعزاه إلى كتاب «الكوكب المنير» لنصر الله.

---

(١) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤.

(٢) الزهور المقتطفة ص ١٥٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٩.

ومنها: مسجد على جبل أبى قبيس يقال له مسجد إبراهيم، وليس المراد به الخليل عليه السلام، وإنما هو إبراهيم القبيسى، إنسان كان يسأل عنده. ذكره الأزرقى[١].

ومنها: مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق ﷺ: يقال: إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة[٢]، ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن.

هذه المساجد التى بمكة وأما التى فى خارجها فمنها: مسجد يقال له مسجد البيعة ومسجد الجن. قال الأزرقي: ويسميه أهل مكة مسجد الحرس، لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف حتى يتوافى عنده حرسه وعرفاؤه، فإنهم يأتونه من شعب ابن عامر ومن ثنية المدنيين، فإذا توافوا رجع منحدرا إلى مكة، وهو فيما يقال موضع الخط الذى خطه رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة اجتمع عليه الجن وبايعوه ﷺ كما يقال[٣] انتهى. وشهرته بمسجد الحرس مستمرة إلى وقتنا هذا.

ومنها: مسجد يعرف بمسجد الإجابة، على يسار الذاهب إلى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر، كذا عرفه الفاسى[٤] رحمه الله. وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا، يقال إن النبى ﷺ صلى فيه والله أعلم.

ذكر المساجد التى فى منى وجهتها

منها: مسجد يقال له مسجد البيعة وهى التى بايع فيها رسول الله ﷺ الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير. وهو بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة فى شعب على يسار الصاعد إلى منى[٥].

ومنها بمنى مسجد يقال له مسجد النحر، بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة، يقال: إن النبى ﷺ صلى فيه الضحى ونحر هديه عنده، كذا وجد فى حجر مكتوب فيه ذلك[٦].

ومنها: مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير، وهو

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.
(٢) الزهور المقتطفة ص ١٥٣.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٠.
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٩.
(٥) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.
(٦) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.

مشهـور. والمراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح إسـماعيل أو إسحـاق على الخلاف فى ذلك. ونقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعـالى ما يقتضى أن الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين. ويؤيده ما أخرجـه الطبرى عن ابن عباس أن النبى ﷺ نحر فى منحر الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى[1] به. ثم بينه الطبرى فقال: وذلك فى سفح الجـبل المقـابل له - يعنى ثبيـرا - وأراد بذلك الموضع الذى عند مـسجـد النحر المتقدم آنفًا والله أعلم بالحقائق.

ومنها: مسجد عائشة رضي الله عنها وهو بسفح ثبير أيضا فوق مسجد الكبش المذكور. وهو غار لطيف عليه بناء دائر ويسمى معتكف عائشة وبيت أم المؤمنين.

ومنها: مسجد الخيف المشهور بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل وقد وردت فى فضله أحاديث وآثار فـمن ذلك ما أخـرجه الطبرانى فى «مـعجمـه الأوسط» عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف والمسجد الحرام، ومســجدى» وإسناده ضعيف كما نص علـيه الحفاظ. وإنما ذكرته لغـرابته ولجواز العمل به فى فضائل الأعمال كما ذكـره النووى وغيره من علماء الحديث. وأخرج أيضًا فى «معجمه الكبـير» عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال «صلى فى مسجـد الخيف سبعون نبيا منهم موسى» وكذا أخرجه الأزرقى أيضا. وفى رواية عن مجـاهد خمـسة وسبعون نبيا، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: فى مـسجد الخيف قبر سبعين نبيا[2].

وأما الآثار: فروى الشيخ الـعلامة مجد الدين صاحب «القامـوس» فى كتابه «الوصل والمنى فى بيان فـضل منى» بسند جيد عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه كـان يقول لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منـى كل سبت. وأخرج الأزرقى عن أبى هريرة بلفظ: لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت. وفى آخر عنه أخرجه الجندى: لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى على سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلى فيه[3].

وأما تعييـن مصلى النبى ﷺ من مسجد الخيف فـأخرج الأزرقى بسنده إلى جده أن

(١) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٤.

الأحجار التى بين يدى المنارة هى موضع مصلاه ﷺ[(١)]. والمراد بالمنارة هى الصغيرة التى فى وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التى على الباب، والمحراب الذى فى القبة هو موضع مصلاه ﷺ، لأنه فى موضع الأحجار التى ذكرها الأزرقى[(٢)]. كذا نقله الجد رحمه الله.

ومنها: بِلحْف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بالضب ـ بمعجمة وموحدة ـ نقله الصغانى. وبالصفايح أيضا ـ بصاد مهملة آخره تحتية ومهملة ـ وقيل: الصابح ـ بمهملتين بينهما ألف وموحدة قاله الأزرقى ـ مسجد لطيف يمانى مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال إنه أثر رأس الرسول ﷺ.

أخرج ابن جبير أن النبى ﷺ جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس، فصار الناس يبادرون بوضع رءوسهم فى هذا الموضع تبركا واستجارة لرءوسهم بموضع مسه الرأس الكريم أن لا تمسها النار برحمة الله عز وجل[(٢)]. انتهى.

ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به إلى هذا الوقت وفى «صحيح البخارى[(٣)]» فى باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود أنه قال «بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ وإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها مِنْ فيه وإنّ فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبى ﷺ: اقتلوها فابتدرناها فذهبت. فقال النبى ﷺ: وُقِيَتْ شرَّكم كما وُقِيتُم شرَّها».

فائدة: من عجيب الاتفاق أن الشيخ مجد الدين الشيرازى صاحب «القاموس» دخل إلى الغار فى جماعة أصحابه وقرأوا سورة المرسلات، فخرجت عليهم منه حية، فابتدروها ليقتلولها فهربت[(٤)].

ومنها: مسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام، وهو مشهور لا يحتاج إلى مزيد بيان،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٧٤.

(٢) رحلة ابن جبير ص ١٤١.

(٣) ج ٤ ص ٢٩ فى الحج، باب ما يقتل من الدواب.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٢.

وعرفه الأزرقى بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام[١] . وجزم به الرافعى والنووى، وخالف ابن جماعة، وقال ليس لذلك أصل، وتبعه الإسنوى على ذلك، قال الفاسى: وفيه نظر لمخالفتهما ما يقتضى كلام الأزرقى وهو عمدة فى هذا الشأن. انتهى[٢] .

ومنها: مسجد التنعيم الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعد حجها عام حجة الوداع، واختلف فيه، فقيل هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة[٣] بشجرة كانت فيه. قال الفاسى: وهو المتعارف عند أهل مكة وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، وقيل هو المسجد الذى بقربه بئر وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له مسجد [على] بطريق وادى مَرّ. وفى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها بما يشهد لذلك، والخلاف قديم انتهى. ورجح الطبرى أنه الذى بقربه البئر[٤] .

فائدتان:

الأولى: إنما سمى هذا المحل التنعيم لأن على يمينه جبلا يقال له نعيم وعن يساره جبلا يقال له ناعم، والوادى الذى بينهما نعمان كذا قيل.

الثانية: نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على أودية كثيرة لأعراب مكة وغيرهم. قال البغوى وغيره من المفسرين: إنه واد مقدس وفيه أخذ الله العهد.

ومنها: مسجد الجعرانة، وهو الذى أحرم منه النبى ﷺ بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة، وموضع إحرامه من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى. أخرجه الأزرقى عن مجاهد ﷺ. وكذا ذكره الواقدى أيضًا. واختلف فى إحرامه ﷺ متى كان، والراجح أنه ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة عام الفتح. والجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء وفتحها. وقيل بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات»[٥] .

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.   (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٨٦ وما بعدها.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «الهليجة» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٩ وما بين حاصرتين منه.

(٥) ق ٢ ج ١ ص ٥٨ ولديه: «بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى والأصمعى، وأهل اللغة ومحققى المحدّثين وغيرهم، ومنهم من يكسر العين ويشدد الراء وهو قول أكثر المحدّثين، قال صاحب مطالع الأنوار: أصحاب الحديث يشددونها، وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويخففون وكلاهما صواب».

فوائد:

الأولى: أخرج الجندى فى «فضائل مكة» بسنده إلى يوسف بن مـاهك أنه قال: اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبى وكذا ذكره الفاكهى[١] أيضًا.

الثانية: فى جهة الجعرانة ماء شديدة العذوبة يقال: إن النبى ﷺ فحص موضع الماء بيده المبـاركة، وقيل: إنه غرز فـيه رمحه الميمون فنبع الماء من ذلك المـحل فشرب منه النبى ﷺ وسقى الناس أخرجه الفاكهى[٢].

الثالثة: إنما سميت الجعرانة باسم امرأة من قـريش يقال لها رابطة ـ براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية ـ بنت كعب ولقبها جِعْرَانة، وهى أم أسد بن عبد العزى. وعن ابن عباس رضي الله عنه إنما هى التى نزل فيـها قوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾[٣] الآية (سورة النحل: ٩٢).

ومنها: مسجـد يقال له مسجد الفـتح بالقرب من الجموم من وادى مرّ، وهو مـشهور بهذا الاسم إلى هذا الزمان، يقال: إن النبى ﷺ صلى فيه والله أعلم[٤].

فهذه المساجد كلهـا معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها فى أوقات مخـصوصة وبعضها مطلقا.

وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى ولـم تعرف ولم تعرف الآن فخمسة مساجد:

الأول: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامـر المعروف الآن بشعب عامر ـ بدون لفظ ابن ـ وحـرف دار رابغـة فى أصله[٥] كذا عـرفه الأزرقى، ثم قـال: إن عنده قرن مـسقلة رجل[٦] كان يسكن ثم فى الجاهليـة، وأن النبى ﷺ بايع الناس عنده يوم الفتح[٧] وهذا

---

(١) اخبار مكة للفاكهى ج ٥ ص ٦٢.　　(٢) اخبار مكة للفاكهى ج ٥ ص ٦٩.

(٣) الذى لدى الفاسى: «نزلت فى امرأة من قريش من بنى تيم بن مُـرّة يقال لها: ريطة بنت كعب، ولقبها جعرانة، وهى أم أسد بن عبد العزى.

(٤) شفاء والغرام ج ١ ص ٤٣٠.

(٥) تحرف فى المطبـوع إلى: «دار زائغة فى أصل» وهو تحريف قبـيح صوابه لدى الأزرقى الذي ينقل عنه المصنف.

(٦) تحرف فى المطبوع إلى: «عنده قرة مستقلة لرجل كان...» وصوابه لدى الأزرقى الذي ينقل عنه المصنف.

(٧) اخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

المسـجد لا يعـرف الآن ولا يمكن حمله على مـسجد البـيعـة المعروف بمـسجـد الحرس المتقدم. لأن الأزرقى قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد.

الثاني: مسجد بأجياد، يقال: إن النبى ﷺ اتكأ هناك فى موضع منه. قال الأزرقى: إن أهل العلم ينكرون ذلك، وإنمـا يثبـتون أنه صلى بأجيـاد الصغـير[1]، ولا يوقف عـلى موضع مصلاه أيضا تحقيقا بل حدسًا بغير أصل.

الثالث: مسجد بأعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة، قيل: إن النبى ﷺ كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كـانت فى هذا المسجد فأقبلت إليه فسألها عن شىء ثم أمرها بالرجوع فرجعت إلى موضعها[2]. وقد دثر.

الرابع: مسجد بذى طوى فى علو مكة بين الثنيتـين اللتين يدخل منهما الحاج، يقال: إن النبى ﷺ نزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثَمّ. ذكره الأزرقى وأفاد أن زبيدة بنّته[3].

الخامس: مسجد السرر، قال الأزرقى: وهو الذى يسميـه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن على لكونه بناه[4].

وسيأتى ذكر وادى السرر، وهو بمنى فى شرقها ذكـره صاحب «القاموس» كما ستقف عليه قريبًا إن شاء الله تعالى، غير أن تعيين محله يقينًا لا يوقف عليه الآن بل جهته.

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال لـه مسجد إبراهيم، وليس بمسجد عرفة الذى يصلى فيـه الإمام. كذا عـرفه الأزرقى[5]. ولم يبـين ما المـراد بإبراهيم الذى ينسب إليه. فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن.

وأما ما ذكر من المساجد منفردا، ولم يتعرض لاستحباب زيارتها، فمسجدان:

الأول: مسجد عرفة المعروف الآن بمـسجد نمرة الذى يصلى فيه الإمام. ذكره الأزرقى وأفرده عن المساجد التى يستحب زيارتها. ولم يصب، بل هو أولى أن يعد من جملتها لأن

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠١.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٣.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.

العلة في ذلك إنما هو التبـرك، وهذا المسجد من البقاع العظيمـة التي لا يشك فيها، وكم صلى فـيه من حجـاج الصحـابة، والتابعـين والعلمـاء والأولياء والسـادات، لأن كون هذا المحل مصلى الإمام مما يؤثره الخلف عن السلف، وإذا كان كذلك فيبعد أن يتركه الأخيار ويصلون في غيـره، فكان عده من جملة المـساجد المستحب زيارتها أولى، ولهـذا ذكرته وعددته من جملتها.

الثاني: مسجد فوق العمرة المعروفة بالتنعيم إلى جهة وادى مرّ على يمين الذاهب إليه، ويعرف بمسجد عَلِيّ. ذكره الفاسي ضمنا عند ذكره لمسجد التنعيم[١]. وقد مر كلامه، ولم يبين أمره ولا تعرض لعلى الذى نسب إليه هذا المسجد. ولم أقف على شيء من خبره.

وأما ما لم يذكر من المـساجد، فمسجد واحد بمكة أمام الصـاعد من باب العمرة على يسار الذاهب إلى جهة سوق باب إبراهيم، فـيه محراب لطيف جدا، يقال: إن النبى ﷺ صلى فيه. هذا ما وقفت عليه، والله أعلم.

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها

منها: الجبل المعروف بأبى قبيس أحد أخشـبى مكة المشرف على الصفا، وهو مشهور لا يحتاج إلى بيان، ويروى عن وهب بن منبه ﷺ أن قبر آدم صلوات الله عليه في غار في جبل أبى قبيس يقـال له غار الكنز ـ بالنون والزاء المعجمة ـ وأن نوحا عليـه السلام لما جاء الطوفان استخـرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة، فلمـا غيض الماء أعاده إلى الغار[٢]. والله أعلم بذلك.

وهذا الغار لا يعرف الآن، وقـيل: إن قبره بمسـجد الخيف بعد أن صلى عليـه جبريل عند باب الكعبة. وقـيل ببيت المقدس. وقيل ببـلاد الهند. وصححه الحافظ ابن كـثير في «تفسيـره» ونقل عن الذهبى أن قـبـر حواء وشـيث في جـبل أبى قبـيس[٣]. والله أعلـم بالحقائق.

ومن فضائله أنه كان يُدعى الأمـين في الجاهلية. لأن الحجر الأسود استـودع فيه عام

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٩.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢.

الطوفان، فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبلُ: الركن منّى بمكان كذا وكذا. فجاء به جبريل فوضعه موضعه[١].

ومنها: أنه أول جبل وضع على وجـه الأرض حين مادت، روى ذلك عن ابن عـباس ومجاهد[٢].

ومنها: أن الدعاء يستجاب فيه كما ذكـره الفاكهى. واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه، فأجيب لهم وسقوا[٣].

ومنها: انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبى وغيره. ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حـتى حراء، وعلل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشـريفة. قال الفاسى رحمه الله: وفى النفس شيء من تفضيله على حـراء لكونه ﷺ كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم به لأجلها شهراً فى كل عام، وفـيه أكرم بالرسالة، ولم يتفق له ﷺ مثل ذلك فى جبل سواه، وذلك مما يقتضى امتيـازه بالفضل. والموجب لتفضيل دار خديجة رضي الله عنها على غيـرها من دور الصحابة طول سُكناه عـليه السلام بهـا، ونزول الوحى عليه فيـها لا لأجل القرب من الكعبة، إذ كـثير من البيوت أقرب إليها منه كدار العـباس بالمسعى، ودار الأرقم بالصفا والله أعلم. انتهى[٤].

ثم فى تسمـيته بأبى قـبيس أقوال، أرجـحها أنه سمى باسـم رجل من إياد يقال له أبو قبيس بنى فيه.

فائدة: نقل القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» من خواص جبل أبى قبيس أن من أكل فيـه الرأس المشوى يأمن أوجـاع الرأس وكثير من الناس يفـعله، والله أعلم بحقيـقة ذلك[٥].

ومنها: جبل الخندمـة، وهو جبل شامخ مـشهور مـعروف فى ظهر أبى قـبيس، ومن

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٦.

(٣) أورده الفاسى نقلا عن الفاكهى: شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٥.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٢ و ٤٤٦.

(٥) عجائب المخلوقات ص ١٢٦.

فضائله مـا روى عن ابن عباس ﷺ، أنه ما مطرت مكة قط إلا كـان للخندمة عزة، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهى[(١)]. والله أعلم بصحته.

وفيه يقول القائل فى يوم الفتح:

إِنَّكِ لو شـهـدتِ يوم الخَنْدَمَـهْ

إِذْ فَـرَّ صـفـوانُ وَفَـرَّ عِكْرِمـهْ

الأبيات المشهورة[(٢)]:

ومنهـا: جبل حـراء وهو ممدود، فَـمَنْ ذَكَّره صَـرَفَه، ومن أَنَّثـه منعه من الـصرف، ويسمى جبل النور ـ بالنون ـ وكـأن ذلك لكثرة مجاورة النبى ﷺ وتعبده فيـه وما خصه الله به فيه من الإكـرام بالرسالة ونزول الوحى عليه فى الغار الذى بأعلاه كمـا فى «صحيح البخـارى» حتى فجـأه الحق، وهو فى غار حراء. وهو مـعروف مشـهور يأثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة[(٣)].

ذكر الأزرقى أن النبى ﷺ اختـبأ فيه من المـشركين[(٤)]. وكذا ذكره الفـاكهى، قال أيضًا: والمعـروف أن النبى ﷺ لم يختبئ من المشركين إلا فى غـار ثور. لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القـاضى عياض والسهيلى فى روضه: أن قريشًـا حين طلبوا رسول الله ﷺ كان على ظهـر ثبيـر. فقال له: اهبط عنى يا رسـول الله، فإنى أخاف ان تـقتل وأنت على ظهرى، فيعذبنى الله تعالى. فناداه حراء: إلىَّ رسول الله.

وجمع القاضى تقى الدين رحمه الله، فقال: إن صح اختفاؤه ﷺ بحراء، فهو غير اختفائه بثور[(٥)]، والله أعلم.

فيكون فى حـراء أولا، وفى ثور حين الهجـرة. وذكر بعض العلماء أن السِّـرَّ فى كونه ﷺ لازم التعبد فيـه دون غيره من الجبال من حيث أن فيه فـضلا زائدا منه أن يكون فيه منزويا مجموعا لتـعبده، وهو يشاهد بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فـحصل له اجتماع

(١) أخبار مكة للفاكهى ج ٤ ص ١٣٤.

(٢) انظر فى هذه الأبيات: أخبار مكة للفاكهى ج ٤ ص ١٣٦.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٧.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٨٨.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٨٨.

ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر. ومجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض. وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى، وأيضًا أن هذا الجبل كان يختلى فيه أجداده ﷺ؛

أقول: وفيما ذكر نظر، لأن غيره من الجبال يتأتى فيه ما ذكر من اجتماع العبادات الثلاث كأبى قبيس مثلا ويزيد بقربه من البيت فكان أولى أن يتعبد فيه. وإن كان المراد البعد من الناس لخلو البال فى التعبد، فالجبال البعيدة كثيرة، اللهم إلا أن يقال إن الغار الذى بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف، وليس غيره كذلك فله وجه، والأحسن أن يقال: إن جبل حراء متعبد أجداده فاقتدى بهم فى ذلك، والله الموفق.

ومنها: جبل ثور - بالثاء المثلثة - بأسفل مكة، وسماه البكرى أبا ثور والمشهور الأول، وبعده عن مكة ميلان. وقيل ثلاثة، وارتفاعه نحو ميل. وكان اسمه أطحل - بالطاء والحاء المهملتين - وإنما سمى ثورا لنزول ثور بن عبد مناف فيه، وقد صح أن النبى ﷺ وأبا بكر اختفيا فى غاره المشهور الذى ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ الآية (سورة التوبة: ٤٠).

وروى أن النبى ﷺ لما دخل الغار أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه، ويقال إن هذا الحمام الذى بمكة من نسلهما.

ومن فضائل هذا الجبل ما يروى أنه كلم النبى ﷺ، وقال له: إلىّ يا رسول الله، فإنى قد آويت قبلك سبعين نبيا.

وللغار الذى فيه بابان واسع وضيق، وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال إن من لم يدخل منه وتعوق فليس لأبيه، وهو باطل لا أصل له.

وقد وسع الباب الضيق فى حدود عام ثمانمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فانحبس، فنحت منه حتى اتسع وتخلص.

وكان مكثه ﷺ فى الغار المذكور ثلاثا كما فى «صحيح البخارى» وهو الراجح، وقيل بضعة عشر يوما، ووفق الجد رحمه الله بينهما فقال: ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحًا، ووجه الجمع أنهما مكثا فى الغار ثلاثا، ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبى مختفيين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عشر يوما، انتهى.

فائدتان:

الأولى: نقل عن البكرى أنه قال: فى جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره، وفيه شجر البان، وفيه شجرة من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة.

الثانية: نقل أيضًا فى بعض الروايات عن ابن عباس ﷺ أن قتل قابيل أخاه هابيل كان فى ثور أخرجهما الفاسى[1] رحمه الله.

وفى «صحيح مسلم» أن ثورًا اسم جبل آخر صغير فى المدينة قريبًا من جبل أحد عن يساره، وأنكر ذلك بعض العلماء، والله أعلم.

ومنها: جبل ثبير بمنى، وهو جبل عظيم الفضل شامخ، روى الأزرقى عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى، فطارت شظاياه لستة جبال، ثلاثة منها وقعت بمكة وهى حراء وثور وثبير، وثلاثة وقعت بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى[2].

أقول: وكون ثبير بمكة تسامح، لكن ما قارب بالشىء أعطى حكمه. وقد جعله القزوينى من جبال مكة أيضًا ثم عرفه بأنه الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به إسماعيل، ثم قال: والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير[3].

وليس كذلك إلا ثبير الذى بمنى. وكذلك الجوهرى جعله بمكة وما ذاك إلا لقرب منى منها، انتهى.

ويسمى ثَبِيرُ الأَثْبِرَة، والقابل أيضا ـ بالقاف والباء الموحدة ـ. ونقل صاحب «القاموس» عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم قال ثَبِيرُ الأَثْبِرَةِ لأن النبى ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة ﷺ أيام إقامتها بمكة[4]. انتهى.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) عجائب المخلوقات ص ١٢٧.

(٤) هذا القول ليس فى القاموس، وإنما ورد فى كتاب آخر لصاحب القاموس، وهو: «الوصل والمنى فى فضل منى» كما نص عليه الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥١.

ومنها: ثبيـر اسم لثمانيةِ أمـاكن، سبعة منهـا جبال بمكة وحـرمها وهى ثبيـر بالأثبرة المذكور، وثبير الزِّنْج، وثبير الأعْرَج، وثبير الأحْـدَب، ويقال الأحيدب ـ بالتصغير ـ وثبير الخضراء، وثـبير النِّصْع، وثبيـر غينا، والثامن اسم لماء فى بلاد مُـزَيْنة أقطعه النبى ﷺ شَرِيسَ ـ بمـعجمة فى أوله ومهـملة فى آخره ـ ابن ضَمْـرَةَ ـ بضاد معجمـة ـ المزنى ﷺ وسماه شريح بحاء مهملة.

ولنشر إلى مـواضعها تكثيراً للفائدة. فـأما ثبيـر الأثبرة فقد تقـدم، وعرف بذلك لأنه أعلاها وأطولها، وقـيل إنما سمى ثبير باسم رجل من هـذيل دفن فيه، والله أعلم بذلك. وهو على يسار الذاهب إلى عرفة الذى ذكره الفقـهاء فى المناسك بأن المستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه أن يسير إلى عرفة.

وأما ثبيـر غينا ـ بالغين المعجـمة المفتوحـة بعدها مثناة تحتيـة ثم نون ثم ألف ـ وثبير الأعرج فهما بمنـى أيضًا، يصب بينهما واد من منى يقال له أُفاعِيَة ـ بضم الـهمزة بعدها فاء وألف وعين مـهملة مكسورة ومثناة تحـتية مفـتوحة مخـففة بعدها هاء ـ كـذا نقله صاحب «القـاموس» عن الزمـخشـرى. وذكـر الأزرقى فى ثبيـر الأعـرج، أنه المشـرف على حق الطارقيين ـ بمـثناتين تحتيتين. بين المغـمس والنخيل، وفى ثبير غينا أنه المـشرف على بئر ميمون، وقلته مشرفة على شعب عَلِيّ كرم الله وجهه. فخالف فى ذلك الزمخشرى.

أقول: ولعله أراد بالنخيل بساتين ابن عامر التى كانت فى جهة عرنة لأنه كان بها نخيل فيما مضى.

وأما ثبيـر النِّصْع ـ بكسر النون وسكون الصاد المهـملة بعدها عين مهملة ـ فـهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ذكره الأزرقى، وقال: هو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية إذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير، كيما نغير، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه[1]. انتهى.

والمعـروف المنقول عن جمـع من أهل المناسك أنهم ما كانوا يـعنون بهذا الكلام إلا ثَبِيـر الأَثْبِرَة الذى بمنى. ووجه الفـاسى رحمه الله تعالـى ما قاله الأزرقى، وقال: لا يـبعد ذلك لأن قريشًا ما كانوا يقولون ذلك إلا وهم بمزدلفة، وهذا أقرب إلى أبصارهم من الذى بمنى انتهى.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٨ و ٢٨٠.

وأما ثبير الخَضْـرَاء ـ بمعجمتين وراء مهملة ـ هو الجـبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضراء بطريق منى، نقله الفاسى(٢).

والخضراء: واد معروف إلى هذا اليوم.

وأما ثَبير الزِّنج: فهو جبل النوبى المعروف بأسفل مكة فى جهة الشبيكة الذى تقدم أن به مولد سـيدنا عمـر بن الخطاب على ما قيـل. وإنما سمى بذلك لأن سـودان مكة كانوا يلعبون عنده، وهم النوبة والسـودان الزنوج أيضًا فطابقت التسمية على كلا الوجهين(٣).

وأما ثبير الأحـدب أو الأحيدب فلم أقف على موضعه ولم أر كلامـا فى تعيين محله، والله أعلم.

أقول: بمنى جبل يدعى الأحيدب إلى هذا التـاريخ، سمعت ذلك من بعض أهل منى، وهو مقابل مسـجد الخيف يقرب من ثبير الأثبرة على يسار الذاهب إلى عـرفة، وإلى جانبه جبل آخـر لا يبعد، والله أعلم أن يكون ثبـير غينا، وبينهمـا شعب الظاهر أنه أفاعـية الذى يصب بينهما كما تقدم. ويكون ثبير الأعرج كـما ذكره الأزرقى، فى جهة عرفة بين المغمس والنخيل لأنه أمس بذلك(٤).

ويبقى ما ذكـره الزمخشرى مجـرد نقل لم يعضده شىء يقويه، ويصـير على هذا بمنى ثلاثة أثبرة: ثبيـر المشهور، وثبيـر غينا، وثبير الأحـيدب الذى بينهما أفاعـية، انتهى. والله الموفق، فهذه الأثبرة التى بمكة وظاهرها، والله أعلم.

ذكر المقابر المباركة التى تزار بمكة وقربها

منها: مـقبـرة المعـلاة لما قـد حوته من سـادات الصحـابة والتـابعين وكـبار العلمـاء والصالحين، وإن لم يعرف قبر أحد من الصحابة تحقيقا الآن. وأفضل شعابها الشعب الذى يقال إن فيه قبر أم المؤمنين خديجـة ﵂. ولم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله ﷺ: نعم الشعب ونعم المـقبرة، أخرجه الأزرقى. ثم قـال: لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله(٥). انتهى.

(١) أخبار الفاكهى للأزرقى ج ٢ ص ٢٨٠.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٦٦.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٩.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٨٠.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٩.

وقد تقدم ذكر شىء مما ورد فى فضل هذه المقبرة فى فضائل مكة فلا نطيل بإعادته.

ومما ورد فى فضلها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال: كشف لى أهل المعلاة فقلت لهم أتجدون نفعا بما يهدى إليكم من قراءة ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك. فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ فقالوا وهل يقف حال أحد فى هذا المكان(١).

ومن ذلك ما رواه أبو سعد بن السمعانى فى «تاريخه» عن أبى نصر محمد بن إبراهيم الأصبهانى، أنه رأى فى المنام كأن إنسانا مدفونا فى المعلاة استخرج ومروا به إلى موضع آخر، قال: فسألت عن حاله؟ فقالوا: هذه المقبرة منزّهة عن [قبول] أهل البدعة، لا تقبل أرضها مبتدعا(٢).

ونقل عن الشيخ خليل المالكى رحمه الله أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة: عند قبور سماسرة الخير، وعند قبر الشولى، وعند قبر إمام الحرمين عبد المحسن ابن أبى عبد العميد(٣).

أقول: قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التى يقصر منها القصارون الثياب الآن، وقبر الشولى وإمام الحرمين معروفان. انتهى.

ومن مقابر مكة قديما المقبرة العليا، فيستحب زيارتها لما فيها من الأموات وأهل الخير، وهى بين المعابدة وثنية أذاخر، وكان يدفن فيها فى الجاهلية وصدر الإسلام آل أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، وآل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. نقله الأزرقى(٤). ثم قال: وكان أهل مكة يدفنون موتاهم من جنبتَى الوادى يمينه وشاميه(٥)، ثم حول الناس جميعا قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء فيه(٦). انتهى.

والمراد باليمنى: هو شعب أبى دب المعروف الآن بشِعْب العفاريت(٧)، وفيه كان

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٥وما بين حاصرتين منه.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد الحميد» وصوابه من: د، وانظره لدى الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٦، وابن فهد: إتحاف الورى ج ٣ ص ٤٣. (٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٩.

(٥) لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف: «يمنة وشامة».

(٦) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢١١. (٧) تحرف فى المطبوع إلى: «العقاريب».

يدفن فى الجاهلية وصدر الإسلام. وأبو دُبّ: رجل من بنى سُواءَة بن عامر سكنه، فسمى به.

ويقال: إن قبر آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ فى شعب أبى دب، هذا وأنه ﷺ جاء إليها وزارها وقيل فى غير هذا المحل من المعلاة، وقيل بالأبواء وهو المشهور.

والمراد بالشامى: هو شعب الصفىّ ـ بتشديد التحتية ـ المسمى قديما بصفى الشباب، وهو الذى عند أذاخر والخرمانية فى طرف المحصب، ويسمى المحصب شعب الصفى، وهو خيف بنى كنانة. وإنما سمى شعب الصفى لأن ناسا فى الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بفم هذا الشعب وتفاخروا بالآباء والأيام والوقائع فى الجاهلية.

أقول: وليس فى هذا مناسبة لوجه التسمية. وكأنه والله أعلم مأخوذ من الاصطفاء، لكونهم اختاروا هذا المكان واصطفوه لمفاخرتهم. لكن الأزرقى لم يعرج على هذا، وإنما أخذته من سياق الكلام.

ثم يظهر أن صدور هذا التفاخر إنما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية. انتهى.

وفى هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد، وذلك أنه مات عندهم فى دارهم سنة أربع وسبعين وله من العمر أربع وثمانون عاما، وكان صديقا لعبد الله بن خالد، فلما حضرته الوفاة أوصاه بأن لا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفى وكان بمكة بعد مقتل ابن الزبير، فلما قضى صلى عليه عبد الله بن خالد ودفنه عند باب داره ليلا أخرجه الأزرقى. ولهذا والله أعلم خفى قبره. وعرف الأزرقى المقبرة العليا بأنها حائط خرمان، وهو المسمى فى هذا الوقت بالخرمانية عند المحصب[١].

قال الفاسى رحمه الله: وما ذكره الأزرقى من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا يدفع ما يقال إنه مدفون بالجبل الذى بالمعلاة، ولا أعلم فى ذلك دليلا وهو بعيد من الصواب[٢]. والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص٢١٠ و ٢١١. (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٧.

ومن مقابر مكة أيضـا قديمًا مقبرة المـهاجرين بالحصحـاص، وهو ما بين فخّ والجبل المسمى بالمقـلع وبالبكّاء أو الزاهر. كما هو مقتضى كلام الأزرقـى والفاسى. وإنما سمى بالبكاء لما قيل إنه بكى على النبى ﷺ حين هاجر[١]، وهو مشهور بالبكاء إلى اليوم.

أقول: فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المـعروف الآن بالمختلع الذى يبيت به أمير الحاج عند قدومـه ثم يصبح ويدخل مكة. فينبغى لمن أتى ذلك الموضع أن يقـرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبـور، ويهدى ثواب ذلك إليهم وإلى سائر أموات المسلمين، وكذلك عند المقبرة العليا التى تقدم أن بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لما علمته والله الموفق.

وسبب تسميتها بمقبرة المـهاجرين أن جندع ـ بجيم ونون ـ ابن أبى ضمرة ـ بمعجمة ـ ابن أبى العاص اشتكى وهو بمكة فخاف على نفسه فـخرج يريد الهجرة إلى المدينة فأدركه الموت وهو بهـذا المحل فدفن فيـه فأنزل الله ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ الآية (سورة النساء: ١٠٠) فسميت مقبرة المهاجرين به. أخرجه الأزرقى[٢].

ووقع مثل ذلك لغـير جندع أيضًا فـدفن هنالك. وممن دفن بهـذا المحل جمـاعة من العلويين قـتلوا فيه فى حـرب وقع بينهم وبين عسكر مـوسى الهادى فى سنة تسع وتسـعين ومائة. وفيه جماعة من الأنصار مدفونون.

ويسمى هذا المحل أيضًا بأضاة بنى غفار[٣] وهى التى قال النبى ﷺ : أتانى جـبريل وأنا بأضاة بنى غفار فـقال: يا محمد، إن ربك يأمرك أن تقـرأ القرآن على حرف. فقلت: أسأل الله المعـافاة، فقال: فإنه يأمرك أن تقـرأه على حرفين، فقلت: أسأل الله المـعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقـرأه على ثلاثة أحرف، فقلت: أسأل الله المعافـاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف[٤].

واختلف ما المراد بالسـبعة الأحرف، فقيل: سبع لغات.

ومن المقابر أيضًا المباركة: مقبرة الشبـيكة، فيستحب زيارتها لما حوته من أهل الخير والغرباء لا سيما الفقراء الطرحاء فإنهم ما يدفنون غالبا إلا بها.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٧.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢١٢.
(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «عقار».
(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣

ونقل الفاسى رحمه الله عن الفاكهى: أن مقبرة المطيبين قديما كانت بأعلى مكة، ومقبرة الأحلاف[١] بأسفل مكة. ثم قال: والظاهر أن مقبرة الأحلاف هى هذه المقبرة - يعنى بذلك الشبيكة - لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها، ودفن الناس بها إلى الآن مشعر بذلك. ثم قال: والمُطَيّبون: بنو عبد مناف بن قصى، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر.

والأحلاف: بنو عبد الدار بن قصى وبنو مخزوم، وبنو سهم وبنو جمح، وبنو عدى ابن كعب[٢]. انتهى.

فائدة: وفي سبب تسميتهم بالمطيبين والأحلاف نقل عن ابن إسحاق: أن قصيًا لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة واقتسموا مآثره كما تقدم، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى وهم عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب أجمعوا أن يأخذوا ما فى أيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعله إلى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم، فافترقت قريش فرقتين. فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم، وطائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا يُنزع منهم ما جعله قصى[٣] إليهم.

ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا فغمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاهدوا أن لا يتخاذلوا فسموا المُطَيَّبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا عند الكعبة أن لا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف[٤].

ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبنى عبد مناف، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت. ففعلوا ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله ﷺ: ما كان مِنْ حِلْفٍ فى الجاهلية فإن الإسلام لمْ يَزِدهُ إلاّ شِدّة[٥].

ومن القبور التى ينبغى زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الأخلاف» بالخاء المعجمة.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٨.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٠.

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٢.

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٢.

زوج النبى ﷺ خالة ابن عباس، وهو معروف بطريق وادى مر بمحل يقال له سَرِف - بسين مهملة مفتوحة، وراء مهملة مكسورة، وفاء - وبينه وبين مكة ستة أميال وقيل: سبعة أميال - بتقديم السين - وقيل: تسعة - بتقديم المثناة - وقيل: اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع[١].

أقول: القول الأخير بعيد، والنظر يقضى بخلاف ذلك لمن سلك الطريق إلى وادى مر، وأعدل الأقوال السبعة لأن المعاينة تؤيده انتهى.

قال الفاسى رحمه الله: ولا أعلم فى مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله ﷺ سوى هذا القبر لأنّ الخَلَفَ يأثره عن السلف، وموضع قبرها هو الذى بنى بها فيه رسول الله ﷺ حين تزوجها[٢]. انتهى.

ومنها: قبر سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ، وهو بوادى الطائف فينبغى زيارته لمن قدر على ذلك. قال صاحب «المطالع» إن الطائف هو وادى وَجّ، انتهى. ووَجّ - بفتح الواو وتشديد الجيم - وسمى باسم وج بن عبد الحق من العمالقة.

وأما وح - بالواو والحاء المهملة - فهو ناحية بعمان[٣] فوق عرفة.

وعن الزبير بن العوام ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: إن صيد وج وعضاهه حرم محرم لله عز وجل. قال النووى: وإسناده ضعيف.

وذكر [المحب][٤] الطبرى فى تحريم صيد وج احتمالين: أحدهما أن يكون على وجه الحمى له، ثم قال: وعليه العمل عندنا. والثانى: أن يكون حرمه فى وقت ثم نسخ[٥]، انتهى.

وقال النووى فى «الإيضاح»: ويحرم صيد وجّ لكن لا ضمان فيه، انتهى. وأما مذهبنا فليس له حرم.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٩.
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٩.
(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «ناحية نعمان» ومثله لدى الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٣، وصوابه لدى ياقوت والنووى فى تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢ ص ١٩٨.
(٤) الإضافة للتوضيح.
(٥) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٦

وإنما سمى الطائف لما روى أن رجلا أصاب دما من قومه، فلحق بثقيف وأقام بها، وقال لهم: ألا أبنى لكم حائطًا يطيف ببلدكم؟ فبناه فسمى الطائف لذلك. وقيل: إنما سمى بالطائف لأن جبريل طاف به حول الكعبة. قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فى سورة القلم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (سورة القلم: ١٩) إن جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها، وطاف بها حول البيت، فلذلك سميت بالطائف، وقيل إنما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام وطاف بها سبعًا، وذلك لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول الآية ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) والله أعلم بالصواب[١].

وجاء فى قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ (سورة الفتح: ٢) أى بفتح مكة والطائف. وقال المفسرون فى قوله تعالى ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (سورة الزخرف: ٣١) إنهما مكة والطائف، فقرن تعالى الطائف بمكة، وذلك فى غاية الشرف[٢]. وفى الرجل قولان: أحدهما أنه عتبة بن عبد شمس، والثانى أنه مَسْعود بن مُعَتِّب الثقفى[٣].

غريبة: حكى الميورقى أن مِيضأة ـ بكسر الميم ـ وقعت فى عين الأزرق بالطائف فخرجت من عين الأزرق بالمدينة الشريفة[٤].

ومنها: قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادى مرّ، يزعم سكان وادى مرّ أنه قبر مريم بنت عمران ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده. ولا أعلم لهم فى ذلك سلفا، ولم أر من ذكره، ولم أقف على شىء من خبره بعد السؤال والتفحص، والله أعلم بحقيقة ذلك.

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦.

(٢) بهجة المهج ص ٢١ و ٢٢.

(٣) انظر فى هذا الاختلاف: إهداء اللطائف فى أخبار الطائف للعجيمى ص ٢٦.

(٤) بهجة المهج للميورقى ص ٢١.

فـــوائد

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها إلى بعض شيء مما تقدم

الأولى: قال النووى رحمه الله فى عـدة من كتبه وغيره أيضا: إن الدعـاء يستجاب فى خمسة عشـر موضعا: فى الطواف، وفى الملتزم كما قدمتـه وتحت الميزاب وداخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلى الصفا وعلى المروة، وفى حـال السعى وجميع منى عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصًا وفى عرفة وفى مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث[١].

وذكر بعض العلماء من الأماكن المستجابة الدعاء: مسجد الخيف بمنى.

ومنها على ما ذكره ابن الجوزى: مسجد البيـعة، وغار المرسلات، ومغارة الفتح لأنها من ثبير. أقول: مـغارة الفتح المذكورة هى فى سفح ثـبير قريبا من معتكف عـائشة أنشأها القاضى مجد الدين صاحب «القاموس» وكان يختلى بها للعبادة. انتهى.

وذكر العلامة النقاش فى «منسكه» مواضع يستجـاب فيها الدعاء: فى ثبير الأثبرة، وفى مسجد الكبش، وفى مسجد النحـر، وحال الدخول من باب السلام، وفى دار خديجة ﵂ ليلة الجـمعـة، وفى مـولد النبى ﷺ يوم الاثنين عند الزوال، وفـى دار الخيـزران عند المختـبأ بين العشـاءين، وفى مســجد الشــجرة يوم الأربعـاء، وتحت السدرة بعـرفة وقت الزوال، وفى المتكأ غداة الأحد، أقول هذه الثلاث المـحال لا تعرف الآن والمتكأ المذكور الظاهر أنه الذى بأجيـاد. وقد تقدم الكلام فيه بـأنه لا يعرف يقينا بل حدسـا بغير دليل ولا قرينة انتهى. وفى جبل ثور عند الظهر، وفى حراء مطلقا انتهى كلامه[٢].

الثانية: مما يدل على فضل منى أيضـا: ما رواه ابن الحاج فى «منسكه» عن أبى سهل ابن يونس الرجل الصالح أنه قال: رأيت كأنى فى سـفينة تجرى على وجه الأرض، وقائل يقول: فيها رسول الله ﷺ، فقفزت من موضعى وقلت: يا رسول الله استغفر لى. فقال

---

(١) انظر فى هذه المواضع: رسالة الحسن البصرى فى فضائل مكة ورقة ٤.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٢ و ٣٢٣.

لى: حججت؟ فقلت: نعم. فقال لى: حلقت رأسك بمنى؟ قلت: نعم، قال: رأس حلقت بمنى لا يمسه النار أبدا. انتهى.

الثالثة: اختلف فى سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس ﷺ: إنما سميت منى لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تمن، قال: تمنيت الجنة فسميت بذلك لأمنية آدم عليه السلام. وقيل: سميت بذلك لما يُمْنَى فيها من الدماء أى يراق، وهذا هو المشهور الذى ذكره جمهور اللغويين وغيرهم. وقيل لما تمنى أن يقدر، وقيل لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمى كل موضع يجتمع فيه الناس منى. وقيل لمن الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها. وقيل: لمن الله بالمغفرة فيها على عباده، وقيل غير ذلك، ويجوز فيها الصرف وعدمه والتذكير والتأنيث. قال صاحب «القاموس» والأجود صرفه. وجزم الجوهرى فى «صحاحه» بتذكيره وصرفه وأنشدوا على تذكيره:

سقى منى ثم رواه وساكنه
ومن ثوى فيه واهى الودْق مغتبقُ

وجاء فى تأنيثه للعرجى:

ليومنا بمنى إذ نحن ننزلها
أسرّ من يومٍ بالعرج أو ملل

الرابعة: أخرج ابن حبان فى «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: إذا كنت بين الأخشبين من منى - ونفخ[1] بيده نحو المشرق - فان هناك واديا يقال له وادى السُّرَر، لسَرْحة به سُرَّ تحتها سبعون نبيا[2]. انتهى ملخصا.

والسرحة - بالسين والحاء المهملتين - الشجرة العظيمة.

ووادى السُّرَر - بضم السين وفتح الراء - وقيل بفتحهما، وقيل بكسر السين وفتح الراء[3].

(١) فى المطبوع: «ونفح» بالحاء المهملة، والمثبت رواية المحب الطبرى فى القرى ص ٥٤٠.
(٢) أورده صاحب الكنز برقم ٣٤٧٩٢ والنظر فى ذلك: القرى ص ٥٤٠.
(٣) القرى ص ٥٤٠.

ومعنى سُرَّ تحتها: أى قُطِعت[1] سُرَرُهم، يعنى: أنهم ولدوا تحتها يصف بركتها ويمنها. والسُّرَر ما يقطع من المولود فيبان، والباقى بعد القطع السرة، ولا يقال قطعت سرته بل قطع سرره ومن قطع سرره فهو مسرور. قاله صاحب «القاموس».

قال الفاسى رحمه الله: لم يبين الطبرى موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضًا. انتهى.

أقول: قد بين صاحب «القاموس» مسافة ما بينه وبين مكة إجمالا فى كتابه «الوصل» فقال قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى: السرر على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى، وكان عبد الصمد بن على اتخذ عنده مسجدا كان به شجرة ذكر أنه سر تحتها سبعون نبيا.

وقد قدمت أن هذا المسجد لا يعرف، فيكون على مقتضى قول الحسن بن الحسين محل وادى السرر المذكور تقريبًا بين محسر ومنى على يسار الذاهب إلى عرفة، لأن الفقهاء ذكروا فى عدة من المناسك أن بين منى ومكة ثلاثة أميال هذا قول أكثرهم، ويكون من منى إلى محسر قدر ميل فهذه أربعة أميال، والسرحة لا وجود لها الآن والله الموفق.

الخامسة: منى اسم لموضعين: أحدهما منى المذكور، والثانى اسم جبل من جبال ضَرِيَّة - بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والمثناة التحتية المشدودة المفتوحة والهاء - ذكره صاحب القاموس فى «الوصل» وعزاه إلى الأصمعى.

السادسة: الخيف، لغة: المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل. وقال بعضهم: الخيف هبوط وارتفاع فى سفح جبل أو غلظ، ومسجد الخيف بمنى فى مكان هذه صفته، وقيل الخيف غرة بيضاء فى الجبل الذى خلف أبى قبيس. والخيف أيضًا الناحية، وبه سمى خيف منى كأنه ناحيته، وقد تغزل الشعراء فى منى وخيفها بأشعار كثيرة رائقة وأناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شىء مما انشرح به الخاطر تكثيرا للفائدة، فمن ذلك قول بعضهم:

تبدى لعينى والحجيج على منى
غزال رأيناه بمكة محرما

---

(١) فى المطبوع: «قطع» والمثبت رواية المحب الطبرى فى القرى.

رمى وهو يسعى بالجمار وإنما
رمى جمرة القلب المعذب إذ رمى

ومن ذلك للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى من قصيدة:

بوادى منى نلنا المنى إذ تبسمت
ليال وأيام ملاح المباسم
سرور بعيد واجتماع أحبة
وقرب وقربان وعز مواسم

ومن ذلك لبعضهم:

ما بال قلبى لا يقر قراره
حتى تقضى من منى أوطاره
ما ذاك إلا من تلهب شوقه
يسبيه من وادى منى تذكاره
يا سائق الأظعان إن جزت الحمى
سلم على من بالمحصب داره
واشرح لهم ما يلتقى مشتاقه
من فرط شوق أحرقته ناره
يصبو إلى ذكر الحطيم وزمزم
والركن والبيت المكرم جاره

ومن ذلك لمجنون بن قيس العامرى:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة
بخيف منى ترمى جمار المحصب
وتبدى الحَصَى منها إذا قذفت به
من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر
مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك لبعضهم:

أيا حادى الأظعان جز بى على منى
وبرد لظى أحشاى بالجمرات
وقف بى على ذاك المقام فإن لى
به أربا أقضيه قبل وفاتى
وملى بى إلى البيت العتيق وخلنى
لديه وما أبديه من زفراتى

ومن ذلك قول ابن الجوزى:

سقى منى وليالى الخَيْفِ ما شربت
من المياه وحياها وحياك
الماء عندك مبذول لشاربه
ولا ترويك إلا دمعة الباكِى
ثم انثنينا إذا ما هزنا طرب
على الرحال تعللنا بذكراك

ولغيره:

فلما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسحْ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المَطِىّ الأباطحْ
بكينا على ما كان من زمن الهوى
ولم يعلم الغادى بمن هو رائح

وفى هذا القدر كفاية.

الفائدة السابعة: المشهور عند أهل مكة أن الحَجُون: هو الجبل الذى فيه الثنية التى يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة، وعرفها الأزرقى: بثنية المدنيين، ويسمونها الحجون الأول بالنسبة إلى الخارج منها إلى جهة ذى طوى والزاهر، ويقولون لما بينها وبين

الثنية الأخرى الهابطة على المختلع وطريق الوادى، وتسمى الخضراء بين الحجونين ويمين الخارج منها إلى جهة منى كما هو صريح كلام الأزرقى والخزاعى والفاكهى والنووى.

فأما الأزرقى فقال عند ذكره لما فى يمانى المعلاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه: الحجون الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة[١] الذى يقال له مسجد الحرس[٢]. ومثله كلام الفاكهى.

وأما كلام الخزاعى فنص كلامه: الحَجُون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد[٣].

وقال النووى فى «شرح مسلم» الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسحد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد[٤].

قال السيد الفاسى رحمه الله: وقد ذكر المحب الطبرى فى «القرى» ما يوافق ما يقوله الناس، وكنت قلدته فى ذلك، فظهر لى أن الأزرقى بذلك أدرى كيف وقد وافقه الخزاعى والفاكهى وغيرهما. وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبر الله بن عمر والجبل المقابل الذى بينهما الشعب المعروف عند الناس بشِعْب العفاريت[٥]. والله أعلم، انتهى.

وأغرب السهيلى فى محل الحجون فقال: والحجون على فرسخ وثلث من مكة[٦]. انتهى.

والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النووى والطبرى وصاحب المطالع وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح.

تمت الفوائد، وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة

---

(١) فى المطبوع: «المشرف جدا على مسجد البيعة» والمثبت رواية: د والأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) اخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٣.

(٤) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٣.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٢ و ٤٧٥.

(٦) الروض الأنف ج ١ ص ١٣٨.

والسلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث بأعظم المعجزات وعلى آله وأصحابه الأماجد السادات.

وليكن هذا آخر ما يسره الله ومن به وهو المنان مما قصدت إثباته حسب الوسع والإمكان ومع ذلك فإنى عاجز عن بلوغ المراد ملتمس من الله سبحانه الإصابة والسداد وضارع إليه فى التوفيق والرشاد أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم وعدتى من فائض فيض فضله العميم ويجمعنى ومن يطالعه فى جنان النعيم ويختم آخر أعمالى بالخيرات ويرجح ميزانى بالحسنات ويعفو عما اقترفته من الذنوب والسيئات ويرزقنى الثبات عند السؤال بعد الممات، ويفتح على بالعلم الشريف والعمل به فإنه الكنز الموروث عن الأنبياء ونعم الميراث ويجعلنى كما وفقنى لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» والأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى، واللسان لا يبرز عن الجنان إلا ما حوى.

والمسئول ممن وقف على التأليف من الإخوان أن ينظر فيه بعين الرضا والرضوان فما كان من نقص كمله ومن خطأ أصلحه وأن يصفح عما يجده فى ترتيبه من زلل وما يظهر له فيه من خلل، فإن القلم قد يهفو والجواد قد يكبو، وقد سبق من إقرارى بالعجز والضعف ما يقتضى الصفح والعفو، والإنسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان والمؤمن مرآة أخيه. والله تعالى يغفر لمن نظره أو كتبه أو أصلح شيئا منه أو فيه.

ولنختم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبى ﷺ المأثور الشريف:

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن كن لى جارا من شر خلقك كلهم أن يفرط على أحد منهم وأن يبغى على، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[١].

(١) هذا آخر النسخة المطبوعة وجاء فى آخر نسخة د: «وكان الفراغ من نسخة على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء الله من بعده بمكة المشرفه فى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك من العام الثلاثمائة والألف، والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبى بعده».

فهرس الفهارس

١ - فهرس الأعلام

٢ - فهرس الأماكن



٣ - فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

٤ - فهرس مصادر التحقيق

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، طبعة جامعة أم القرى.

اتعاظ الحنفا للمقريزى. القاهرة: ١٩٧٣ م.

إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام للأسدى، القاهرة: ١٩٨٥م.

أخبار مكة للأزرقى، بيروت: ١٣٨٥ هـ، وطبعة ١٤٠٣ هـ.

أخبار مكة للفاكهى، مكة المكرمة: ١٩٨٦م.

الاستيعاب لابن عبد البر، نهضة مصر، القاهرة: ١٩٦٠م.

الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاى (مخطوط).

الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٠م.

إهداء اللطائف للعجيمى. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: ١٩٩٧م.

بهجة المهج للميورقى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م.

تاريخ الإسلام للذهبى، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٧م.

تاريخ خليفة بن خياط، بيروت: ١٩٧٧.

تاريخ الرسل والملوك للطبرى، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.

تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨م.

تذكرة الحفاظ للذهبى. بيروت.

تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.

تهذيب الأسماء واللغات للنووى، المطبعة المنيرية بمصر.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

الحيوان للجاحظ، مطبعة مصطفى الحلبى مصر ١٣٥٦ هـ.

رحلة ابن جبير، لابن جبير، مكتبة مصر، القاهرة: ١٩٥٥م.

رسالة الحسن البصرى مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١٠٦٩ تاريخ.

الروض الأنف للسهيلى، طبعة دار المعرفة بيروت وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة للفاسى، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ٢٠٠١م.

السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة، لابن فرج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧م.

السلوك للمقريزى، مصر ١٩٣٤ وما بعدها.
سيرة ابن سيد الناس (عيون الأثر فى فنون المغازى والسير) بيروت.
سيرة ابن هشام، المكتبة العلمية، بيروت.
الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
الشفاء للقاضى عياض، بيروت.
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسى، بيروت ١٩٨٥م.
شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، لأحمد بن إبراهيم الحنبلى، بغداد ١٩٧٨م.
صحيح البخارى، طبعة دار الفكر، بيروت.
صحيح مسلم، القاهرة ١٩٩٧م.
صفة الصفوة، دار المعرفة بيروت ١٩٨٦م.
طبقات الحفاظ للسيوطى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م.
طبقات السبكى، القاهرة ١٩٩٢م.
طبقات الصوفية للسلمى، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٩م.
العبر فى ديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون، بيروت ١٩٥٨م.
عجائب المخلوقات للقزوينى، طبقة كتاب التحرير بمصر ١٩٦٦م.
العقد الفريد لابن عبد ربه لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
العقود اللؤلؤية للخزرجى، مطبعة الهلال الفجالة بمصر ١٩١١م.
القرى لقاصد أم القرى للمحب الطبرى، طبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٨٠م.
غاية المرام لابن فهد، مكة ١٩٨٦م.
الكامل فى التاريخ لابن الأثير، بيروت ١٩٦٥م.
كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
مروج الذهب، للمسعودى، بيروت ١٩٨٨م.
المستدرك للحاكم، بيروت ١٩٩٠م.
المفضليات للضبى، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.
منائح الكرم للسنجارى.

نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر، الرياض ١٩٨٥م.
نسب قريش للزبيري طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، طبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٣.
وفيات الأعيان لابن خلكان، بيروت ١٩٦٨م.

٥ - فهرس موضوعات الكتاب

الموضـــــــــــوع الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع | الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة